



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

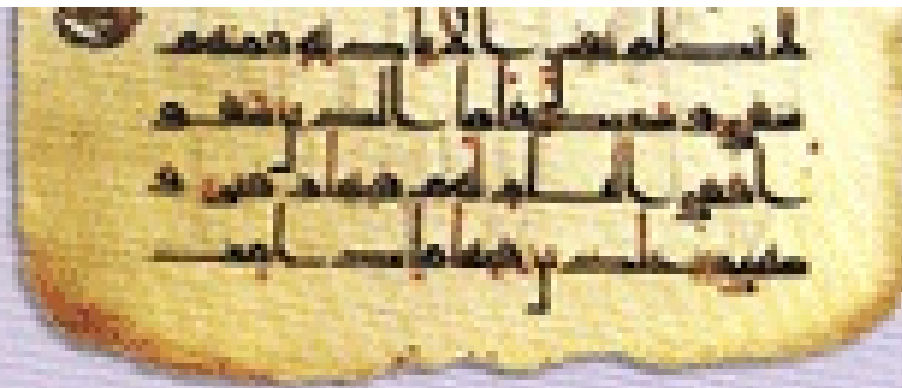
اصبهان

للغلام



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir



تاريخ الحج القديم



الدكتور محمد حسين علي الصغير
استاذ الدراسات والبحوث في جامعة الكويت

دار التراث العربي
باصفهان - إيران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ القرآن

كاتب:

محمد حسين علي صغير

نشرت في الطباعة:

دار المورخ العربي

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|-----|-----------------------------|
| ٥ | الفهرس |
| ٦ | تارىخ القرآن (الصغير) |
| ٦ | اشاره |
| ٦ | اشاره |
| ١٠ | مقدمه |
| ١٤ | الفصل الأول: وحى القرآن |
| ٣٨ | الفصل الثانى: نزول القرآن |
| ٦٨ | الفصل الثالث: جمع القرآن |
| ٩٨ | الفصل الرابع: قراءات القرآن |
| ١٢٦ | الفصل الخامس: شكل القرآن |
| ١٥٠ | الفصل السادس: سلامه القرآن |
| ١٧٨ | خاتمه البحث |
| ١٨٤ | المصادر و المراجع |
| ١٨٤ | اشاره |
| ١٨٦ | أ-المصادر القديمه: |
| ١٩١ | ب-المراجع الحديثه: |
| ١٩٤ | ج-الصحف و المجلات: |
| ١٩٥ | المراجع الأجنبيه: |
| ١٩٦ | تعريف مركز |

تاريخ القرآن (الصغير)

اشاره

سرشناسه: صغير، محمد حسين علي، ١٩٣٩م - م.

عنوان و نام پديدآور: تاريخ القرآن/محمد حسين علي الصغير.-

مشخصات نشر: بيروت: دار المورخ العربي، ١٩٩٩م، =، ١٤٢٠ق، =، ١٣٧٨.

فروست:.- (مؤسسه الدراسات القرآنيه؛ ٣).

يادداشت: عربي.

يادداشت: كتابنامه: ص. ١٨١-١٩٠

موضوع: قرآن -- تاريخ.

موضوع: قرآن -- علوم قرآني.

رده بندي كنگره BP٧٢/ص٧ت٢

شماره كتابشناسي ملي: ١٠٣٧٠٤١

ص: ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم هذه دراسته تكتسب أهميتها من أهميه موضوعها الذاتيه فى التشريع و التأريخ و التراث.

و موضوع هذه الدرسته يتصل بصميم القرآن نصا و مفهوما، و يتعلق بجوانبه الإيحائيه و التدوينيه و الشكليّه أثرا و معاناه و تأريخا، و هو يحوم حول جزئيات متناثره، يجمع شتاتها، و يوحد متفرقاتها، بعيدا عن الفهم التقليدى حيناً، و عن التزامت الموروث حيناً آخر، فى استيعاب القضايا المعقده، و ارتياد المناخ المجهول، و سوف لا- تلمس فيه للتعصب أثرا، و لا تصطدم بالمحاباه منهجا، الهدف العلمى يطغى فيه على الهوى النفسى، ليلتقى من خلال ذلك الغرض الفنى فى النقد و التمهيص، بالغرض الدينى فى الاستقراء و المعرفه، لم أكن فيه متطرفا حد الإفراط، و لا متسامحا حد التهاون، بل اتخذت بين ذلك سبيلا.

و مفردات هذه الدرسته تتناول «تأريخ القرآن» بكل التفصيلات الدقيقه، و الأبعاد المتراميه الأطراف؛ ابتداء من ظاهره وحيه، و مرورا بنزوله، و جمعه، و قراءاته، و شكله، و انتهاء بسلامته و صيانتته، فكان أن انتظم عدّه فصول هى كالاتى:

الفصل الأول: وحي القرآن؛ و قد تكفل بالحديث عن ظاهره الوحي القرآنى، و رعايه الوحي للنبي صلى الله عليه و آله و سلم شأنه بذلك شأن من تقدمه من الرسل، و كان ميدانا لتفسير الظاهره و تحليلها نفسيا و علميا و قرآنيا، مع معالجه مجموعه التقولات و الاجتهادات التى تناولت الوحي حيناً، و الكشف و الإلهام و الروحيه حيناً آخر، بما ميّزنا به حاله الوحي عن سواها، و تأثيرها

الخارجى عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف يفسر بعض المستشرقين ذلك عنادا و تمويها، فخلص للظاهره مردودها الخارجى البعيد عن حالات اللاوعى المزعوم، ذلك المردود الذى أعطى نتائج طبيعیه لشده وقع الوحي فى استقبال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لحقيقه مستقلة عن كيانه و شعوره و إرادته، تأمر و تنهى و تقرر، و النبى صلى الله عليه وآله وسلم يستمع، و ينفذ، و يبلغ، و كان ذلك هو الوحي، و كان هذا الوحي قرآنا عجبا، عبرت العرب عن حيرتها أمام تياره المتدفق، و أخفقت تخرصاتها المتناقضه فى وصفه.

الفصل الثانى: نزول القرآن، و قد تناول بالبحث المركز: بدايه النزول، و زمن النزول، و النزول التدريجى و الجملى، و أسرار تنجيم القرآن الكريم، و مرحليه النزول، و تأريخيه السور القرآنيه مكيتها و مدينها، و ضوابط هذين القسمين، و أسباب النزول و تأريخيته، و ما نزل بمكه و ما نزل بالمدينه، بما يعتبر فصلا نموذجيا مكثفا، أعقبناه بترتيب إحصائى لسور القرآن و عددها، و عدد آياتها، و نزولها الزمانى و المكانى.

الفصل الثالث: جمع القرآن، و قد تناول بالبحث الموضوعى:

روايات الجمع فى تأريخها و تناقضها، و تتبع شذراتها هنا و هناك و غربلتها، و ذهب إلى أن القرآن كان مجموعا على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم، و كانت أدله جمعه متعاقبه فى الروايات المعتمده، و توافر مصاحف الصحابه، و عمليه الإقراء القرآنى و التعليم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و دليل الكتابه و وجود الكتاب، و أدله أخرى قطعيه استنتاجيه و روائيه، و تساءل عن مصير مصحف أبى بكر (رض) و بحث المواقف المتردده فى الأمر، و عقبها بالرأى النهائى، و تحدث عن مصحف عثمان فى أطواره كافه، و اعتبره النص القرآنى الكامل.

الفصل الرابع: قراءات القرآن، و قد تناول بالبحث الاتجاهات الرئيسيه فى أسباب و مؤثرات و عوامل نشوء القراءات القرآنيه، و ناقش حديث الأحرف السبعه، و عرض موضوع اختلاف القراءات و تعددها منذ عهد مبكر، و كان مصدر القراءات مستهدفا للاتجاهات كافه، باعتبار شكل المصحف العثمانى، و طريق الروايه الشفويه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، و اختلاف لهجات العرب، قضايا ذات أهميه متكافئه فى نشوء القراءات، ثم بحث

وجوه القراءات، ثم عرض باختصار لعدد القراء و تضارب الآراء في منزلتهم، و حقق القول في السبعة منهم، و اعتمد قراءاتهم كأصل يرجع إليه، و كان الاختلاف في هذه القراءات لا يعدو الشكل غالباً، و لا يتجاوزهُ إلا نادراً، و وثق القراءات السبع، و فرق بين القراءه و الاختيار، و أورد اعتبار البعض القراءه سنه، و ضعف الشاذ منها، و أبان شروط القراءه المعتره في ضوء مقاييس النقد و القبول، و بين الاختلاف في نسبه التواتر في القراءات، أ هو للقراء أم هو للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و أشار إلى الفرق بين حجيه هذه القراءات، و بين جواز الصلاه فيها.

الفصل الخامس: شكل القرآن، و تناول بالبحث: ما هو المراد من شكل القرآن، و كراهه الأوائل للزيادات التوضيحيه في الرسم القرآني، و بدايه إعجام القرآن و نقطه على يد أبي الأسود و تلامذته، فكان الرائد الأول، و تبعه الخليل بن أحمد الفراهيدي في ابتداء أشكال الحركات.

و بحث بعد النقط و الحركات مظاهر الهمز و التشديد و الروم و الإشمام، و ما أحدث على الشكل عموماً بغيه التطوير، و جعلوا لذلك قواعد للتمييز بين النص و محسناته، ثم تناول مسأله الرسم المصحفي، و ما صاحبها من مغالاه و تقديس لا تمت إلى الذائقه الشرعيه بصله، و نفى ادعاء كون الخط المصحفي توقيفياً، و ذهب إلى أنه مما تواضع عليه الكتبه، و لا مانع من أن يكتب بأي خط كان، و عزا اختلاف الخطوط، و مغايرتها لأصول الإملاء العربي، إلى اشتباه الكتاب، و لا ضير عليهم في ذلك إذ هو مدى ما يعرفون. و كان شكل القرآن متجاوباً مع العصور في تطوير خطوطه حتى طباعته في الغرب و في مصر و في أجزاء أخرى من الوطن العربي.

الفصل السادس: سلامه القرآن، و قد تناول بالبحث توثيق النص القرآني، و عدم وقوع التحريف فيه. و عالجت القول بالتحريف من كل وجوهه و افتراضاته، فكان مبني على ادعاءات، و افتراضات، و روايات، و اتهامات، و شبهات، و محاولات.

عرضنا لها جميعاً بشيء من المناقشه و الحجاج و السرد، انتهينا من خلالها جميعاً إلى سلامه القرآن و صيانتها من التحريف.

و كانت مصادر هذه الدراسه و مراجعها تعتمد ما كتب القدامى في

علوم القرآن، و التفسير، و أسباب النزول، و القراءات، و الرسم، و الحديث، و ما حققه المحدثون من إنجاز فى المجالات نفسها، و إن كان متضائلا، و ما كتبه المستشرقون فى تاريخ القرآن، و نظمه، و تأليفه، و شكله، و كتابته، و قراءته، و مراحلها، و مكىه، و مدنيه، و غيرها.

و لم يكن ضروريا موافقه من كتب، أو متابعه من اجتهد، فطالما اختلفنا فى وجهات النظر المتغايره، و ربما انتقدنا و ذهبنا بالنقد كل مذهب ينتهى إلى الحقيقه، و ربما اتفقنا مع جملة من الآراء. و إزاء هذا و ذاك، احترمنا كل رأى، مصيبا كان أم مخطئا، مع إقرارنا للصواب و مناقشتنا للخطأ، سواء أخذنا بذلك أو لم نأخذ، فالطريق العلمى أحق أن يتبع، و الاستنتاج القائم على أساس المقارنه بين النصوص، و الممايزه بين الاجتهادات، أجدر بالاحترام المنهجى، و قدسيه الأثر الدينى المتمثل فى القرآن الكريم أسمى من كل الاعتبارات الهامشيه التى لا تمتّ إلى المنطق بصله، و الأسماء و إن كانت لامعه إلا أنها قد تختفى بأضواء الحقائق العلميه.

هذا ما انتهجته هذه الدراسه فى الرأى و الكشف و الاجتهاد، و ما توفيقى إلا باللّه العلى العظيم، عليه توكلت و إليه أنيب، و هو حسبى و نعم الوكيل.

الدكتور محمد حسين على الصغير

الفصل الأول: وحى القرآن

ص: ٩

ما برحت حياه النبي محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم موضع عنايه الدارسين من أبعاد مختلفه، و بقدر ما عبي للموضوع من أهبه و استعداد، و منهجيه في أغلب الأحيان، فما تزال هناك بقيه للبحث، فقد تنقصنا كثير من الوثائق عن حياته الروحيه قبل البعثه، و صلتها بحياته العامه و الخاصه بعد البعثه.

هناك شذرات متناثره في كتب السير و التاريخ و الآثار، تتعلق بحياه النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم هامشيا، تتخذ مجال الثناء و الاطراء حيناً، و تتسم بطابع الحب و التقديس حيناً آخر، و هي مظاهر لا تزيد من منزله النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم الذاتيه، و لا تكشف عن مكونات مثله العليا، ذلك باستثناء الإجماع على عزلته في عبادته و تحته، و الاقتناع بصدقه و أمانته، و هي شذرات غير غريبه في أصاله النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم الكريمه، و تقويمه الخلقى الرصين.

و تطالعنا-أحياناً-أحداث في تاريخ النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم قبل البعثه، لها مداليل من وثاقه، و رجاحه من عقل، كالمشاركه الفاعله في حلف الفضول، و تميزه بالدفاع عن ذوى الحقوق المهتممه، و كاللفته البارعه في رفع الحجر الأسود، و وضعه بموضعه من الكعبه اليوم، بما أطفأ به نائره، و أحمد فتنه.

و هناك انفراده عن شباب عصره بالحشمه و الاتزان، و هو في شرح الصبا و عنفوان العمر، و التأكيد على الخلوه الروحيه بين جبال مكه و شعابها، و في غار حراء بخاصه، و الحديث عن تجواله في سفرتين تجاريتين، لا يفصح كثيرا عن ثمره تجربتهما النفسيه، و لا يعرف صدى مشاهداتهما روحيا و اجتماعيا.

فى حىاته العائلىه قبل البعثه نجهه ىتىما ىسترضع فى بنى سعد، و يقعد أبوىه تباعا، و يحتضنه جده عبد المطلب حضانه العزىز المتمعن، و بوفاته ىوصى به لأبى طالب، و ىتزوج و هو فتى فى الخامسه و العشرىن من عمره من السىده العربىه خدىجه بنت خوىلد، و كان زواجا ناجحا فى حىاه عائلىه سعیده، تكّد و تكدح فى تجاره تتأرجح بىن الرىح و الخسران، و فجأه الوحى الحقّ، و التجأ إلى خدىجه، تزمله آنا، و تدثره آنا آخر.

و ىنهض النبى صلّى الله علیه و آله و سلّم فى دعوته، فتجد الدعوه مكذبىن و مصدقىن، و تقف قرىش بكبرىائها و جبروتها فى صدر الدعوه، و ىلقى الأذى و العنت من قومه و عشىرته الأقربىن، و فى حمأه الأحداث ىموت كافله و زوجته فى عام واحد، فىكون علیه عام الأحزان، فلا ىلد الذى قدمتم المال للرساله، و لا الساعد الذى آوى و حامى، و ىوحى إليه بالهجره، فتمثل حدثا عالمىا فىما بعد.

هذه لمحات ىذكرها كل من ىترجم للنبى صلّى الله علیه و آله و سلّم ىطىل بها البعض، و ىوجز البعض الآخر، و لىست كل شىء فى حىاه النبى صلّى الله علیه و آله و سلّم فقد تكون غىضا من فىض.

و لست فى صدد تأرىخىه هذه الأحداث، و لا- بسىل برمجتها، لألقى علیها ظلالا مكثفه من البحث، و لكنها لمسات تمهیدىه تستدعى الإشاره فحسب.

و مهما ىكن من أمر، فقد تبقى طرىقه النبى صلّى الله علیه و آله و سلّم المنهجىه فى التوفىق بىن واجباته الروحىه و مهماته القىادىه من جهه، و بىن حىاته العامه و مساره الدنىوى من جهه ثانیه، لا تجد تأرىخا ىمثل بدقه و وضوح تامىن المنهج الرىسى الذى اختطه لنفسه هذا القائد العظىم و هو فى مكه المكرمه.

فى المدینه المنوره حىث العدد و العده، و النصره و الفداء، نلمس إىحاء قرآنىا بنقطتىن مهمتىن:

الأولى: مواجهته للمنافقىن و تحركهم جهره و خفاء، و تدبذبهم إزاء الرساله بىن الشك المتمادى، و التصدىق الكاذب، ىصافحون أهل الكتاب تاره، و ىوالون مشركى مكه تاره أخرى، حتى ضاق بهم ذرعا، و نهاهم

القرآن الكريم عن التردى فى هذه الهاويه مرارا و تكرارا، و هددهم بالاستئصال و التصفيه بعض الأحيان، و لم ينقطع كيدهم، فمثلوا ثوره مضاده داخلية، تفتك بالصفوف و تفرق الجموع، لو لا- الوقوف فى نهايه الأمر بوجه ترددهم الخائف، و هزائمهم المتلاحقه، إثر ما حققه الإسلام من انتصارات فى غزواته و حروبه الدفاعيه، إلا- أن جذوتهم بقيت نارا تحت رماد، و عاصفه بين الضلوع، تخمد تاره و تهب أخرى.

الثانيه: مجابته للفضولين، الذين كانوا يأخذون عليه راحتته، و يزاحمونهُ و هو فى رحاب بيته، بين أفراد عائلته و زوجاته، فينادونه باسمه المجرد، و يطلبون لقاءه دون موعد مسبق، بما عبّر عنه القرآن بصراحه:

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ - ٤ . (١).

و استأثر البعض من هؤلاء و غيرهم بوقت القائد، فكانت الثرثره و الهدر، و كان التساؤل و التنطع، دون تقدير لمملكه هذا الوقت، و عائديه هذه الشخصيه، فحدّ القرآن من هذه الظاهره، و اعتبرها ضربا من الفوضى، و عالجهما بوجوب دفع ضريبه ماليه تسبق هذا التساؤل أو ذاك الخطاب، فكانت آيه النجوى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدْقَهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ - ١٢ (٢).

و كان لهذه الآيه وقع كبير، فامتنع الأكثرون عن النجوى، و تصدق من تصدق فسأل و وعى و علم، و انتظم المناخ العقلى بين يدي الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم فكفّ الفضول، و تحددت الأسئلة، ليتفرغ النبي صلى الله عليه و آله و سلم للمسئوليه القياديه.

و لما وعت الجماعه الإسلاميه مغزى الآيه، و بلغ الله منها أمره، نسخ حكمها و رفع، و خفف الله عن المسلمين بعد شدة مؤدبه، و فريضه رادعه، و تأنيب فى آيه النسخ: ٢.

ص: ١٣

١- الحجرات: ٤.

٢- المجادله: ١٢.

أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدَقَاتٍ فَبِأِذْنِ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ-١٣ (١).

كان هذا و ذاك يستدعى الوقوف فتره زمنيته عند رعايه الوحي للنبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم في التوفيق بين واجباته القيادية، و حياته الاعتيادية، فأمام المنافقين نجد الحذر و اليقظة يتبعهما الإنذار النهائي باغرار النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم بهم، و عند الحادثتين التاليتين نجد الوحي حاضرا في اللحظة الحاسمه، فيسليه في الأولى بأن أكثر هؤلاء لا يعقلون. و يعظمه في الثانيه بجعل مقامه متميزا، فلا يخاطب إلا بصدقه، و لا يسأل إلا بزكاه.

و ما زلنا في هذا الصدد فإننا نجد الوحي رفيقا أمينا لهذا القائد الموحى إليه، من هذه الزاويه التوفيقية بين التفرغ لنفسه، و التفرغ لمسئوليته، و هذا أهم جانب يجب أن يكشف في حياه النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و الكشف عنه إنما يتم بدراسه حياه النبي الخامسة مرتبطه بهذه الظاهره، و هي ظاهره الوحي الإلهي، و مدى الاتصال و الانفصال بينها و بين النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و حاجته الملحه إلى هذا الشعاع الهادي، منذ البدء و حتى النهايه.

لم يكن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم بدعا من الرسل، و لم يختص بالوحي دونهم، بل العكس هو الصحيح، فقد شاركهم هذه الظاهره، و قد أوحى إليه كما أوحى إليهم من ذي قبل، قال تعالى:

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا* وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (٢).

فقد هدفت الآيه و ما بعدها إلى بيان حقيقه الوحي الشامله للأنبياء عليهم السّلام كافه، ممن اقتص خبرهم و ممن لم يقتص، و إثثار موسى بالمكالمه وحده.

و يبقى التساؤل قائما: بما ذا تفسر هذه الظاهره، و كيف تعلق نفسيا؟ و كيف تنطبق كونيا، و كيف عولجت قرآنيا؟ و هل هي حقيقه تنطلق من ذات.

ص: ١٤

١- المجادله: ١٣.

٢- النساء: ١٦٣-١٦٤.

النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم؟ أم هي ظاهره منفصله عنه تماما، و ما هو سبيل معرفتها جوهريا عند النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم؟ و عند الناس؟ و كيف آمن به بكل قوه و يقين و آمن بها من حوله؟ و للإجابة عن هذه الافتراضات، لا بد من رصد جديد لهذه الأبعاد كافه، و قد يرى ذلك غريبا في تأريخ القرآن، و لكن نظره تمحيصيه خاطفه، تؤصل حقيقه هذا المناخ، و تؤكد ضروره هذا المنهج، لأن الوحي يشكل بعدا زمنيا معنيا يقترن بنزول القرآن، و ذلك أول تأريخ القرآن، و يستمر معه بوحى القرآن متكاملًا، و ذلك تفصيلات تأريخ القرآن فى عهد الرساله، و هو الجزء المهم و الأساس فى هذا التأريخ.

و باستعراض هذه الافتراضات سوف نلمس النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم عبدا مأمورا محتسبا، ينقذ و لا يسأل، و يبلغ و لا يضيف، مهمته التلقى و الأداء، مستقلا بذاته، و منفصلا عن ظاهرته، و يبقى الجمع بين حياته العامه و الخاصه من اختصاصه بتوجيه من الله تعالى، و بعنايه من وحيه، فلا تعارض بينهما، فيرتفع بذلك ما أثرناه مسبقا، و يتلاشى الإشكال بهذا الملحظ، مع أننا نلمس بشكل جدى أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم قد وهب حياته للوحي، مبلغا أمينا، و رسولا كريما، إلا أن شخصيته حقيقه، و الوحي حقيقه أخرى، و هذا ما ندأب إلى إثباته عليما.

إن ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن ظاهره الوحي، قد يراد بها المكاشفه، و قد يعبر عنها بالوحي النفسى تاره، أو الإلهام المطلق تاره أخرى، دون تحديد مميز، لا يتوافق مبدئيا مع دراسه النهج الموضوعى لظاهره الوحي.

إن كلمه الإلهام ليس لها أى مدلول نفسى محدد، مع أنها مستخدمه عموما لكى ترد معنى الوحي إلى ميدان علم النفس.

و الوحي النفسى يدور حول معرفه مباشره لموضوع قابل للتفكير، و الوحي الإلهى يجب أن يأخذ معنى المعرفه التلقائيه و المطلقه الموضوع لا يشغل التفكير، و أيضا غير قابل للتفكير.

و المكاشفه لا تنتج عند صاحبها يقينا كاملا، و يقين النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم بالوحي قد كان كاملا، مع وثوقه بأن المعرفه الموحى بها غير شخصيه، و طارئه، و خارجه عن ذاته (١).

و الوحي الإلهي هو الفصل الذي يكشف به الله للإنسان عن الحقائق التي تجاوز نطاق عقله (٢).

و إذا كان الوحي فعلا متميزا، فهو صادر عن فاعل مرید، و هذا الفاعل المرید هو الله تعالى، و ليس الإلهام و الكشف كذلك، و هذا ما يميز الوحي عن المكاشفه، و الوحي النفسى، و الإلهام، إذ أن مردّ الإلهام يعود عادة إلى الميدان التجريبي لعلم النفس، و نزعه الوحي النفسى فى انقداحها تعتمد على التفكير فى الاستنباط، و المكاشفه تتأرجح بين الشك و اليقين.

أما الوحي فحاله فريده مخالفه لا تخضع إلى التجربه أو التفكير، و متيقنه لا مجال معها للشك. مضافا إلى أن حالات الكشف و الإلهام و الإيحاء النفسى حالات لا شعوريه و لا إراديه، و الوحي ظاهره شعوريه تتسم بالوعى و الإدراك التامين.

و الوحي بالمعنى المشار إليه يختص بالأنبياء، و ليس الإلهام أو الكشف كذلك، فهما عامان و شائعان بين الناس.

و لقد فرّق المستشرق الألماني الدكتور تيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠ م) بين الوحي و الإلهام تفريقا فيه مزيج بين الواقع و الصوفيه، فاعتبر الوحي خاصا بالأنبياء، و الإلهام خاصا بالأولياء إذ لا يوحى إليهم (٣).

و يتجلى الفرق بين الإلهام و الوحي بتعبير آخر، و بتصور متغاير، أن مصدر الإلهام باطنى، و أن مصدر الوحي خارجى، بل الإلهام من الكشف المعنوى، و الوحي من الواقع الشهودى، لأن الوحي إنما يتحصل بشهود الملك و سماع كلامه، أما الإلهام فيشرق على الإنسان من غير واسطهن.

ص: ١٦

١- ظ: مالک بن نبى، الظاهره القرآنيه: ١٦٧ و ما بعدها.

٢- ظ: د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى: ٥٧٠/٢.

٣- ظ: نولدكه، دائره المعارف الإسلاميه: مجلد ٩ ماده: الدين.

ملك، فالإلهام أعم من الوحي، لأن الوحي مشروط بالتبليغ، ولا يشترط ذلك في الإلهام.

و الإلهام ليس سببا يحصل به العلم لعامة الخلق، و يصلح للبرهان و الإلزام، و إنما هو كشف باطنى، أو حدس، يحصل به العلم للإنسان فى حق نفسه لا على وجه اليقين و القطع، كما هى الحال فى الوحي، بل على أساس الاحتمال الإقناعى (١).

و لهذا فلا اعتبار بما حاوله الأستاذ محمد عبده: بجعل الإلهام وجدانا تستيقنه النفس، و حسابان ذلك طريقا لإمكان الوحي (٢).

إن طريق الوحي هو التلقى، و طريق هذا التلقى هو الملك و فى ضوءه نجد عبد القاهر الجرجانى (فى ٤٧١ هـ) حديا بتمثل الوحي متفردا بما ألقاه جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و أن القول بأنه: «قد كان على سبيل الإلهام، و كالشىء يلقى فى نفس الإنسان، و يهدى له من طريق خاطر و الهاجس الذى يهجس فى القلب، فذلك مما يستعاذ بالله منه، فإنه تطرق للإلهام» (٣).

و لقد تطرق بعض الباحثين الكهنوتيين فدعى بأن الوحي: «هو حلول روح الله فى روح الكتاب الملهمين لاطلاعهم على الحقائق الروحية و الأخبار الغيبية، من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئا من شخصياتهم، فلكل منهم نمطه فى التأليف، و أسلوبه فى التعبير» (٤).

و هذا التعبير عن الوحي بهذا الفهم، يختلف جذريا عن المفهوم القرآنى للوحي، و يضىف مناخا باطنيا فى الحلول و الاتحاد، يدفعه الإسلام، و هو سبيل مختصر إلى تكمص الصفاء الروحية و ادعائه من قبل من لم يحصل عليه، و فيه استهواء للدجل الاجتماعى عند الكهنة و الكذبة، و بعد ٥.

ص: ١٧

١- ظ: د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى: ١/١٣١.

٢- ظ: محمد عبده، رساله التوحيد: ١٠٨.

٣- عبد القاهر، رساله الشافيه، ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن: ١٥٦.

٤- جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، و انظر: صبحى الصالح مباحث فى علوم القرآن: ٢٥.

هذا: فهو مغاير لمفهوم الوحي و طريقته اللذين خاطب الله بهما رسله، و علمهم من خلالهما، مع استقلال في شخصيه الوحي، بعيد عن مراتب الفراسه و التجانس الروحي، و استقلال في المتلقى بعيد عن الاستنتاج الذاتى، أو التعبير المطلق بكل صورته.

إن عملية الوحي الإلهي إنما تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين:

«ذات متكلمه أمره معطيه، و ذات مخاطبه مأموره متلقيه» (١).

و لم تتشاكل في مظهر من مظاهر الوحي و ظاهرتة، الذات المتكلمه، و الذات المخاطبه في قالب واحد، و لم يتحدا في صورته واحده على الإطلاق، فهما متغايران.

إن ظاهره الوحي الإلهي ظاهره مرثيه و مسموعه، و لكنها خاصه بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و وحده، فما اتفق و لو مره واحده، أن سمع أصحابه صوت الوحي، و لا حدث أن رأوا هذا الكائن الموحى، و مع هذا فقد أدركوا صحه ما نزل عليه، و صدق ما أوحى إليه، بدلائل الإعجاز، و قرائن الأحوال، و اعتبارات الاختصاص، فالنفس الإنسانيه، و إن كانت واحده في الأصل و الجواهر، و لكنها تختلف شفافيه كما تختلف تخويلا من قبل الله تعالى، فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم يرى و يسمع و يعي ما حوله من الظاهره بيقين مرثي مشاهد، و من حوله لا يرون و لا يسمعون و لكنهم يصدقون و يؤمنون.

و ربما قيل أن ما يتلقاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم من الروح الأمين و هو رسول الوحي: «هو نفسه الشريفه من غير مشاركه الحواس الظاهره، التي هي الأدوات المستعمله في إدراك الأمور الجزئيه، فكان صلى الله عليه و آله و سلم يرى و يسمع حينما يوحى إليه من غير أن يستعمل حاستي البصر و السمع... فكان صلى الله عليه و آله و سلم يرى الشخص، و يسمع الصوت مثل ما نرى الشخص و نسمع الصوت غير أنه ما كان يستخدم حاستي بصره و سمعه الماديتين كما نستخدمهما، و لو كانت رؤيته و سمعه بالبصر و السمع الماديين لكان ما يجده مشتركا بينه و بين غيره، فكان سائر الناس يرون ما يراه، و يسمعون ما يسمع، و النقل القطعي يكذب» ٧.

ص: ١٨

١- ظ: مالك بن نبي، الظاهره القرآنيه: ١٩٤+ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ٢٧.

ذلك، فكثيرا ما كانت تأخذه برحاء الوحي، وهو بين الناس، فيوحي إليه، و من حوله لا يشعرون بشيء، ولا يشاهدون شخصا يكلمه» (١).

و قد يفسر هذا بأنه ظاهره ذاتيه، ولكن عمى الألوان (٢) -مثلا- يقدم لنا حاله نموذجيه، لا يمكن في ضوئها أن ترى بعض الألوان بالنسبه لكل العيون.

«هناك مجموعه من الإشعاعات الضوئية دون الضوء الأحمر، و فوق الضوء البنفسجي لا تراها أعيننا، و لا شيء يثبت علميا أنها كذلك بالنسبه لجميع العيون، فلقد توجد عيون يمكن أن تكون أقل أو أكثر حساسيه أمام تلك الأشعه، كما يحدث في حاله الخليه الضوئيه الكهرييه» (٣).

و هذا مطرد بالنسبه للبصر المادى المتفاوت، أما على التفسير الأول، فينتفى الأشكال جمله و تفضيلا، فهو من باب الأولى.

و لقد توصل النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى اليقين القطعي بصدق الرؤيه و السمع عند حدوث ظاهره الوحي طيله ثلاثه و عشرين عاما، و كان لذلك أمارات خارجيه تبدو على وجهه و عينه و جبينه، من شجوب أو احتقان أو تصيب عرق، و قد يرافق ذلك دوى بجسمه أو أصداء أو أصوات كما تقول الروايات (٤).

و لكن هذه المظاهر لم تمتلك عليه و عيه الكامل، و إحساسه اليقظ، لأنها أمارات خارجيه لا- تغير من حقيقه شعوره على الإطلاق، فقسمات الوجه، و تعرق الجبين، و شحوب المحيا لا تدل في حاله اعتياديه على تغير في الوعي، أو انعدام للذاكره، أو فقدان للشعور، و ما هي إلا طوارئ عارضه لا تمس الجوهر بشيء. ١.

ص: ١٩

١- الطباطبائي، الميزان: ٣١٧/١٥ و ما بعدها.

٢- عنى الألوان قسمان: كلي و جزئي، فالكلي هو العجز عن التمييز بين الألوان مع بقاء الإحساس البصرى سليما من الاضطراب، و الجزئي هو العجز عن إدراك لون بعينه، أو عن تمييز ذلك اللون عن غيره. (ط: المعجم الفلسفى: ١٠٨/٢).

٣- مالك بن نبي، الظاهره القرآنيه: ١٧٨.

٤- ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١٩٧/١+ البخارى، الجامع الصحيح: ٤/١+ الفتح الربانى: ٢٠/٢١٢+ فتح البارى: ٢١/١.

و لقد تعجل بعض النقاد من المستشرقين، حين ألموا بهذه الدلائل النفسيه، و الإمارات الشكليه الخارجيه التي لا تتناب الوعى إطلافاً، و لا تؤثر على الإدراك فى حال، فاعتبروها-مخطئين-أعراضاً للتشنج تاره، و للإغماء تاره أخرى. «و هذا الرأى يشمل خطأ مزدوجاً حين يتخذ من هذه الأعراض الخارجيه مقياساً يحكم به على الظاهره القرآنيه بمجموعها، و لكن من الضرورى أن نأخذ فى اعتبارنا قبل كل شىء الواقع النفسى المصاحب، الذى لا يمكن أن يفسر أى تعليل مرضى... فإذا نظرنا إلى حاله النبى صلى الله عليه و آله و سلم وجدنا أن الوجه وحده هو الذى يحتقن؛ بينما يتمتع الرجل بحاله عاديه، و بحريه عقليه ملحوظه من الوجهه النفسيه، بحيث يستخدم ذاكرته استخداماً كاملاً- خلال الأزمه نفسها، على حين يمحي و عى المتشنج و ذاكرته خلال الأزمه، فالحاله-إذن-ليست حاله تشنج.

هذا التلازم الملحوظ بين ظاهره نفسيه فى أساسها، و حاله معينه، هو الطابع الخارجى المميز للوحى» (١).

و هكذا كان لظاهره الوحى عند بعض المستشرقين تفسيرات خاطئه، أملاها حقد و دجل و افتراء، فقد كان الوحى على حد زعمهم أثراً لنوبات الصرع التى تعترى الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم فكان يغيب عن صوابه، و يسيل منه العرق، و تعترى التشنجات، و تخرج من فيه الرغوه، فإذا أفاق من نوبته ذكر أنه أوحى إليه، و تلا على المؤمنين به ما يزعم أنه وحى من ربه (٢).

و مع ما فى هذا الزعم من الكذب المضحك، و الغض المعتمد من منزله النبى صلى الله عليه و آله و سلم الرساليه، فالطريف أن ينبرى له المستشرقون أنفسهم، لا- سيما هنرى لامنس، و فون هامر، و أمثالهما، للرد عليه، إلا أن فى طليعه هؤلاء جميعاً السير وليم موير (١٨١٩ م / ١٩٠٥ م) (٣).

لقد فند هذا الباحث المحايد فى كتابه (حياه محمد) مزاعم الجهله الحاقدين، و عقب على ظاهره الوحى و أعراضها الخارجيه بقوله: «و تصوير، P»

ص: ٢٠

١- مالك بن نبى، الظاهره القرآنيه: ١٨٢.

٢- ظ: بكبرى أمين، التعبير الفنى فى القرآن: ١٨.

٣- (٢٩-١٤). SirWilliamMuir، LifeofMohammad، P.

ما كان يبدو على محمد في ساعات الوحي على هذا النحو الخاطئ من الناحية العلميه أفحش الخطأ. فنوبه الصرع لا تذر عند من تصيبه أى ذكر لما مرّ به أثناءها، بل هو ينسى هذه الفتره من حياته بعد إفاقتة من نوبته نسيانا تاما، و لا يذكر شيئا مما صنع أو حلّ به خلالها، لأن حركة الشعور و التفكير تتعطل فيه تمام العطل. هذه أعراض الصرع كما يثبتها العلم، و لم يكن ذلك ما يصيب النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم العربى أثناء الوحي، بل كانت تنبئه حواسه المدركه فى تلك الأثناء تنبئها لا عهد للناس به، يذكر بدقه-غايه الدقه- ما يتلقاه، و ما يتلوه بعد ذلك على أصحابه، ثم نزول الوحي لم يكن يقترن حتما بالغيوبه الحسيه مع تنبه الإدراك الروحي غايه التنبه، بل كثيرا ما يحدث و النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم فى تمام يقظته العاديه» (١).

و فى ضوء ما تقدم يمكن أن نرصد فى ظاهره الوحي عمليه إرسال و استقبال بوقت واحد، إرسال بوساطه الملك المؤمن، و استقبال من قبل النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم المصطفى صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، يتم ذلك فى حاله إدراك متماسكه، يسيطر فيها الوعى و الشعور و الإحساس، كما لو كان أمرا عاديا فى يقظه حقيقه، قبل الوحي، و أثناء الوحي، و بعد الوحي، مهما صاحب عمليه الوحي من شدة و وطأه و مفاجأه. فالوحي حقيقه خارجيه مستقله عن كيان النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم النفسى، و لكنها لا تغير ذلك الواقع النفسى، بل تزيده جلاء و فطنه و ذاكره، و يمثل فيها النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم دور المتلقى الواعى من جهه، و دور المبلغ الأمين من جهه أخرى، لا يقدم و لا يؤخر، و لا يغيّر و لا يقترح، و لا يفتر و لا يتكاسل. و لقد كان ذلك بحق:

«استقبالا من النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم لحقيقه ذاتيه مستقله، خارجه عن كيانه و شعوره الداخلى، و بعيده عن كسبه أو سلوكه الفكرى أو العملى» (٢).

و ليس من الضرورى أن تتوافق هذه الظاهره مع رغبات النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم الآنيه، أو تطلعاته النفسيه الملحه، فقد ينقطع عنه الوحي، و قد يتقاطره.

ص: ٢١

١- ظ: بكرى أمين، التعبير الفنى فى القرآن: ١٩.

٢- المصدر السابق، نفس الصفحه.

عليه، ولكنه لا- يعدو الوقت المناسب في تقدير الله عزّ وجلّ، و ما تحويل القبله إلى الكعبه، و إبطاء الوحي في حادثه الإفك، و فتره الوحي حيناً، و التلبث في قصه أهل الكهف، إلا- شواهد تطبيقه على ما نقول، و أدله مثبتة: أن الوحي خارج عن إرادته، و مستقلّ عن ذاته.

و لا شك أن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم آمن منذ اللحظة الأولى-بقناعه شخصيه متوازنه-بأن ما يوحى إليه ليس من جنس الأحلام و أضغاثها، و لا من سنخ الرياضيات و مسالكها، و لا من باب الأحاسيس القائم على أساس من الذكاء و الفطنه، و لا من قبيل التخيلات المستنبطه من الحدس و الفراسه، و إنما كان بإيمان نفسى محض بأنه نبي يوحى إليه من قبل الله تعالى، و ما الروايات و الإسرائيليات القائله بشكه في الظاهره إلا ضرب من الأخيله التي لا يدعمها دليل.

«و الحق أن وحي النبوه و الرساله يلزم اليقين من النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و الرسول بكونه من الله تعالى على ما ورد عن أئمه أهل البيت عليهم السلام» (١).

و يوحى الله عزّ وجلّ لمملك الوحي، ما يوحيه الملك إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم عن الله، و يتسلّم النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم الوحي، فالوحي واحد هنا مع تقاسم المسئوليه، و هو عام بالنسبه لكل الأنبياء، و خاص بالنسبه لوحي القرآن أيضاً، فالملك يؤدي عن الله لمحمد، و محمد يتلقى ذلك الوحي من الملك، و يؤدي ما يوحى به إليه إلى الناس، و كان ذلك طريق الوحي القرآني فحسب، و قد صرح به القرآن الكريم بقوله تعالى:

وَ إِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ - ١٩٢ (٢).

و الروح الأمين هو جبرائيل عليه السّلام بإجماع الأمه و الروايات؛ قال الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ): «يعنى جبرائيل عليه السّلام، و هو أمين الله لا يغيره، و لا يبدله... لأن الله تعالى يسمعه جبرائيل عليه السّلام فيحفظه، و ينزل به على الرسول ٤.

ص: ٢٢

١- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٣٢٨/٢٠،

٢- الشعراء: ١٩٢-١٩٤.

و يقرأه عليه، فيعيه و يحفظه بقلبه، فكأنه نزل به على قلبه» (١).

و هذا صريح بكيفية تلقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للقرآن من جبرائيل عليه السَّلام، على قلبه تثبيتاً و حفظاً و رعايه، و القلب أشرف الأعضاء للتدبر و التفكير إن أُريد به هذا الجهاز العضلي، و إلا فهو الإدراكات النفسية الخاصة لدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المستعدة للتلقى و الصيانه و الاستيعاب دون ريب.

و كان ما نزل به جبرائيل عليه السَّلام بإيحاء من الله تعالى هو النص الصريح من الوحي القرآني دون زياده أو نقصان، بألفاظه المدونه في المصحف من ألفه إلى يائه.

و لما كان الأمر كذلك، فقد تحدث هذا النص المحفوظ بين الدفتين عن ظاهره الوحي بوحى القرآن و سواه، و طرقها، و كيفيتها، و أقسامها. و من الضروري حقا استعراض مختلف أنشطه الموضوع من القرآن نفسه، مع الاستعانه باللغه حيناً، و بالتبادر العربى العام حيناً آخر، لأن القرآن عربى، و التبادر علامه الحقيقه.

صرّحت الآيه التاليه:

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ، مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيَّ حَكِيمٌ ٥١ (٢).

بطرق الوحي الإلهي، و حدود كفيه هذا الوحي، و مراتب إيصاله على النحو التالي:

١- الوحي، و أصل الوحي هو: الإشاره السريعه على سبيل الرمز و التعريض، و ما جرى مجرى الإيماء و التنبيه على الشىء من غير أن يفصح به (٣).

و قد يكون أصل الوحي فى اللغه كلها الإعلام فى خفاء (٤).

ص: ٢٣

١- الطبرسى، مجمع البيان: ٢٠٤/٤.

٢- الشورى: ٥١.

٣- قارن فى ذلك بين: الراغب، المفردات: ٥١٥+ الطبرسى، مجمع البيان: ٣٧/٥.

٤- ظ: ابن منظور، لسان العرب: ٢٥٨/٢٠.

و مؤدى التعريفات واحد فيما يبدو، إذ الإشاره السريعه، إعلام عن طريق الرمز، و الرمز إيماء يستفيد منه المتلقى أمرا إعلاميا قد يخفى على الآخرين.

و من ثم قيل «للكلمه الإلهيه التى تلقى إلى أنبيائه وحى» (١) باعتبار إسرارها إليهم من قبل ملك الوحي، و اختصاصها بهم دون سائر الناس.

قال ابن الأنبارى: سمي الوحي وحيا لأن الملك أسره على الخلق، و خص به النبي صلى الله عليه و آله و سلم (٢).

و من هنا يبدو أن التعريف الشرعى متحدر عن الأصل اللغوى فى خصوصيه الإسرار و الإعلام السريع، و ما يصاحب ذلك من الإشاره و الرمز اللذين يخفيان على الآخرين.

و قد عبر الأستاذ محمد عبده عن ذلك بما يقارب هذا المؤدى فقال:

«بأنه عرفان يجده الشخص فى نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطه، أو بغير واسطه، و الأول بصوت يتمثل لسمعه، أو بغير صوت» (٣).

و لعل المراد بما يتلقاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم من العرفان اليقيني بغير صوت هو الإلقاء فى الروح، و ذلك بأن ينفث الله فى روح النبي صلى الله عليه و آله و سلم ما يشاء من أمر، أو ينفث روح القدس ما أوحى إليه بتبليغه إياه، فيكون ذلك من الوحي بوجه من الوجوه.

و قد يؤيد هذا الملحظ ما نسب إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه

قال: «إن روح القدس نفث فى روعى» (٤).

٢- سماع كلام الله تعالى مباشرة من وراء حجاب دون معانيه أو رؤيه، لامتناع ذلك عقلا و شرعا، كما كلم الله موسى بن عمران عليه السلام: وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (٥). و كان ذلك من وراء حجاب «و هو ٤.

ص: ٢٤

١- الراغب الأصفهاني، المفردات: ٥١٥.

٢- ابن منظور، لسان العرب: ٢٥٨/٢٠.

٣- ظ: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي: ٢٨.

٤- ظ: الحديث فى الاتقان للسيوطي: ١٢٩/١+ المفردات للراغب: ٥١٥.

٥- النساء: ١٦٤.

أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السّلام لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا عن موسى عليه السّلام وحده، لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدوده» (١).

٣- أو يرسل رسولا- فيوحى بإذنه ما يشاء، كما فى تبليغ جبرائيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى صورته معينه، أو صور متعدده، ووحى القرآن الكريم عن الله، من غير أن يكلم الله نبيه على النحو الذى كالم به موسى عليه السلام.

هذه الأصناف و المراتب فى الإيحاء حددتها الآيه الكريمه السابقه فيما يتعلق بوحى الأنبياء عليهم السّلام كما يبدو، إلا أننا من متابعه هذه الظاهره فى القرآن الكريم، لاحظنا بعض الدلالات الإيحاءيه لهذا التعبير قد تختلف عما تقدم، ويمكن الإشاره إلى أهمها بما يلى:

أ-الإلهام، وهو أن يلقى الله تعالى فى النفس أمرا يبعث على الفصل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص به الله من يشاء من عباده، غير قابل للتفكير به، أو التخطيط له مسبقا، ليفرق بينه وبين الحالات اللاشعوريه من جهه، والسلوك الكسبى من جهه أخرى، كما يدل على ذلك قوله تعالى: **وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ... (٢)**. وقوله تعالى: **إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحى ٣٨ (٣)**.

ب-التسخير، وهو أن يسخر الله تعالى بعض مخلوقاته إلى عمل ما، بهديه وإشاءته و تسخيره، بشكل من الأشكال التى لا تستوعبها بعض مداركنا أحيانا، ويستيقنها الذين آمنوا دون أدنى شبهه، كما يدل على هذا النوع قوله تعالى:

وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا... ٦٨ (٤).

ج-الرؤيا الصادقه، وهى وحى إلهى بالنسبه للأنبياء عليهم السّلام خاصه، ٨.

ص: ٢٥

١- الطبرسى، مجمع البيان: ٣٧/٥.

٢- القصص: ٧.

٣- طه: ٣٨.

٤- النحل: ٦٨.

يتلقون فيها الأوامر، ويتسلمون التعليمات من السماء، كما دل على ذلك قوله تعالى -فيما اقتص الله من خبر إبراهيم عليه السلام مع ولده-:

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِن الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) (١).

فأشارت الآيات إلى الرؤيا الصادقة في المنام، وإلى استفادته إبراهيم عليه السلام و ولده عليهما السلام، الأمر الإلهي فيها، للدلالة على أنها وحى يستلزم العمل به، بدليل تعقيب ذلك من قبل الله في خطاب إبراهيم عليه السلام بتصديق الرؤيا و جزاء المحسنين. و قد تكون الرؤيا في جزء من هذا الملحظ تمهيدا للوحى المباشر، و قد يعبر عنها بالصادقة أو الصالحة، كما حصل هذا المعنى بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أول بدء الوحي، كما في روايه أم المؤمنين عائشه:

«أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة (الصالحة) في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» (٢).

و قد تكون الرؤيا نوعا من الوعد الحق الذي يقطعه الله لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم كما هو الحال في شأن فتح مكة، قال تعالى:

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ... ٢٧ (٣).

و قد دل على جميع ما تقدم مضافا للآيات القرآنية ما يروى عنه صلى الله عليه و آله و سلم:

«انقطع الوحي، و بقيت المبشرات: رؤيا المؤمن، فالإلهام، و التسخير و المنام» (٤). ٦.

ص: ٢٦

١- الصافات: ١٠٢-١٠٥.

٢- البخارى، الجامع الصحيح: ٧/١.

٣- الفتح: ٢٧.

٤- الراغب، المفردات: ٥١٦.

و فيه-إذا صح-تفريق بين الوحي المباشر، و هو جبرائيل عليه السّلام، و بين ما أشار إليه من المبشرات التي يبدو أنها غير الوحي الذي يريده الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ.

و قد يكون الوحي بملحظ آخر عاما بين جميع الأنبياء و الرسل، و قد يكون خاصا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، فما كان عاما يكون مشتركا بينه و بين الأنبياء و المرسلين لأنه أحدهم بل سيدهم، و ما كان خاصا ينفرد به وحده.

فالأول: كقوله تعالى: **وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ-٢٥. (١)**

و يبدو أن هذا الوحي يشتمل على جميع أقسام الوحي و كفياته، و لا يختص بالإيحاء بمعناه الدقيق، لأن الإيمان بالوحدانية فطره إنسانيه تحتمها طبيعه العقل السوى، و الأنبياء بعامة يتمتعون بهذه الفطره نفسيا و عقليا.

قال الراغب الاصفهاني (ت: ٥٥٠٢هـ): «فهذا الوحي هو عام في جميع أنواعه، و ذلك أن معرفه وحدانيه الله تعالى، و معرفه وجوب عبادته ليست مقصوره على الوحي المختص بأولى العزم من الرسل، بل يعرف ذلك بالعقل و الإلهام كما يعرف بالسمع، فإذن المقصود من الآيه تنبيه أنه من المحال أن يكون رسول لا يعرف وحدانيه الله، و وجوب عبادته» (٢).

و الثاني: ما هو مختص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وحده، كالأمر له في قوله تعالى:

اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ... ١٠٦. (٣)

و كإخباره عن نفسه، محكيا بقوله تعالى:

إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٩ (٤) و كالطلب إليه بقوله تعالى: ٩.

ص: ٢٧

١- الأنبياء: ٢٥.

٢- الراغب، المفردات: ٥١٦.

٣- الأنعام: ١٠٦.

٤- الأحقاف: ٩.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ... ١١٠ (١).

و في هذا الضوء، فإن ما يوحى به إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يخلو: إما أن يكون تعليمات يؤمر بإشاعه مفاهيمها بين الناس بحال من الأحوال، وإما أن يكون كلاماً يؤمر بتدوينه، ويثبتته اللهُ في قلبه، ويتلوه بلسانه، فيكون كتاباً فيما بعد، وإلى هذا أشار الزهري بقوله:

«ما يوحى الله به إلى نبي من الأنبياء فيثبته في قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابتها، ولكنه يحدث الناس به حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره، أن يبينه للناس و يبلغهم إياه» (٢).

و القرآن الكريم من النوع الذي ثبت في قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و تكلم به، و أمر بكتابتها و تدوينه، بعد إنزاله و حيا من قبله.

و قد أورد الزركشي عن السمرقندي ثلاثة أقوال في المنزل من القرآن:

١- إنه اللفظ و المعنى، و أن جبرائيل عليه السلام حفظ القرآن من اللوح المحفوظ و نزل به.

٢- إن جبرائيل عليه السلام إنما نزل بالمعاني الخاصة، و أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علم تلك المعاني، و عبّر عنه بلغه العرب.

٣- إن جبرائيل عليه السلام، إنما ألقى إليه المعنى، و أنه عبّر بهذه الألفاظ بلغه العرب (٣).

و الأول هو الصحيح دون ريب، لأن جبرائيل عليه السلام وصف بالروح الأمين لأمانته المتناهية، فلا يضيف و لا يغير، و لا يبدل و لا ينسى، و لا يخول و لا يتجوز، كيف لا و هو روح القدس بقوله تعالى: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ... ١٠٢ (٤).

ص: ٢٨

١- الكهف: ١١٠.

٢- السيوطي، الاتقان: ١٢٨/١.

٣- الزركشي، البرهان: ٢٢٩/١+السيوطي، الاتقان: ١٢٦/١.

٤- النحل: ١٠٢.

و القرآن نازل من عند الله بألفاظه نفسها، و ما مهمه جبرائيل عليه السلام إلا تبليغ الوحي كما تسلمه، و هو آيات الكتاب الكريم بنصوصها خالصه بدلاله قوله تعالى: تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ... ١٠٨ (١).

و قد اختار السيوطي ذلك تعبدا بلفظ القرآن إعجازا، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، و إن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثره، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه (٢).

و خصوصيه القرآن التعبد بتلاوته لأن ألفاظه نازله من الله تعالى فلا تدانيها خصوصيه أخرى، لأن هناك ما هو نازل من السماء كالأحاديث القدسيه، و لكنها ليست بقرآن، فلا خصوصيه للتعبد بتلاوتها. و إن أخذنا بمضامينها حرفيا، و لكنها لم تنزل بألفاظها المخصوصه لها كما هو شأن القرآن.

و الحديث النبوي نتعبد به أمرا و نهيا، و كان النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم يرسل الحديث و يقوله، و يتبع ذلك أهله و أصحابه، ثم يتلو القرآن و يقرؤه، فما اتفق يوما أن تشاكل النصان، أو تشابه القولان، و لو كان معنى القرآن ينقل إلى النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و حيا، أو وحيه ينقل إليه معنى، و النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم يصوغه بلفظه، و يعبر عنه بكلامه، لا شتبه القرآن بالحديث، و الحديث بالقرآن، من وجهه نظر بلاغيه على الأقل، بينما العكس هو الصحيح، فالخصائص الأسلوبيه في القرآن تدل عليه، و خصائص الحديث تدل عليه، فكل له أسلوبه المتميز، و منهجه الخاص حتى عرف ذلك القاضي و الداني، ممن آمن بالنبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و القرآن و ممن جحدهما، فالقرآن كلام الله، و محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم ينقله كما سمعه، بلفظه الدال على معناه، و بمعناه الذي نطق به لفظه، لا شيء من محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم إلا النقل الأمين، و الحديث كلام محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم يتفوه به فيشرع و يحكم، لأنه المصدر الثاني بعد القرآن للشريعة الإسلاميه، قال تعالى: وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا... (٣) ٧.

ص: ٢٩

١- آل عمران: ١٠٨.

٢- ظ: السيوطي، الاتقان: ١/١٢٨.

٣- الحشر: ٧.

و تمت دليل قرآني آخر في توجيه الخطاب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعبارة «قل» في القرآن الكريم، و تكرر فيها أكثر من ثلاثمائة مره، تصريح و أى تصريح بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لا دخل له في الوحي، فلا يصوغه بلفظه، و لا يلقيه بكلامه، و إنما يلقي إليه الخطاب إلقاء، فهو مخاطب لا متكلم، حاك لما يسمعه، لا معبر عن شيء يجول في نفسه» (١).

لهذا كان إذا نزلت عليه آيه أو سورته، بل و جزء من آيه، يدعو كتبه لتدوينها على الفور نصابا.

و لقد بهت العرب أمام ظاهره الوحي القرآني، و هم أرباب الفصاحه و البلاغه، و أئمه البيان و الفن القولي، و تذرعو للتشكيك فيها بمختلف الوسائل، فأثاروا الشبهات، و تعقلوا بالأوهام، فوصفوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالضلال، و القرآن من ورائهم يناديهم بقوله: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا عَوَىٰ (٢) وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) (٢).

و تدعوا مره أخرى إلى افتراضات متناقضه، فقالوا: أضغاث أحلام، و قد أيقنوا بصحوه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و يقظته، و ردّوه إلى الكذب و الاختلاق، و هم أنفسهم و صفوه من ذى قبل بالصادق الأمين، و نسبوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الشعر، و قد علموا بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبعد ما يكون عن مزاج الشاعر و أخيلته، و ما ترك في هذا المجال أثرا يركن إليه بهذه السمه، و قد عبر القرآن عن ذلك:

بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ... ٥- (٣) .

و ما استقامت لهم الدعوى في شيء، و وصموه بالجنون:

وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٤) ٦.

ص: ٣٠

١- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ٣٠.

٢- النجم: ١-٤.

٣- الأنبياء: ٥.

٤- الحجر: ٦.

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ ۙ (١).

وقد دلت الأحداث الاستقرائية، والسيره الذاتيه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على رجاحه عقله، و اتزانه فى تصرفاته، و تأكد لهم افتراءؤهم بما شاهدوه من مجريات الأمور، و قد لبثت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين ظهرانيهم حقبا طويله قبل البعثه، فما مسكوا زله، و لا أدركوا غفله، و قد أشار القرآن الكريم إلى هذه النكته الدقيقه بقوله:

فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَمْ فَلَا تَعْقِلُونَ (٢).

و ترددوا بقول الكهانه من بعد الجنون، فردّ افتراءهم القرآن بما أمره به: فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ-٢٩ (٣).

فما كان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا بشيرا و نذيرا، و ما كان الوحي إلا ذكرا للعالمين، فأين هو من الكهانه و لا بقول كاهنٍ قليلاً ما تذكرون-٤٢ (٤).

و حينما أعتبهم الحيله، و وقف بهم المنطق السليم، انطلقوا إلى القول: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى (٥) شأنهم فى هذا شأن من تقدمهم من الأمم مع أنبيائهم و رسائلهم، حدو القذه بالقذه، فى الادعاءات، قال تعالى:

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ-٥٢ (٦) و قد علموا جديا، أن محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فى أصالته العقلية، أبعد ما يكون عن السحر و الشعبذه و التمويه من قبل و من بعد.

و تمسكوا بأوهن من بيت العنكبوت، فأشاعوا بكل غباء أن لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معلما من البشر، و هو غلام رومى يمتهن صناعه السيوف بمكه، فألقمهم القرآن حجرا بردهم ردا فطريا:-

ص: ٣١

١- الدخان: ١٤.

٢- يونس: ١٦.

٣- الطور: ٢٩.

٤- الحاقة: ٤٢.

٥- المدثر: ٢٤.

٦- الذاريات: ٥٢.-

لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١).

و أغلقت السبل كافة في الوجوه و الألسن و الأقاويل، فرجموا بالغيب، و تشبثوا بالطحلب، و حسبوا وجدان الضّالة: فقالوا بما حكى الله عنهم إن هذا إلا أساطير الأولين (٢).

و تمادى بهم القول، ففصلوا بعد الإجمال، و أبانوا بعد الإبهام:

وَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أُصِيلاً-٥ (٣).

و هكذا تبدو الحيرة مترددة بين عده ادعاءات و افتراءات، هم أنفسهم يعلمون بمجانبتها للواقع المشهود، إذ لم يؤيدها نص استقرائي واحد في حياة محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

و يبقى الوحي و حيا رغم كل هذا الأراجيف: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَ مَن حَوْلَهَا...٧ (٤).

و يبقى القرآن قرآنا مقترنا بظاهره الوحي الإلهي.٧.

ص: ٣٢

١- النحل: ١٠٣.

٢- الأنعام: ٢٥.

٣- الفرقان: ٥.

٤- الشورى: ٧.

الفصل الثاني: نزول القرآن

ص: ٣٣

نزل القرآن بأرقى صور الوحي، و تاريخ نزوله يمثل تاريخ القرآن في حياه النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و هو تاريخ يستغرق ثلاثه و عشرين عاما (١).

هذه الحقبه الذهبيه هي تاريخ الرساله المحمديه في عصر صاحب الرساله، و العنايه بها منبثقه عن عنايه الوحي بصاحبها، و بتواجده معه، يحمله العبء حيناً، و يلقي له بالمسئوليه حيناً آخر، و يتناول عليه بآيات الله بين هذا و ذاك.

و كان نزول القرآن مدرجاً، و تفريقه منجماً، مما أجمعت عليه الأمه، و صحت به الآثار الاستقرائيه، استجابته للضروره الملحه، و اقتضاء للحكمه الفذه في تعاقب التعليمات الإلهيه، يسراً و مرونيه و استيعاباً.

و الذي يهمننا في هذه المرحله، عطاؤها الإنساني في ضبط النص القرآني، و دقه أصوله و وصوله من ينابيعه الأولى، و هو موضوع البحث.

يكاد أن يتوافر لنا اقتناع نظمئن إليه بأن أوائل سوره العلق: هو أول ما نزل من القرآن.

و منشأ هذا الاقتناع تاريخي و عقلي، أما التاريخي فمصدره إجماعاً.

ص: ٣٥

١- هنالك عدّه أقوال في مده نزول القرآن؛ فقليل. عشرون، أو ثلاث و عشرون، أو خمس و عشرون سنه. و هو مبني على الخلاف في مده إقامته صَلَّى الله عليه و آله و سلم بمكه بعد النبوه؛ فقليل عشر سنوات، و قيل ثلاث عشره، و قيل خمس عشره سنه. و لم يختلف في مده إقامته بالمدينه إنها عشر. (ظ: الزركشي: ٢٣٢/١) فإذا علمنا أنه صَلَّى الله عليه و آله و سلم أوحى إليه و هو ابن أربعين سنه، و توفي و عمره ثلاث و ستون سنه، ترجح أن تكون مده الوحي ثلاثه و عشرين عاماً.

المفسرين تقريبا، ورواه الأثر، وأساطين علوم القرآن (١).

و أما العقلى، فالقرآن أنزل على أمى لا عهد له بالقراءه، ليبلغه إلى أميين لا عهد لهم بالتعلم، فكان أول طوق يجب أن يكسره، و أول حاجز يجب أن يتجاوز. هو الجمود الفكرى، و التوقع على الأوهام، و ما سبيل ذلك إلا الافتتاح بما يتناسب مع هذه الثوره، و قد كان ذلك بدايه للرساله بهذه الآيات بسم الله الرحمن الرحيم إقرأ باسم ربك الذى خلق - ١ خلق الإنسان من علق - ٢ إقرأ و ربك الأكرم - ٣ الذى علم بالقلم - ٤ علم الإنسان ما لم يعلم - ٥ (٢).

إنها الدعوه الفطريه إلى العلم و الإيمان بوقت واحد، و البدايه الطبيعه لملهم هذا العلم، و رائد وسيله التعلم، فهو إرهاب يمان شيع، و إشعار بإفاضات ستشر، مصدرها الخالق، و أدواتها القلم، لارتياح المجهول، و اكتشاف المكنون، و القرآن كتاب هدايه و علم.

فلا- ضير أن تكون أوائل العلق أول ما نزل، و سياقها القرآنى لا يمنع من نزولها دفعه واحده، لا سيما إذا وجدنا نصا فى أثر، أو روايه من ثقه.

و أما ما حكاه ابن النقيب فى مقدمه تفسيره، و أخرجه الواحدى عن عكرمه و الحسن، و الضحاك عن ابن عباس: من أن أول ما نزل من القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) (٣) فلا ريب فيه، و لا غبار عليه: «فإنه من ضروره نزول السوره نزول البسمله معها، فهى أول آيه نزلت على الإطلاق» (٤).

و بدأت مسيره الوحي تلقى بثقلها على عاتق الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم و فتح محمد صلى الله عليه و آله و سلم للنداء السماوى، إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا - ٥ (٥) ذراعا و قلبا و تأريخا. و هذا القول ثقيل بمبناه و معناه، فهبوطه من سماء العزه، و ساحه الكبرياء و العظمه يوحى بثقله فى الميزان، و تسييره للحياه العامه بشئونها ٥.

ص: ٣٦

١- ظ: البخارى، الصحيح: ٥/١+الباقلا...نى، نكست الانتصار: ٨٨+الطبرسى، مجمع البيان: ٥/٥١٤+الزر كشى، البرهان: ١/٢٠٦+السيوطى، الاتقان: ١/٦٨ و ما بعدها.

٢- العلق: ١-٥.

٣- السيوطى، الاتقان: ١/٧١.

٤- المصدر نفسه: ١/٧١.

٥- المزمّل: ٥.

المتعدده يوحى بكونه عبثا ثقيلًا فى التشريع و التنفيذ و إداره الكون و العالم.

إن تلقى النبى صلى الله عليه و آله و سلم لهذا القول يعنى النهوض بما تتطلبه رساله من جهد و عناء و صبر، و نهوضه بذلك يعنى تحمله لهذا الثقل فى الإلقاء و الإنزال و التبليغ و الإعداد.

و نزل القرآن منجما: الآيه و الآيتين و الثلاث و الأربع، و ورد نزول الآيات خمسا و عشرا و أكثر من ذلك و أقل، كما صح نزول سور كامله (١).

و نزل القرآن فى شهر رمضان المبارك: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ - ١٨٥ (٢) و فى ليله مباركه فيه إنا أنزلناه فى ليله مباركه (٣) و حملت الليله المباركه على ليله القدر: إنا أنزلناه فى ليله القدر - ١ (٤) هكذا صرح القرآن.

و اختلف فى هذا الإنزال كلا أو جزءا، جملة أو نجوما، دفعه أو دفعات، إلى السماء الدنيا تاره، و على قلب النبى صلى الله عليه و آله و سلم تاره أخرى (٥).

و أوردنا الطبرسى جملة الأقوال فى ذلك:

أ- إن الله أنزل جميع القرآن فى ليله القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزل على النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد ذلك نجوما. و هو رأى ابن عباس.

ب- إنه ابتداء إنزاله فى ليله القدر، ثم نزل بعد ذلك منجما فى أوقات مختلفه، «و به قال الشعبى» (٦). ١.

ص: ٣٧

١- ظ: السيوطى، الاتقان: ١/١٢٤ و ما بعدها.

٢- البقره: ١٨٥.

٣- الدخان: ٣.

٤- القدر: ١.

٥- ظ: تفصيل هذه الآراء و الروايات الكثيفه فى: أبو شامه، المرشد الوجيز: ١١ و ما بعدها + الزركشى، البرهان: ١/٢٣٠ و ما بعدها + السيوطى، الاتقان: ١/١١٨ + البيهقى، الأسماء و الصفات: ٢٣٦.

٦- ظ: السيوطى، الاتقان: ١/١١٨.

ج- إنه كان ينزل إلى السماء الدنيا في ليله القدر ما يحتاج إليه في تلك السنه جملة واحده، ثم ينزل على مواقع النجوم إرسالا في الشهور و الأيام. و هو رأى ابن عباس (١).

إلا- أن ظاهر الآيات: أنزل القرآن جملة، و يؤيده التعبير بالإنزال الظاهر في اعتبار الدفعه، دون التنزيل الظاهر في التدرج، فمدلول الآيات أن للقرآن نزولا جمليا على النبي صلى الله عليه و آله و سلم غير نزوله التدريجي الذي تم في ثلاث و عشرين سنه (٢).

لقد أكد هذا المعنى من ذى قبل ابن عباس بقوله: «إنه أنزل في رمضان، و في ليله القدر، و في ليله مباركه، جملة واحده، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا في الشهور و الأيام» (٣).

و مهما يكن من أمر، فلا- ريب بنزوله مفرقا أو منجما، ليثبت إعجازه في كل اللحظات، و لينضح بتعليماته بشتى الظروف، في حين يعترض فيه الكفره على هذا النزول: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا-٣٢ (٤).

و لكن الرد كان حاسما، لأن الوحي إذا تجدد في كل حادثه، كان أقوى للعزم، و أثبت للفؤاد، و أدعى للحفظ و الاستظهار، و أشد عنايه بالمرسل إليه فلا- يغيب عنه إلا- و يهبط عليه، و لا يودعه حتى يستقبله، و ذلك يستلزم كثره نزول الملك عليه و تجديد العهد به، و بما معه من الرساله، و هو مضافا إلى العطاء الروحي، ذو عطاء نفسى تهديبي بالنسبه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم «و لهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثره نزول جبريل عليه السلام عليه فيه» (٥). ٨.

ص: ٣٨

١- ظ: الطبرسى، مجمع البيان: ٢٧٦/١.

٢- ظ: الطباطبائي، الميزان: ٣٣٠/٢٠.

٣- البيهقي، كتاب الأسماء و الصفات: ٢٣٦.

٤- الفرقان: ٣٢.

٥- ظ: أبو شامه، المرشد الوجيز: ٢٨.

و ناهيك في أسرار تعدد النزول حكمه و يقينا و استمرارا لجده القرآن، و حضوره في زخمه الأحداث، و تجدد الوقائع، و طبيعه الرساله المتدرجه في تعاليمها من الأسهل إلى السهل، و من السهل إلى الصعب، و من الكليات العامه إلى التفصيلات الجزئيه.

و الوحي ينظر إلى الناس باعتبارهم الهدف الرئيسي من تنزيل القرآن، قصد هدايتهم، و رجاء إثابتهم إلى الحق، فاهتم بهذا العنصر في سبب النزول مفرقا، و صرح بذلك سبحانه و تعالى:

وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا-١٠٦ (١).

١- و قد أفاض القدامى من العلماء و المفسرين في أسرار التنجيم في النزول، استفادوا قسما منها من القرآن، و اجتهدوا في القسم الآخر، فمن الأول تيسير حفظ القرآن، و تثبيت فؤاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و معرفه الناسخ من المنسوخ، و الإجابة عن أسئلة السائلين (٢).

و من الثاني كون القرآن أنزل و هو غير مكتوب على نبي أمي، كما حكى ذلك عن أبي بكر بن فورك (ت: ٤٠٦هـ) (٣).

و قد لاحظ باحث معاصر أن القدامى قد أدركوا حكمتين في ذلك هما: تجاوب الوحي مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و تجاوبه مع المؤمنين (٤).

٢- و إذا كان ما فهمه القدامى - كما يدعى - يقف عند هذا الحد، فلا ينبغي عند الباحثين المحدثين أن يقف عند حدود معينه، و عليهم الإمعان و الإيغال في الاستنتاج. و إن كان كل ما تقدم هو الصحيح، و لكن لا مانع أن يضاف إليه بأن القرآن الكريم - كما يبدو من منهجيته الاستقرائية - يريد كتابه التأريخ الإنساني، بكل ما في هذا التأريخ من مفارقات و أحداث و نوازع و تطورات، و التأريخ إنما يكتب في جزئياته، و من ضم.

ص: ٣٩

١- الإسراء: ١٠٦.

٢- ظ: السيوطي، الاتقان: ٨٥/١-١٢١+ أبو شامه: ٢٨.

٣- ظ: الزركشي: ٢٣١/١.

٤- ظ: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ٥٢-.

هذه الجزئيات بعضها لبعض يتكون التأريخ بمظاهره الماضيه و تطلعاته الحاليه، لإناره المستقبل و إضاءه درب السالكين، و التأريخ لا يتألف جملة واحده، و إنما ينجم موضوعات و صوراً و مشاهد، و من مجموعها يتشكل الأثر البارز لسمه من السمات، و القرآن إنما يعنى بتأريخ الأمم و الإيمان، و الشعوب و الهدايه، فهما رمزان متلازمان، تنحصر عليه ذكر أحدهما بالآخر، حصراً عضوياً ترى فيه الكون و قضيه التوحيد يشكلان خطوطاً رئيسيه تنبثق منها حيثيات فرعيه فى النبوه و الرساله و عوالم الحياه.

٣- و الرساله المحمديه إحدى سنن الكون البنائيه، و كما تقتضى سنن الكون التدرج، فهى تقتضى التدرج كما اقتضتها ابتداء بخلق السماوات و الأرض و الأفلاك و ما فيهن و ما بينهن، و انتهاء بخلق الإنسان و حياته و أطواره و نشوئه و مماته و تلاشييه و إعادته حياً، و إثابته أو عقابه.

و السنن الطبيعيه فى الحياه تلتقى بالسنن الروحيه فى القرآن، فمصدرهما واحد، و هو تلك القوه الخلاقه المبدعه المدبره، و هى كما تستطيع أن تحكم الأمر فجأه كلمح البصر و ما أمُرنا إلاّ و اِحْدَهُ كَلْمَحٍ بِالْبَصِيرِ - ٥٠ (١) فهى كذلك تستمهل و تتدرج وفقاً لمصالح الكون، و تنظيمها لشئون الحياه، و كان التدرج فى نزول القرآن من هذا الباب.

٤- و ما التدرج فى نزول القرآن، إلا دليل من أدله إعجازه البيانيه، فما نزل منه لم يكن بادئ الأمر إلا سورا قصيره و آيات متناثره تناثر النجوم، و هو بهذا القدر الضئيل ينادى بالتحدى، فدل على إعجازه فى ذاته مع محاوله تقليده و مضاهاته، سواء أ كان جزءاً أم كلاً. فقليله معجز، و كثيره معجز، و لقد وقع هذا التحدى فى مكه على هذا القليل فما نالوه، و وقع فى المدينه و هو متكامل بنفس المنظور، و بناء على هذا التأسيس فقد كان التدرج فى النزول مصاحباً لعمليه الإعجاز، و دليلاً من أدلتها الناطقه، و هو بعد مشعل هدايه فى السعى و العمل و المثابره. ٠.

ص: ٤٠

١- القمر: ٥٠.

٥- وهناك ملحظ جدير بالأهمية في هذا النزول التدريجي، هو إحكام الأمر، وإبرام العقد، وهذا الإحكام و ذلك الإبرام يتمثل بعملية صياغة النفوس في إطار جديد، فهي على قرب عهد من الجاهلية بأعرافها و مفاهيمها و أخطائها، و نقله الفوريه ليست خطوه عمليه في التغيير الاجتماعى الذى أرادته رساله القرآن، فمن عزم الأمور- إذن- أن تستجيب النفوس لهذا التغيير الجذرى، و لكن لا- على أساس المفاجأه الخطره، التى قد تولد رده فعل مضاده، تطوح بكل شىء، بل تقليص القيم القديمه شيئا فشيئا، و تضييعها جزءا فجزءا، للتلاشى فى نهايه المطاف، و تختفى عن صرح الاجتماع. و خير دليل على ذلك مسأله تحريم الخمره، إذ ارتبطت بالعرب أدبيا و اجتماعيا و نفسيا و اقتصاديا، و هى جوانب متعدده، أباحت هذا الإدمان المستحكم عند العرب، فلو حرمت دفعه واحده، لكفر بهذا التحريم، و لضاعف فرصه التغيير الاجتماعى، و لكن الوحى تلبث و ترصد و تأنى، فجاء بالأمر فى خطوات متعاقبه شملت بيان المنافع و المضار و المآثم، و تدرجت إلى النهى عن اقتراب الصلاه و أنتم سكارى، و انتهت إلى التحريم: **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ... (١)**.

٦- و لنقف بهذا الجانب الحساس و المؤثر على صلب الموضوع من بدايته، قبل النظر فى التطبيق.

كانت الجزيره العربيه بعامه، و مكه المكرمه بخاصه، تتجاذبهما عقائد شتى، فالصابئه لها طقوسها المختلطه من ابتداعات و شعائر ترتبط بالكواكب و تأثيرها على الأحداث الأرضيه (٢). و ما امتزج عن عاداتهم فى مذاهب قريش فى الوثنيه و عباده الملائكه، و مراسم الحج.

و المسيحيه، و ما صاحب مبادئها من تحريف مزدوج، و تغيير مفاجئ، فبدل التسامح الدينى الذى اشتهرت به تعاليم السيد المسيح، ا.

ص: ٤١

١- المائده: ٩٠.

٢- ظ: جزءا من عقائد الصابئه، محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم: ١٣٢ و ما بعدها.

و الزهد فى الحياه بكل مظاهرها، استخدم المسيحيون فى إرساء شهواتهم كل وسائل العبث و الترف و القسوه، فمن عزله مصطنعه إلى تزمّت مفتعل، و من تثليث لا يستقيم إلى وثنيه مستهجنه، و من تمسك باللاهوت إلى ابتزاز للحريه، كل ذلك يتراصف نماؤه بين أوهام موروثه، و خرافات مستجده.

و اليهوديه، بما كان يكتنفها من غموض فى ستر العلم و تحريف للكلم عن مواضعه، و استيعاب لاستحصال المال، و جمع الثروه عن طريق الخيانه و الربا و الاحتكار.

و الحنفيه، و هى أسلم الأديان آنذاك عن الدّس و التحريف الكبيرين، فقد أدخل عليها مع ذلك تزييف فى بعض الوقائع، و مغالطه فى طقوس الحج و متابعه الوثنيه، و ارتباط قسم من العرب بها على أساس من التعصب للأخطاء الموروثه فى تأليه الملائكه و تأنيثها، و عباده الأصنام و تقديسها، و رؤيه الشمس و القمر و الكواكب بمنظار الأرباب.

و الجاهليه، و أرجاسها فى الوأد، و البغاء، و الربا، و الزنا، و قتل الأولاد خشيه الفقر، و أكل التراث و حب المال، و وراثه النساء كرها بما صرح به القرآن فى آيات عديده، و مواضع كثيره من سوره (١).

ألا يتناسب مع هذا الخليط العجيب من المديانات المحرفه، و تعدد الآلهه، أن يبدأ الوحي بندااء التوحيد لأول مره، و قد كان ذلك كذلك، فاستنقذ الناس من عبوديه الفكر، و استرقاق النفوس، و اتجه بها إلى عباده الله الواحد القهار، و هى عباده تجمع إلى راحه الضمير، صدق العبوديه دون إذلال، و صحه الاعتقاد دون انحراف، ابتعادا عن الخرافات و الأساطير و المتاهات.

و كان من الجدير بعد هذه الاستجابه، أن يتم تشريع الصلاه، لأنها تتضمن التوحيد و العباده بوقت واحد.

و حينما اتجهت القلوب لله بدأ تطهير النفوس بالخلق و الأدب و الصفاء .

ص: ٤٢

١- ظ: على سبيل المثال، العادات الجاهليه كما يصورها القرآن: النساء: ٢١، ٢٠، ١٩، ، ٣٨، ٢٣، ٢٢
١٢٧+ الأنعام: ١٤٠+ النور: ٣٣+ الفجر: ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧.

الروحي و الإيثار، و كان كذلك منطلق الوحي بتعليماته، الواحده تلو الأخرى.

٧- و اشتد الأذى بالمسلمين، فكانت قصص الغابرين إيذانا بحرب نفسه، فما هم عنها بعيد: **وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) (١)**.

و كانت أحاديث الأنبياء مع أممهم، و استقراء أحوالهم في العذاب، نذيرا بما قد يصيب العرب نتيجة التكذيب، و الأمور تقاس بأضرارها:

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرِي (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِيرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَتْرَعُ النَّاسَ كَانْتِهِمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) (٢).

و هكذا الحال في كل من قوله تعالى:

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ - ٢٣ .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ - ٣٣ .

وَ لَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ - ٤١ (٣) .

و هي مؤشرات إنذارية في آيات من سوره واحده، فكيف بك في السور المكيه كافه.

و قد ذكرت قريش بعذاب الاستتصال في الفتره المكيه، و كان ذلك مجالا- رحبا من مجالات الوحي في هذه الحقبه العصبيه، فثاب من ثاب إلى رشد، و تجبر من تجبر في ضلال، و أمثله عديده متوافره، و من نماذجه قوله تعالى **أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَ فَلَا يَسْمَعُونَ - ٢٦ (٤)**.

و هكذا الإشاره إلى مجموعه الأمم المكذبه، و قد مزقوا كل ممزق، كما في قوله تعالى: **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ - ٤٤ (٥) .٤**

ص: ٤٣

١- النجم: ٥٠-٥١.

٢- القمر: ١٨-٢٠.

٣- على التوالي: سوره القمر: ٤١، ٣٣، ٢٣.

٤- السجده: ٢٦.

٥- المؤمنون: ٤٤.

و ما قصه نوح عليه السّلام مع قومه، و موسى عليه السّلام مع آل فرعون، و صالح عليه السّلام و شعيب عليه السّلام و هود عليه السّلام إلا مؤشرات فيما سبق.

٨- و قد تناسق بشكل متقن عجيب استقراء اليوم الآخر، و التذكير بأهواله و مظاهره، و التحذير من عذابه و كوارثه، و التصريح بفناء الأعراض و ذهابها، و تلاشى العوالم و نهايتها، و صفه الجنة و النار، و حال المؤمنين و الكافرين، و قد مثل ذلك بسور فضلا عن الآيات، و بمجموعه مكيه منها زياده عن المتفرقات، و ما سوره الرحمن و الواقعه، و الحاقه، و المعارج، و المدثر، و القيامه، و المرسلات، و النبأ، و النازعات، و التكوير، و الانفطار، و المطففين، و الانشقاق، و الطارق، و الغاشيه، و البلد، و القارعه، و التكاثر، و غير ذلك إلا معالم فى هذا الطريق مضافا إلى مئات الآيات الأخرى المتناثره نجوما فى معظم السور المكيه.

٩- و زياده على التشريع المناسب فى المدينه المنوره، و إقرار الأحكام، و توالى الفروض، و الدعوه إلى الجهاد، و تصنيف معالم القتال، و تحديد سهام الحقوق، فقد عانت المدينه من ظاهره النفاق، مستتره بالدين تاره، و متأطره بسبيل أهل الكتاب تاره أخرى، فقد تعدد مكرهم بالنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، و عظم وقعهم على المسلمين، فكانوا رأس كل فتنه، و أصل كل سوءه، فالدسائس تحاك، و الأراجيف تروج، و الأباطيل تلوكها الألسن، فما كان من القرآن إلا أن تعقبهم بالتي هي أحسن تاره، و بالإنذار تاره أخرى، و بالتقريع و التوبيخ غيرهما، فكان الوعيد على أشده، و الإغراء بهم على وشك الوقوع، و قد عالج القرآن مشكلتهم، و سلط الأضواء على تحركاتهم، و تربصهم الدوائر بالإسلام، و صور حالتهم النفسيه و الخلقيه و الجماعيه و الفرديه، و أبان واقعهم الدنيوى و مآلهم الأخرى، و قد جاء ذلك متراسفا فى سور عديده، لمعالجه كل حاله يازائها، فكانت سوره البقره، و آل عمران، و النساء، و المائده، و الأنفال، و التوبه، و العنكبوت، و الأحزاب، و الفتح، و الحديد، و الحشر، و المنافقون، و التحريم، ميادين فارغه فى تعقيب ظاهره النفاق، و حقيقه المنافقين، فكان ذلك سمه لهم لا تبلى.

و لا نريد أن نطيل أكثر فأكثر فى هذا الجانب و سواه فهو بديهي

لاستكمال الرسالة و ضروره تطبيقها، و مواكبه الوحي لهذبه الأحداث و الأزمات و المؤشرات دليل على أصاله هذا المنهج المتناسب تاريخيا و زمنيا مع مرحليه الظروف.

١٠- و هناك العلاقه الثنائيه بين الوحي و النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و هناك التجاوب المطلق بينهما، و كان تحقق ذلك فى التدرج بالنزول، و كانت الأزمات و هى تحاول أن تعصف بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ تضرب فجأه بإرادته الوحي الإلهي، فهو إلى جنبه، يشد عزمه، و يقوى أسره، و يسليّه تاره، و يعزیه تاره أخرى، و يصبره و يؤسیه، فيما يقتص له من الأنباء، و ما يورده من الصبر، و ما يحدده من الأحكام، مفرقا بين الحق الثابت الرصين، و الباطل المترزع الواهن، و فى ذلك تثبيت له على المثل، و تحريض له على المثابه، و إعلام له بالنصر، لأنها سنه الله مع رسله و أنبيائه.

و هناك أسئله تتطلب الإجابه المحدوده. و حوادث تستدعى القول الفصل، و لا يضمن هذا إلا الوحي فيما ينزل به، فقد سأله عن الخمر و الميسر، و سأله عن المحيض، و سأله عن القتال فى الأشهر الحرم، و سأله عن الأهل، و سأله عن الساعه، و سأله عن الروح، و سأله عن الأنفال، و سأله عن الجبال، و سأله عن ذى القرنين.. و هكذا، فتصدر الوحي للإجابه الفاصله...

و استفتوه فى النساء، و استفتوه فى الكلاله، فأقناهم الوحي عن الله.

و وقع الظهار، و الإيلاء، و حادثه الإفك، و غنموا فى الحرب، و حصل الزنا، و نزلت السرقة، و بدأ القتل العمد و القتل الخطأ، و هى حوادث متعدده، فى أزمته متعدده، و قد نزلت أحكامها المتعدده، و هكذا.

إن الإحصاء الدقيق لهذبه الجزئيات قد لا- ينتهى إلا- بصفحات كبيره لا يتسع لها هذا البحث، و فيما أشرنا له غنيه فى التمثيل التطبيقي.

١١- و هناك ملحظ جدير بالأهميه فى الوحي التدريجي، يعود إلى التنزيل نفسه، ليحكم فيه على ناحيتين:

الأولى: أنه ليس من كلام البشر، و إنما هو من كلام الله وحده، و ذلك أن هذه المراحل المتعدده التى مرّ فيها، لم يحصل فيه تفاوت فى

الأسلوب البياني، فهو فى الأول نفسه فى الوسط و الآخر، و مع كثره الأحداث و تعدد المسئوليات فى بيان الأحكام، و تدارك النوازل، و استيعاب المشكلات، لم يبد فيه -و لو مره واحده- أى اختلاف و تناقض، و لو كان من كلام البشر، لحصل فيه التفاوت و التناقض معا، و صدق الله تعالى حيث يقول: **وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (١)**.

الثانيه: أن قليل هذا التنزيل و كثيره، هو الدليل المتعاقب -مره بعد مره- على نبوه محمد صلى الله عليه و آله و سلم لأن مراعاة المناسبه، و العقل فى الأمر الجلل، و التحدث عن الغيب المطلق، كل ذلك بتحديد قاطع، و حجه لا تقبل جدلا، لا يمكن أن يكون إلا من قبل الله تعالى، لأن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أمى يفقد أدنى ما يمكن أن يتمتع به غيره من الناس الاعتياديين فى القراءه و الكتابه، فكيف إذن بمسائل التشريع، و أخبار الغيب، و قضايا الساعه، و مختلف الأحكام، و لم يسبق له أن مارس قبل بعثته أى نوع من أنواع الثقافه و المعرفه، التى تتناسب مع هذا العطاء المتواصل من الوحي، و فى هذه القضيه الخارجه عن مقدره النبى صلى الله عليه و آله و سلم تأكيد لقوله تعالى: **وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) (٢)**.

و كان نتيجة هذا التدرج فى النزول أن استوعب نزول القرآن الكريم حياه النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى الرساله، و كانت رسالته قد اتخذت مرحلتين: مرحله الفتره المكيه قبل الهجره، و مرحله الفتره المدنيه بعد الهجره؛ و فى هذا الضوء اقتضى أن ينقسم القرآن الكريم إلى مرحلتين تبعا لمرحلتى الرساله، لاستمراره بالنزول فيهما، و هما مرحله المكيه، و مرحله المدنيه، و هو تقسيم روعى فيه النظر إلى الزمان و المكان، و للباحثين فيه ثلاثه اصطلاحات: ٧.

ص: ٤٦

١- النساء: ٨٢.

٢- الحاقه: ٤٤-٤٧.

١- أن المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.

٢- أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة.

٣- أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة (١).

و لكل من هذه الاصطلاحات مبررها التاريخي، فالقول الأول ينظر إلى مكان النزول دون الالتفات إلى حدث الهجرة، فالمكي ما نزل في مكة و إن كان بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة لا خارج حدودها، فالمكان جزء من التأريخ في عملية التحديد.

و القول الثاني، وهو المشهور، ينظر إلى الزمان من خلال حدث الهجرة، و الزمان جزء من التأريخ، و إن لم يكن التأريخ بعينه، فما نزل قبل الهجرة فمكي، و ما نزل بعد الهجرة فمدني.

و القول الثالث، ينظر إلى الأشخاص، فما وقع خطاباً لأهل مكة فهو مكي بحكم من نزل بين ظهرائهم، و ما وقع خطاباً لأهل المدينة فهو مدني بلمح من نزل فيهم، و الأشخاص عنصر التأريخ و مادته الأولى.

إلا أن المشهور بين العلماء و المفسرين، و هو الرأي الثاني لاعتبار الهجرة هي الحدث الفصل في تأريخ الرسالة الإسلامية، فالمكي ما نزل قبلها، و إن خوطب به أهل المدينة، و إن نزل حوالها كالمنزل بمنى و عرفات و الجحفة مثلاً، أو خارجها كالمنزل في الطائف أو بيت المقدس، بل و إن كان حكمه مدنياً.

و المدني ما نزل بعد الهجرة، و إن خوطب به أهل مكة، و إن نزل حوالها كالمنزل ببدر و أحد و سلع مثلاً، أو خارجها كالمنزل في الحديبية أو في مكة في حجة الوداع، بل و إن كان حكمه مكيًا.

و الحق أن علمائنا القدامى قد عنوا في هذا الجانب عنايه فائقة، تتناسب مع جلال القرآن و عظمته، و اعتبروا علم نزول القرآن زمانياً و مكانياً ١.

ص: ٤٧

١- ظ: الزركشي، البرهان: ١/١٨٧.

من أشرف علوم القرآن، حتى ذهبوا إلى أن من لم يعرف مواطن النزول و أماكنه و أزمنته، و يميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله.

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت: ٤٠٦هـ):

«من أشرف علوم القرآن علم نزوله و جهاته و ترتيب ما نزل بمكة ابتداء و وسطا و انتهاء، و ترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة و حكمه مدني، و ما نزل بالمدينة و حكمه مكى، و ما نزل بمكة من أهل المدينة، و ما نزل بالمدينة من أهل مكة، ثم ما يشبه نزول المكى في المدني، و ما يشبه نزول المدني في المكى، ما ثم ما نزل بالجحفة، و ما نزل ببيت المقدس، و ما نزل بالطائف، و ما نزل بالحديبية، ثم ما نزل ليلا، و ما نزل نهارا، و ما نزل مشيعا، و ما نزل مفردا، ثم الآيات المدنيات في السور المكية، و الآيات المكية في السور المدنيه، ثم ما حمل من مكة إلى المدينة، و ما حمل من المدينة إلى مكة، و ما حمل من المدينة إلى أرض الحبشه، ثم ما نزل مفسرا، و ما نزل مرموزا، ثم ما اختلفوا فيه [فقال بعضهم: مكى] و قال بعضهم: مدني. هذه خمسة و عشرون وجها، من لم يعرفها و يميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله» (١).

و الحق أن ابن حبيب النيسابوري قد نبه إلى جزئيات و حيثيات مهمه، مضافا إلى تقسيمه المكى، و مثله المدني، إلى مراحل: أوليه، و وسطيه، و نهائيه، و هي تقديرات تعنى بالتأريخ الدقيق لنزول سور القرآن و آياته، و كأنه بهذا قد فتح الطريق أمام المستشرقين للخوض في هذه التفصيلات في محاوله لترتيب القرآن زمنيا، و وصف كل ما يتعلق بمراحل نزول الوحي القرآني، و قد علقوا على ذلك أهميه كبرى، و كان المستشرق الألماني الاستاذ تيوردنولدكه (١٨٣٦ م - ١٩٣٠ م) من أبرز المقتنعين في هذا المنهج و ضروره استقصائه، و قد أخضع في ضوئه الحوادث الهامشيه في الحروب و المغازي و المراسلات و الوقائع لاستنتاجاته العلميه..-

ص: ٤٨

وقد سلك في كشف تأريخ السور مسلكاً قويمًا يهدي إلى الحق أحياناً، فإنه جعل الحروب والغزوات الحادثة في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلم تأريخها كحرب بدر والخندق و صلح الحديبيه و أشباهها من المدارك لفهم تأريخ ما نزل من القرآن، وجعل اختلاف لهجه القرآن و أسلوبه الخطائي، دليلاً آخر لتأريخ آياته، وهو يرتاب في بحثه التحليلي في الروايات والأحاديث و أقوال المفسرين في تأريخ القرآن، وفي عين الحال يأخذ من مجموعها ما يضيء فكره، ويرشده إلى تأريخ السور والآيات و نظمها أحياناً (١).

وقد ظهرت في أوروبا في منتصف القرن التاسع عشر محاولات لترتيب سور القرآن، و دراسه مراحل التاريخيه، منها محاوله وليم موير الذي قسم المراحل القرآنيه إلى ست، خمس منها في مكه و سادستها في المدينه. و منها محاوله ويل التي بدأها سنه ١٨٤٤ م، و لم تتخذ صورتها النهائيه إلا سنه ١٨٧٢، و قسم في ضوئها المراحل القرآنيه إلى أربع: ثلاث في مكه و رابعه في المدينه، فتابعه على ذلك نولدكه و شفالي، و تأثر بذلك كل من، بل و بلاشير (٢).

إلا أن هؤلاء جميعاً قد رفضوا الأثر و الروايات في تأريخ النزول مما خالفوا به مصدراً رئيسياً من مصادر التعيين في ترتيب النزول، و ذلك عن طريق الجمع بين الروايات و غربلتها، و الأخذ بأوثقها.

وقد أورد ابن حجر عن الإمام علي عليه السلام: أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و خرجه ابن أبي داود (٣).

و أيد وجود ذلك صاحب الميزان و تحدث عن خصوصياته (٤).

وقد أثبت في «كتاب المباني لنظم المعاني» جدول لهذا الترتيب الزمني (٥). ٤.

ص: ٤٩

١- ظ: المؤلف، المستشرقون و الدراسات القرآنيه: ٨٨ و ما بعدها.

٢- ظ: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ١٧٦ و انظر مصادر.

٣- ظ: السيوطي، الاتقان: ٢٠٢/١+الزنجاني، تأريخ القرآن: ٤٨.

٤- ظ: الطباطبائي، القرآن في الإسلام: ١٣٤-١٣٨.

٥- مقدمتان في علوم القرآن: ١٤.

إلا- أنه يختلف عن ترتيبه فيما ورد بأصل النسخه المطبوعه فى لبيسك (١٨٧١-١٨٧٢ م) و لما أثبتته الزنجاني فى تقسيمه لجمع الإمام على عليه السلام للمصحف فى سبعة أجزاء (١).

و إذا صحت هذه الروايه، فقد فاتنا تاريخ دقيق عن النزول يستند إلى أعظم راويه قد شاهد عصر التنزيل و صاحب مسيرته، و بذلك يكون الإمام على عليه السلام أول من حقق فى تثبيت نزول القرآن تاريخيا.

و ليس أمامنا طريق إلى تعيين تاريخ النزول إلا من جهتين:

الأولى: الروايه الصحيحه الثابته المرفوعه إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو أهل البيت عليهم السلام أو الصحابه (رض) الذين شاهدوا قرائن الأحوال، و تتبعوا مسيره الوحي من بدايته إلى نهايته، و قد كان جزء من ذلك متوافرا فيما نلمسه من روايات و آثار فى كتب التفسير و علوم القرآن، من نصوص يوردها الإثبات و يتناقلها الثقات، و إن كان بعضها لا يخلو من تضارب، أما رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقد ادعى أنه: «لم يؤمر به، و لم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمه» (٢).

الثانيه: الاستنباط الاجتهادى القائم على أساس أعمال الفكر، و دراسه الأحداث، و معرفه أسباب النزول، و المقارنه بين الآيات نفسها، و اعتبار القرائن الحاليه و المقاليه، و السياق و النظم، و وحده السوره الموضوعيه، و ما مائل ذلك أدله تقريبيه على ذلك، لا سيما فيما لا نص عليه، فتعين معرفته عن طريق الأدله و البراهين و المرجحات فيؤخذ بأقواها حجه، و أبرمها دليلا، و هذا ما نشاهده فى شأن الآيات و السور المختلف بنزولها الزمانى أو المكانى.

و قد استأنس العلماء و المحققون بعلائم و أمارات و خصائص، تتميز بها كل من السور المكيه و المدنيه، ففرقوا بينها على أساس هذا الفهم، و النظر فى ذلك كضوابط قابله للانطباق فى أكثر تجاربها، إلا- أنها ليست حتميه، و لكنها أمارات غالبه، لتوافر استثناءات فى بعضها.

فمن ضوابط معرفه السور المكيه أوردوا ما يلى: ١.

ص: ٥٠

١- ظ: الزنجاني، تاريخ القرآن: ٦٩ ما بعدها.

٢- الزركشى، البرهان: ١/١٩١.

١- كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكيه.

٢- كل سورة فيها «يا أيها الناس» فهي مكيه، والقاعده ليست عامه، فهناك عده سور مدنيه فيها «يا أيها الناس».

٣- كل سورة فيها سجده فهي مكيه.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء و الأمم الخاليه فهي مكيه سوى البقره.

٥- كل سورة فيها قصه آدم و إبليس فهي مكيه سوى البقره.

٦- كل سورة فيها حروف التهجي فهي مكيه، إلا البقره و آل عمران، و في الرعد خلاف (١).

و من ضوابط السور المدنيه أوردوا ما يلي:

١- كل سورة فيها «يا أيها الذين آمنوا» فهي مدنيه، و هناك استثناء لسوره الحج.

٢- كل سورة فيها تفاصيل الفرائض و السنن و الحدود و الأحكام و القوانين فهي مدنيه.

٣- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنيه، سوى العنكبوت.

٤- كل سورة فيها إذن بالجهاد، أو ذكر له، و بيان لأحكامه، فهي مدنيه.

٥- كل سورة فيها محاججه لأهل الكتاب، و مجادله لهم، فهي مدنيه (٢).

و الحق أن هذه الضوابط يمكن اعتبارها ضوابط استقرائية للأعم الأغلب فيما وقف عليه العلماء من كتاب الله، و قد يضاف إليها بعض ٣.

ص: ٥١

١- قارن بين هذه الأقوال و تفصيلها في كل من: الزركشى، البرهان: ١/١٨٨ و ما بعدها+ السيوطي، الاتقان: ١/٤٧ و ما بعدها.

٢- قارن بين هذه الأقوال و تفصيلها في كل من: المصدرين السابقين+ صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ١٨٣.

الضوابط الأخرى ناظره في الأسلوب أو العرب أو الموضوع، أو القصر أو الطول، أو الشده أو اللين، يستضاء بها و يسترشد إلى تمييز المكي من المدني و بالعكس.

و سواء أ كانت هذه الضوابط نقلية أم اجتهادية فإن لها استثناءات في حدود، و تماثلا بين القسيمين في بعض الوجوه. و عليه فلا طريق لنا إلى القطع بالمكي أو المدني، إلا الروايه الصحيحه الثابته، أو الأحداث التاريخيه المتناوله لها سورہ ما، و تقتضى التعيين الزمانى أو التحديد المکانى، أو معرفه أسباب النزول بأشخاصه و أماكنه و وقائعه، لا دواعيه و مماثلاته و لوازمه، و بذلك يكون التدوين التاريخى لقسمى القرآن مكيه و مدنيه، أمثل ترتيبا، و أكثر صحه.

على أن تلك الضوابط -و لا ننكر أهميتها- تشير إلى خصائص قيمه في مسيره الوحي القرآنى من الإجمال إلى التفصيل، و من العموميات إلى الجزئيات، و من الإشاره إلى التصريح، و هى بالأخير تنبه إلى الإيمان بالمرحليه الزمانيه و المکانيه فى التشريع و القوانين و الأنظمه، و تبرهن على تطور أساليب الرساله و مقتضياتها.

و بديهى أن النزول إما أن يكون ابتدائيا، أو على أثر سؤال أو حادث أو استفاء، فما كان منه ابتدائيا فيمكن اعتباره الأصل الأولى فى الدين، و الأساس فى أركان التشريع العامه، و حجر الزاويه فى تنظيم العالم من قبل الله تفضلا منه و تحنا و رحمه، و ما جاء عقب واقعه فأما أن يكون حكما جديدا لا عهد لهم به، أو نبأ مجهولا عند السائلين، أو تفصيلا فى حدود و فرائض أجملت من ذى قبل، و فيه تتجلى حكمه التشريع و بواعث الحكم، و عنه نشأ علم أسباب النزول، و العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، و استفيد منه إنسانيه القرآن، و عالميه دعوته، و شموليه أحكامه، لأن العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، و يعرف به الناسخ من المنسوخ فى بعض الحالات، و فيه تعيين تاريخى للأحداث، و تقويم عام للمشكلات، و طريقه الأمثل هو النقل الصحيح القطعى.

قال الواحدى: «لا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب إلا بالروايه

و السماع ممن شاهدوا التنزيل، و وقفوا على الأسباب، و بحثوا عن علمها» (١).

و يجب الحذر و التحرز تجاه أسباب النزول، فلا تؤخذ على علاتها، بل يجب عرضها على القرآن نفسه، فما وافق القرآن أخذ به، و ما عارض القرآن طرح، فهناك التناقض الكثير فى بعض الروايات، و هناك القصص الخرافى فى جانب منه، و هناك الإسرائيليات المطوله التى لا يحتملها النص القرآنى، بل و هناك ما لا يوحى بالسبب فىسمى سببا، و قد يطلق فى هذا الضوء السبب على اللازم و المتعلق و هو غير السبب، و قد يطلق السبب على ما يعتبر من باب الجرى و قبيل الانطباق و ليسا من الأسباب.

و لو سلمت أسباب النزول من هذه الثغرات، لكانت خير منار لتتبع كثير من تأريخيه النزول على أتم وجه، و أفضل سبيل للكشف عن كثير من الحالات النفسيه، و القابليات العقلية التى عليها القوم.

إن هذا الجانب غنى ببحوث القدامى، فقد أفاض به كل من الواحدى و الزركشى و السيوطى و أضرابهم، و نقلوا فيه آراء السلف، و لسنا بحاجة إلى نقدها و لا إلى سردها (٢). و الحق أن تعيين أسباب النزول يعين كثيرا على معرفه المكى من المدنى فى وجه من الوجوه لارتباطه بالأحداث و التأريخ و الأشخاص و لكن أغلب ذلك فى الآيات لا- فى السور، و الروايات فيه متضاربه و متعارضه.

و تأريخيه النزول تقتضى أن نعطي تقسيما للسور المكيه و السور المدنيه، و قد سبق أن أفضنا أن لا- سبيل لذلك إلا الروايه الثابته، و أنى لنا ذلك، فهناك اختلاف كثير فى النقول بهذا الجانب، و ذكر جميع التفصيلات تطويل بغير طائل، و لكننا سنلقى بالمسئوليه على الزركشى فنثبت ما أثبتته. ٨.

ص: ٥٣

١- السيوطى، الاتقان: ٨٩/١.

٢- ظ: تفصيل ذلك فى كل من: الواحدى، أسباب النزول+ الزركشى، البرهان: ٢٢/١ - ٣٣+ السيوطى، الاتقان: ٨٢/١ - ٩٨.

«أول ما نزل من القرآن بمكه: (اقرأ باسم ربك)، ثم (ن و القلم)، ثم (يا أيها المزمّل)، ثم (يا أيها المدثر)، ثم (تبت يدا أبا لهب)، ثم (إذا الشمس كورت)، ثم (سبح اسم ربك الأعلى)، ثم (و الليل إذا يغشى)، ثم (و الفجر)، ثم (و الضحى)، ثم (ألم نشرح)، ثم (و العصر)، ثم (و العاديات)، ثم (إنا أعطيناك الكوثر)، ثم (ألهاكم التكاثر)، ثم (أ رأيت الذى)، ثم (قل يا أيها الكافرون)، ثم (سوره الفيل)، ثم (الفلق)، ثم (الناس)، ثم (قل هو الله أحد)، ثم (و النجم إذا هوى)، ثم (عبس و تولى)، ثم (إنا أنزلناه)، ثم (لإيلاف قريش)، ثم (القارعه)، ثم (لا- أقسم بيوم القيامة)، ثم (الهمزه)، ثم (المرسلات)، ثم (ق و القرآن)، ثم (لا- أقسم بهذا البلد)، ثم (الطارق) ثم (اقتربت الساعة)، ثم (ص و القرآن)، ثم (الأعراف)، ثم (الجن)، ثم (يس)، ثم (الفرقان)، ثم (الملائكه)، ثم (مريم)، ثم (طه)، ثم (الواقعه)، ثم (الشعراء)، ثم (النمل)، ثم (القصص)، ثم (بنى إسرائيل)، ثم (يونس)، ثم (هود)، ثم (يوسف)، ثم (الحجر)، ثم (الأنعام)، ثم (الصافات)، ثم (لقمان)، ثم (سبأ)، ثم (الزمر)، ثم (حم. المؤمن)، ثم (حم. السجده)، ثم (حم. عسق)، ثم (حم. الزخرف)، ثم (حم. الدخان)، ثم (حم).

الجاثية)، ثم (حم. الأحقاف)، ثم (و الذاريات)، ثم (الغاشيه)، ثم (الكهف)، ثم (النحل)، ثم (نوح)، ثم (إبراهيم)، ثم (الأنبياء)، ثم (المؤمنون)، ثم (الم. تنزيل)، ثم (و الطور)، ثم (الملك)، ثم (سأل سائل)، ثم (عم يتساءلون)، ثم (و النازعات)، ثم (إذا السماء انفطرت)، ثم (إذا السماء انشقت)، ثم الروم.

و اختلفوا فى آخر ما نزل بمكه، فقال ابن عباس: (العنكبوت). و قال الضحاك و عطاء: (المؤمنون)، و قال مجاهد (ويل للمطففين).

فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكه، و عليه استقرت الروايه من الثقات، و هى خمس و ثمانون سوره.ا.

ثم ذكر ترتيب ما نزل بالمدينه، وهو تسع و عشرون سوره:

فأول ما نزل فيها: سوره (البقره)، ثم (الأنفال)، ثم (آل عمران)، ثم (الأحزاب)، ثم (المتحنه)، ثم (النساء)، ثم (و إذا زلزلت)، ثم (الحديد)، ثم (محمد)، ثم (الرعد)، ثم (الرحمن)، ثم (هل أتى)، ثم (الطلاق)، ثم (لم يكن)، ثم (الحشر)، ثم (إذا جاء نصر الله)، ثم (النور)، ثم (الحج)، ثم (المنافقون)، ثم (المجادله)، ثم (الحجرات)، ثم (يا أيها النبي لم تحرم)، ثم (الصف)، ثم (الجمعه)، ثم (التغابن)، ثم (الفتح)، ثم (التوبه)، ثم (المائده).

و منهم من يقدم المائده على التوبه.

فهذا ترتيب ما نزل بالمدينه. و أما ما اختلفوا فيه: ففاتحه الكتاب، فقال ابن عباس و الضحاك و مقاتل و عطاء إنها مكيه، و قال مجاهد أنها مدينه (١).

و اختلفوا في (ويل للمطففين) فقال ابن عباس: مدينه، و قال عطاء:

هي آخر ما نزل بمكه.

فجميع ما نزل بمكه خمس و ثمانون سوره، و جميع ما نزل بالمدينه تسع و عشرون سوره على اختلاف الروايات (٢).

و هناك بعض السور المكيه و فيها آيات مدينه، و بالعكس، و قد عينت من قبل الباحثين (٣).

و لعل من المفيد حقا أن نضع جدولاً بحسب ترتيب السور القرآنيه في المصحف الشريف، نشير فيه إلى رقم السوره من المصحف، ثم نذكر ١.

ص: ٥٥

١- الحق أن فاتحه الكتاب مكيه لأمرين: الأول ذكرها في سوره الحجر و لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ و السبع المثنائي هي الفاتحه، لأنها تتنى في الصلاه، و سوره الحجر مكيه. الثاني: أن الصلاه شرعت في مكه (و لا - صلاه إلا - بفاتحه الكتاب). مضافاً إلى أن هناك قولاً أنها أول ما نزل من الوحي (ظ: السيوطي: ٢ الاتقان: ٧٠/١).

٢- ظ: تفصيل الاختلاف و قارن في كل من: المباني في نظم المعاني: ٨-١٦ + السيوطي، الاتقان: ٢٥/١-٣٧-٧٢-٧٤+الزنجاني تأريخ القرآن: ٤٩-٦١.

٣- ظ: الزركشي، البرهان: ١/١٩٩.

اسمها المشهور، ثم نكتب عدد آياتها، ثم نشير إلى مكان النزول، ثم نتبع تاريخ النزول، معتمدين بذلك على ترتيب المصحف الإمام، و محققين في المعلومات المدونه على أوثق المصادر و أثبتها، و من ثم نعقب في الهامش بالآيات المستثناه من السور مكيه و مدنيه، اعتمادا على الروايات القائله بذلك (١).

على أن ما تقدمه من عرض قد لا يجد قبولا عند بعض الباحثين، لا سيما في استثناء الآيات المكيه من السور المدنيه، و الآيات المدنيه من السور المكيه، فقد ناقش صاحب الميزان في أغلب ذلك، و اعتبر السياق لا يساعد على جمله منها، بل و لأدله نظميه عليه، و طريقته في تعيين ذلك تعتمد النظم و السياق أولا و أساسا (٢).

و مهما يكن من أمر، فهو يتفق معنا في الأصل المشار إليه كما في الترتيب التالي:

(ترتيب سور القرآن العددي و المكاني و الزماني) رقم السوره/ اسم السوره/ عدد آياتها/ مكان النزول/ تاريخ النزول
١١/ الفاتحه/ ٧/ مكيه/ نزلت بعد المدثر/ (٣)/ ٢/ البقره/ ٢٨٦/ مدنيه/ أول سوره مدنيه/ (٤)/ ٣/ آل عمران/ ٢٠٠/ مدنيه/ نزلت بعد الأنفال/
٤/ النساء/ ١٧٦/ مدنيه/ نزلت بعد الممتحنه/ ١٥٠/ المائده/ ١٢٠/ مدنيه/ نزلت بعد الفتح (٥).

ص: ٥٦

- ١- يقارن ذلك في كل من: الطبري، جامع البيان: + الطبرسي، مجمع البيان: + السيوطي: الاتقان: ١/ ٢٥-٣٧+ مقدماتان في علوم القرآن: ٨-١٦+ الزنجاني، تاريخ القرآن: ٤٩+ الشرقاوي، القرآن: المجيد: ٤٤.
- ٢- ظ: الطباطبائي، الميزان: في أجزاءه كافه.
- ٣- و قيل إنها مدنيه عن مجاهد، و قيل أنزلت مرتين: مره بمكه و مره بالمدينه، و كونها مكيه هو الأشهر (ظ: فيما سبق، الهامش رقم: ٤٦، من هذا الفصل).
- ٤- ما عدا الآيه: ٢٨١، فإنها نزلت بعرفات في حجه الوداع، و هذا لا يعارض مدنيته.
- ٥- ما عدا الآيه: ٣، فإنها نزلت في حجه الوداع، و هذا لا يعارض مدنيته.

رقم السوره/اسم السوره/عدد آياتها/مكان النزول/تاريخ النزول/ /الأنعام/١٦٥/مكيه/نزلت بعد الحجر/
 (١)/الأعراف/٢٠٦/مكيه/نزلت بعد ص (٢)/الأأنفال/٧٥/مدنيه/نزلت بعد البقره/ (٣)/التوبه/١٢٩/مدنيه/نزلت بعد المائده
 (٤)/١٠/يونس/١٠٩/مكيه/نزلت بعد الإسراء/ (٥)/١١/هود/١٢٣/مكيه/نزلت بعد يونس/ (٦)/١٢/يوسف/١١١/مكيه/نزلت بعد هود/
 (٧)/١٣/الرعد/٤٣/مدنيه/نزلت بعد محمد/ /١٤/إبراهيم/٥٢/مكيه/نزلت بعد يوسف/ (٨)/١٥/الحجر/٩٩/مكيه/نزلت بعد يوسف/
 (٩)/١٦/النحل/١٢٨/مكيه/نزلت بعد الكهف/ (١٠)/١٧/الإسراء/١١١/مكيه/نزلت بعد القصص (١١)/١٨/الكهف/١١٠/مكيه/نزلت
 بعد الغاشيه/ (١٢)/١٩/مريم/٩٨/مكيه/نزلت بعد فاطر/ (١٣)ن.

ص: ٥٧

- ١- ما عدا الآيات: ١٥٣، ١٥٢، ١٥١، ١٤١، ١١٤، ٩٣، ٩١، ٢٣، ٢٠ فإنها مدنيه.
- ٢- ما عدا الآيات: ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣ فإنها مدنيه.
- ٣- ما عدا الآيات: ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠ فإنها مكيه.
- ٤- ما عدا الآيتين: ١٢٩، ١٢٨، فمكيتان.
- ٥- ما عدا الآيات: ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٠، فإنها مدنيه.
- ٦- ما عدا الآيات: ١١٤، ١٧، ١٢، فإنها مدنيه.
- ٧- ما عدا الآيات: ٧، ٣، ٢، ١، فإنها مدنيه.
- ٨- ما عدا الآيتين: ٢٩، ٢٨، فمدنيتان.
- ٩- ما عدا الآيه: ٨٧، فمدنيه على روايه يضعفها الكثيرون.
- ١٠- ما عدا الآيات: ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، فإنها مدنيه.
- ١١- ما عدا الآيات: ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٥٧، ٣٣، ٣٢، ٢٦، فإنها مدنيه.
- ١٢- ما عدا الآيات: ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٢٨، ١٠١، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، فمدنيه.
- ١٣- عدا الآيتين: ٧١، ٥٨، فمدنيتان.

رقم السوره/اسم السوره/عدد آياتها/مكان النزول/تأريخ النزول/ / ٢٠ طه/١٣٥/مكيه/نزلت بعد مريم/
(١)/٢١/الأنبياء/١١٢/مكيه/نزلت بعد إبراهيم/ / ٢٢/الحج/٧٨/مدينه/نزلت بعد النور (٢)/٢٣/المؤمنون/١١٨/مكيه/نزلت بعد الأنبياء/
٢٤ النور/٦٤/مدينه/نزلت بعد الحشر/ / ٢٥/الفرقان/٧٧/مكيه/نزلت بعد يس/ (٣)/٢٦/الشعراء/٢٢٧/مكيه/نزلت بعد الواقعة/
(٤)/٢٧/النمل/٩٣/مكيه/نزلت بعد الشعراء/ / ٢٨/القصص/٨٨/مكيه/نزلت بعد النمل/ (٥)/٢٩/العنكبوت/٦٩/مكيه/نزلت بعد الروم/
(٦)/٣٠/الروم/٦٠/مكيه/نزلت بعد الانشقاق/ (٧)/٣١/لقمان/٣٤/مكيه/نزلت بعد الصافات/ (٨)/٣٢/السجده/٣٠/مكيه/نزلت بعد
المؤمنون/ (٩)/٣٣/الأحزاب/٧٣/مدينه/نزلت بعد آل عمران/ / ٣٤/سبأ/٥٤/مكيه/نزلت بعد لقمان/ (١٠)/٣٥/فاطر/٤٥/مكيه/نزلت بعد
الفرقان.ه.

ص: ٥٨

- ١- عدا الآيتين: ١٣١، ١٣٠، فمدنيتان.
- ٢- ما عدا الآيات: ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، فنزلت بين مكه و المدينه.
- ٣- ما عدا الآيات: ٧٠، ٦٩، ٦٨، فإنها مدينه.
- ٤- ما عدا الآيات: ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ١٩٧، فإنها مدينه.
- ٥- ما عدا الآيات: ٨٥، ٨٤، ٥٤، ٥٣، ٥٢، فنزلت بالجحفه أثناء الهجره.
- ٦- ما عدا الآيات: ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، فإنها مدينه.
- ٧- عدا الآيه: ١٧، فإنها مدينه.
- ٨- ما عدا الآيات: ٢٩، ٢٨، ٢٧، فإنها مدينه.
- ٩- ما عدا الآيات: ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، فإنها مدينه.
- ١٠- ما عدا الآيه: ٦، فإنها مدينه.

رقم السوره/اسم السوره/عدد آياتها/مكان النزول/تاريخ النزول /٣٦يس /٨٣/مكيه/نزلت بعد الجن /
(١)/٣٧/الصفات/١٨٢/مكيه/نزلت بعد الأنعام/ /٣٨ص /٨٨/مكيه/نزلت بعد القمر/ /١٣٩الزمر/٧٥/مكيه/نزلت بعد سبأ/
(٢)/٤٠/المؤمن/٨٥/مكيه/نزلت بعد الزمر (٣)/٤١/فصلت/٥٤/مكيه/نزلت بعد غافر/ /١٤٢الشورى/٥٣/مكيه/نزلت بعد فصلت
(٤)/٤٣/الزخرف/٨٩/مكيه/نزلت بعد الشورى / (٥)/١٤٤الدخان/٥٩/مكيه/نزلت بعد الزخرف/ /١٤٥الجاثيه/٣٧/مكيه/نزلت بعد
الدخان (٦)/١٤٦/الأحقاف/٣٥/مكيه/نزلت بعد الجاثيه / (٧)/٤٧/محمد/٣٨/مدنيه/نزلت بعد الحديد / (٨)/١٤٨/الفتح/٢٩/مدنيه/نزلت
بعد الجمعه / (٩)/١٤٩/الحجرات/١٨/مدنيه/نزلت بعد المجادله / /٥٠ق /٤٥/مكيه/نزلت بعد المرسلات/
(١٠)/١٥١/الذاريات/٦٠/مكيه/نزلت بعد الأحقاف /ه.

ص: ٥٩

- ١- ما عدا الآيه: ٤٥، فإنها مدنيه.
- ٢- ما عدا الآيات: ٥٤، ٥٣، ٥٢، فإنها مدنيه.
- ٣- ما عدا الآيتين: ٥٧، ٥٦، فمدنيتان، و السوره تسمى (غافر) أيضا.
- ٤- ما عدا الآيات: ٢٧، ٢٥، ٢٤، ٢٣، فإنها مدنيه.
- ٥- ما عدا الآيه: ٥٤، فإنها مدنيه.
- ٦- ما عدا الآيه: ١٤، فإنها مدنيه.
- ٧- ما عدا الآيات: ٣٥، ١٥، ١٠، فإنها مدنيه.
- ٨- ما عدا الآيه: ١٣، فإنها نزلت في الطريق أثناء الهجره.
- ٩- نزلت هذه السوره في الطريق عند الانصراف من الحديبيه.
- ١٠- ما عدا الآيه: ٣٨، فإنها مدنيه.

رقم السوره/اسم السوره/عدد آياتها/مكان النزول/تأريخ النزول / ٥٢/الطور/٤٩/مكيه/نزلت بعد السجده / ٥٣/النجم/٦٢/مكيه/نزلت بعد الإخلاص (١)/٥٤/القمر/٥٥/مكيه/نزلت بعد الطارق / (٢)/٥٥/الرحمن/٧٨/مدينه/نزلت بعد الرعد / ٥٦/الواقعه/٩٦/مكيه/نزلت بعد طه / (٣)/٥٧/الحديد/٢٩/مدينه/نزلت بعد الزلزله / ٥٨/المجادله/٢٢/مدينه/نزلت بعد المنافقون / ٥٩/الحشر/٢٤/مدينه/نزلت بعد السينه / ٦٠/الممتحنه/١٣/مدينه/نزلت بعد الأحزاب / ٦١/الصف/١٤/مدينه/نزلت بعد التغابن / ٦٢/الجمعه/١١/مدينه/نزلت بعد الصف / ٦٣/المنافقون/١١/مدينه/نزلت بعد الحج / ٦٤/التغابن/١٨/مدينه/نزلت بعد التحريم / ٦٥/الطلاق/١٢/مدينه/نزلت بعد الإنسان / ٦٦/التحريم/١٢/مدينه/نزلت بعد الحجرات / ٦٧/الملك/٣٠/مكيه/نزلت بعد الطور / ٦٨/القلم/٥٢/مكيه/نزلت بعد العلق / (٤)/٦٩/الحاقه/٥٢/مكيه/نزلت بعد الملك / ٧٠/المعارج/٤٤/مكيه/نزلت بعد الحاقه / ٧١/نوح/٢٨/مكيه/نزلت بعد النحل / ٧٢/الجن/٢٨/مكيه/نزلت بعد الأعراف/هـ.

ص: ٦٠

-
- ١- ما عدا الآيه: ٣٢، فإنها مدينه.
 - ٢- ما عدا الآيات: ٤٤، ٤٥، ٤٦، فمدينه.
 - ٣- ما عدا الآيتين: ٨١، ٨٢، فمدينيتان.
 - ٤- إلا من الآيه: ١٧ إلى غايه الآيه: ٣٣، و من الآيه: ٤٨، إلى غايه: ٥٠ فإنها مدينه.

رقم السوره/اسم السوره/عدد آياتها/مكان النزول/تأريخ النزول /١٧٣المزمل/٢٠/مكيه/نزلت بعد القلم/
(١)/١٧٤المدثر/٥٦/مكيه/نزلت بعد المزمل / /١٧٥القيامه/٤٠/مكيه/نزلت بعد القارعه/ /١٧٦الدهر/٣١/مدنيه/نزلت بعد الرحمن/
/١٧٧المرسلات/٥٠/مكيه/نزلت بعد الهمزه (٢)/١٧٨النبأ/٤٠/مكيه/نزلت بعد المعارج /١٧٩النازعات/٤٦/مكيه/نزلت بعد النبأ/
/٨٠عبس/٤٢/مكيه/نزلت بعد النجم /١٨١التكوير/٢٩/مكيه/نزلت بعد المسد / /١٨٢الانفطار/١٩/مكيه/نزلت بعد النازعات/
/١٨٣المطففين/٣٦/مكيه/نزلت بعد العنكبوت / (٣)/١٨٤الانشقاق/٢٥/مكيه/نزلت بعد الانفطار / /١٨٥البروج/٢٢/مكيه/نزلت بعد
الشمس / /١٨٦الطارق/١٧/مكيه/نزلت بعد البلد / /١٨٧الأعلى/١٩/مكيه/نزلت بعد التكوير / /١٨٨الغاشيه/٢٦/مكيه/نزلت بعد الذاريات/
/١٨٩الفجر/٣٠/مكيه/نزلت بعد الليل / /١٩٠البلد/٢٠/مكيه/نزلت بعد ق / /١٩١الشمس/١٥/مكيه/نزلت بعد القدر/
/١٩٢الليل/٢١/مكيه/نزلت بعد الأعلى / /١٩٣الضحى/١١/مكيه/نزلت بعد الفجر / /١٩٤الانشراح/٨/مكيه/نزلت بعد الضحى /ه.

ص: ٦١

- ١- إلا الآيات: ٢٠، ١١، ١٠، فإنها مدنيه.
- ٢- ما عدا الآيه: ٤٨، فإنها مدنيه.
- ٣- هي آخر سوره نزلت بمكه.

رقم السوره/اسم السوره/عدد آياتها/مكان النزول/تأريخ النزول / ٩٥/التين/٨/مكيه/نزلت بعد البروج / ٩٦/العلق/١٩/مكيه/أول ما نزل من القرآن / ٩٧/القدر/٥/مكيه/نزلت بعد عبس / ٩٨/البينه/٨/مدنيه/نزلت بعد الطلاق / ٩٩/الزلزال/٨/مدنيه/نزلت بعد النساء / ١٠٠/العاديات/١١/مكيه/نزلت بعد العصر / ١٠١/القارعه/١١/مكيه/نزلت بعد قريش / ١٠٢/التكاثر/٨/مكيه/نزلت بعد الكوثر / ١٠٣/العصر/٣/مكيه/نزلت بعد ألم نشرح / ١٠٤/الهمزه/٩/مكيه/نزلت بعد القيامه / ١٠٥/الفيل/٥/مكيه/نزلت بعد الكافرون / ١٠٦/قريش/٤/مكيه/نزلت بعد التين / ١٠٧/الماعون/٧/مكيه/نزلت بعد التكاثر / (١) / ١٠٨/الكوثر/٣/مكيه/نزلت بعد العاديات / ١٠٩/الكافرون/٦/مكيه/نزلت بعد الماعون / ١١٠/النصر/٣/مدنيه/آخر ما نزل من سور القرآن / (٢) / ١١١/المسد/٥/مكيه/نزلت بعد الفاتحه / ١١٢/الإخلاص/٤/مكيه/نزلت بعد الناس / ١١٣/الفلق/٥/مكيه/نزلت بعد الفيل / ١١٤/الناس/٦/مكيه/نزلت بعد الفلق/ع.

ص: ٦٢

١- الآيات الثلاث الأولى مكيات، و البقيه مدنيه.

٢- وقد نزلت بمنى في حجه الوداع.

الفصل الثالث: جمع القرآن

ص: ٦٣

لجمع القرآن فى الروايات تأريخ متناقض عجيب، ألقى بتبعته على القرآن الكريم، و القرآن أسمى من أن يقدر فيه تعارض الروايات، و تداخل الأهواء، فهو محفوظ كما نزل، و سالم كما أوحى:

هذه الروايات بعد ضم بعضها إلى البعض الآخر تسفر عن هذه النتائج المتضاربة.

أ- مات النبى صلى الله عليه و آله و سلم و القرآن كله على العسب و اللخاف و الرقاع و الأكتاف، و لكنه لم يجمع فى مصحف، و قد راع أبا بكر (رض) كثره القتل فى القراء بعد وقعه اليمامة فى السنه الثانيه عشره للهجره، فاستشار عمر فى الأمر، فأقرا معا جمع القرآن من المصحف إلى المصحف، أو من العسب و اللخاف و الأفتاب إلى المصحف، و كلفا بالمهمه زيد بن ثابت.

ب- أن عمر بن الخطاب كان أول من جمع القرآن بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد أن سأل عن آيه فلم يجب إليها، و نهض بالمهمه زيد بن ثابت.

ج- أن أبا بكر مات، و عمر قد قتل، و لم يجمع القرآن بعد، أى أن المسلمين فى حاله فوضى من شرائع دينهم، و كتاب ربهم.

د- أن عثمان كان أول من جمع المصحف تاره، و أول من وحد المصحف تاره أخرى.

ه- أن القرآن كان مجموعا فى عهد النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أن جامعيه كانوا من الكثره بحيث يعدون تاره، و يخصصون تاره أخرى، و لا يحاط بهم سواهما.

و لقد وقفت من هذه الروايات موقف المندهش تاره، و موقف المتحير تاره أخرى، و قررت فى النهايه دراستها فى موضوعيه خالصه، أخلص منها إلى نتائج سليمه، قد تقارب الواقع و تتجه نحو الصواب بإذن الله.

و هذه الدراسه تعنى بالاستنباط القائم على أساس الاجتهاد الفكرى، و الاجتهاد معرض للخطأ و الصواب، و هى لا تمس القرآن و لا- الحديث، و إنما تسير بينهما هامشياً، فالقرآن هو القرآن أنى كانت طرقة، و ليس فى جميع روايات الجمع ما هو مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

من خلال ما تقدم نظفر بحصيلتين متعارضتين:

الأولى: إن النبى صلى الله عليه و آله و سلم مات و القرآن بعد لم يجمع فى مصحف.

الثانيه: أن القرآن كان مجموعاً فى عهد النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى مصحف.

يدل على الحصيله الأولى طائفة من الروايات المتناثره لإثبات الفقرات أ، ب، ج، د.

و يدل على الحصيله الثانيه طائفة الروايات و الدلائل و البراهين لإثبات فقره ه.

و لسنا نحاول تفنيد روايات الحصيله الأولى بقدر ما يهمنى إثبات حقيقه الحصيله الثانيه. لقد تتبع السيد الخوئى -فكفانا مؤنه الخوض فى ذلك- روايات الجمع بناء على الحصيله الأولى فى كل من صحيح البخارى، و مسند أحمد، و كنز العمال، و منتخب كنز العمال، و الاتقان للسيوطى، و كان أهم هذه الروايات من خلال تعقيبه عليها -غثها و سمينها- اثنتان و عشرون روايه (1).

و قد خلص إلى تناقضها فى تعيين العهد الذى جمع فيه القرآن متردداً بين عهد أبى بكر، عمر، عثمان، و من هو المتصدى لذلك؟ هل هو أبو بكر، أو عمر، أو زيد بن ثابت؟ و هل بقى من الآيات ما لم يدون إلى زمن عثمان؟ و من الذى طلب من أبى بكر جمع القرآن؟ و متى ٦.

ص: ٦٦

ألحقت بعض الآيات في القرآن، و بما ذا ثبت ذلك، و هل يكفي ذلك لتواتر القرآن (١).

و قد عارض الخوئي هذه الروايات بروايات أخر تدل على جمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مستندا فيها إلى منتخب كنز العمال، و صحيح البخارى، و إتقان السيوطى، و قد اعتبر التمثل بأن المراد من الجمع فى هذه الروايات هو الجمع فى الصدور لا التدوين، دعوى لا شاهد عليها، لأن الحفاظ أكثر من أن يعدوا (٢).

و قد ثبت لديه جمع القرآن بعهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و اعتبر ما سوى هذا معارضا لكتاب الله، و مخالفا لحكم العقل، و مناهضه صريحه للإجماع الذى عليه المسلمون كافة بأن القرآن لا طريق لإثباته إلا التواتر، فلا بد من طرح هذه الروايات لأنها تدل على ثبوت القرآن بغير التواتر، و قد ثبت بطلان ذلك بإجماع المسلمين (٣).

و اعتبر القول بروايات الجمع على أساس الحصيلة الأولى يستلزم فتح القول بالتحريف، باعتبار الجمع على تلك الطرق يكون قابلا للزيادة و النقصان (٤).

و قد أيد جمع عثمان للقرآن، لا- بمعنى أنه جمع الآيات و السور فى مصحف، بل بمعنى أنه جمع المسلمين على قراءه إمام واحد: «و هذا العمل من عثمان لم ينتقده عليه أحد من المسلمين، و ذلك لأن الاختلاف فى القراءه كان يؤدي إلى الاختلاف بين المسلمين، و تمزيق صفوفهم، و تفريق وحدتهم، بل كان يؤدي إلى تكفير بعضهم بعضا، و قد مرّ أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم منع عن الاختلاف فى القرآن» (٥).

و الحق أن الخوئي قد تتبع هذه القضية بكل جزئياتها و تفصيلاتها، ٨.

ص: ٦٧

١- المصدر نفسه: ٢٤٧-٢٤٩.

٢- المصدر نفسه: ٢٤٩-٢٥١.

٣- المصدر نفسه: ٢٥٢-٢٥٦.

٤- المصدر نفسه: ٢٥٧.

٥- المصدر نفسه: ٢٥٨.

و انقض عليها يفندها و يجرحها، مثبتا أن القرآن قد دون في عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و هذا ما نذهب إليه من خلال اضطلاعنا بأدله جملة تستقطب جملة من الروايات، و طائفه من الأدله الخارجيه و الداخليه حول الكتاب و ضمن الكتاب و على هامش الكتاب، تثبت دون ريب تكامل الجمع التدويني للقرآن في عهد النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم. و لا- نريد أن ندخل في متاهه من هذا الموضوع بقدر ما نريد إثبات الحقيقه و الوصول إليها بكل الطرق المختصره.

ففي جملة من الروايات المعتره نجد جزء لا يستهان به من هذه الحقيقه.

١- في البخارى، أن من جمعوا القرآن على عهد النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم أربعة، فعن قتاده، قال سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، و معاذ بن جبل، و زيد بن ثابت، و أبو زيد (١).

٢- مات النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و لم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، و معاذ ابن جبل، و زيد بن ثابت، و أبو زيد (١).

٣- أورد البيهقي عن ابن سيرين، جمع القرآن على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم أربعة لا- يختلف فيهم: معاذ بن جبل، و أبي بن كعب، و زيد، و أبو زيد. و اختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبو الدرداء، و عثمان، و قيل: عثمان و تميم الدارى (١).

٤- عن الشعبي، جمع القرآن على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم ستة: أبي، و زيد، و أبو الدرداء، و سعد بن عبيد، و أبو زيد، و مجمع بن جاريه و قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة. قال: و لم يجمعه أحد من الخلفاء من أصحاب محمد غير عثمان (١) ٥- و جمع على عهد النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم بعض من الصحابه القرآن كله، و بعض منهم جمع القرآن، ثم كمله بعد النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و ذكر محمد بن إسحاق في الفهرست: «إن الجماع للقرآن على عهد النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم هم: على بن أبي طالب ١.

ص: ٦٨

عليه السلام، وسعد بن عبيد بن النعمان، وأبو الدرداء عويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل بن أوس، وأبو زيد ثابت بن زيد، وأبي بن كعب، وعبيد ابن معاوية، وزيد بن ثابت» (١).

٦- ذكر الحافظ شمس الدين الذهبي، أن الأعداد المتقدمة هم الذين عرضوه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واتصلت بنا أسانيدهم، وأما من جمعه منهم، ولم يتصل بنا فكثير. وأما الذين عرضوا القرآن على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فسبعة:

عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء.

وقد أكد الحافظ الذهبي نفسه الجمع في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة، كمعاذ بن جبل، وأبي زيد، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعقبه بن عامر (٢).

٧- روى الخوارزمي في مناقبه عن علي بن رباح، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبي بن كعب (٣).

٨- أخرج بن أبي داود عن محمد بن كعب القرظي، قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعباد بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري (٤).

٩- قال الحارث المحاسبي، فيما أكده الزركشي: «وأما أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل: فبغير شك جمعوا القرآن، والدلائل عليه متظاهره» (٥).

١٠- أخرج البيهقي، وأبو داود، عن الشعبي، قال: جمع القرآن على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ستة: أبي، وزيد، ومعاذ، وأبو الدرداء، وسعد بن أ.

ص: ٦٩

١- ظ: الزنجاني، تاريخ، القرآن: ٤٦ و انظر مصدره.

٢- الزركشي، البرهان: ٢٤٢/١ و ما بعدها.

٣- الزنجاني، تاريخ القرآن: ٤٧.

٤- السيوطي، الاتقان: ٢٠٢/١.

٥- الزركشي، البرهان: ٢٣٩/١.

عبيد، و أبو زيد. و مجمع بن جاريه قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثه (١).

١١- ذكر بن أبي داود فيمن جمع القرآن: قيس بن أبي صعصعه، و هو خزرجي يكتني: أبا زيد (٢).

١٢- قال أبو أحمد العسكري: لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد. و قال ابن حبيب في المحبر: سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم (٣).

١٣- قال السيوطي: ظفرت بامرأه من الصحابيات جمعت القرآن، و لم يعدها أحد ممن تكلم في ذلك، فأخرج ابن سعد في الطبقات:

أنبأنا الفضل بن دكين، قال حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع، قال:

حدثني جدتي أم ورقه بنت عبد الله بن الحارث - و

كان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم يزورها، و يسميها الشهيده - و كانت قد جمعت القرآن... ثم ساق الحديث (٤).

و هذه الجملة من الروايات بضم بعضها إلى البعض الآخر تبرز لنا طائفه كبيره من أعلام المهاجرين و الأنصار قد جمعت القرآن في عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و ليس من المرجح أن يكون هؤلاء الرواه جميعا مع اختلاف عصورهم قد تواطؤوا على الكذب، فأوردوا ذكر هذه الجمهوره من الصحابه ممن جمعوا القرآن، و لا - منازع لهم في ذلك، بل و لا مناقش من الأعلام.

و أنت ترى أن هذه الروايات تدل دلاله قاطعه على الجمع المتعارف، و هو التدوين في مجموع ما، و قد يحلو للبعض أن يفسر الجمع بالحفظ في الصدور، و لا - دلاله لغويه عليه، إذ أنه انتقال باللفظ عن الأصل إلى سواه دون قرينه تعرف عن المعنى الأول، و لأنه معارض بجمهور الحفظه الذين لا - يعدون في عهد النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم كثره و تواترا و شيوعا، من النساء و الرجال ١.

ص: ٧٠

١- السيوطي، الاتقان: ٢٠٢/١.

٢- المصدر نفسه: ٤٠٢/١.

٣- المصدر نفسه: ٢٠٣/١.

٤- المصدر نفسه: ٢٠٣/١.

و فيهم الخلفاء الأربعة و أمهات المؤمنين و ذريه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم عدا آلاف المسلمين في طول البلاد و عرضها.

لقد عقب الماوردي على الروايه القائله، بأنه لم يجمع القرآن على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم إلا أربعه، و استقل ذلك بل استنكره، فقال:

«و كيف يمكن الإحاطه بأنه لم يكلمه سوى أربعه، و الصحابه متفرقون في البلاد؟ و إن لم يكلمه سوى أربعه، فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون» (١).

فالماوردي هنا يفرق بين الجمع و الحفظ، و هو من علماء القرن الخامس الهجري، ممن يعرف فحوى الخطاب، و منطوق العباره، و دلالة الألفاظ.

و الفرق بين الجمع و القراءه و الحفظ جلي لا يحتاج معه إلى بيان، قد ذكر أبو عبيد في كتاب القراءات: القراء من أصحاب النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم فعند الخلفاء الأربعة، و طلحه، و سعدا، و ابن مسعود، و حذيفه، و سالماء، و أبا هريره، و عبد الله بن السائب، و العبادله (٢)، و عائشه، و حفصه، و أم سلمه.

و من الأنصار: عباد بن الصامت، و معاذ الذي يكتي أبا حليمه، و مجمع بن جاريه، و فضاله بن عبيد، و مسلم بن مخلد (٣).

و هذا العدد يقتضى أن يكون على سبيل النموذج و المثال، لا على سبيل الحصر و الاستقصاء، أو أن هؤلاء ممن اشتهر بالحفظ و القراءه أكثر من غيرهم.

و مما يؤيد صدق الروايات المتقدمه في إرادته الجمع المتعارف هو تداول جمع القرآن على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم بما

روى عن زيد بن ثابت فإنه يقول: ١.

ص: ٧١

١- الزركشى، البرهان: ١/٢٤٢.

٢- العبادله، عبد الله بن عباس، و عبد الله بن عمر بن الخطاب، و عبد الله بن عمرو بن العاص، ظ: ابن منظور، لسان العرب: ٤/٢٦٩.

٣- السيوطي، الاتقان: ١/٢٠٢.

«كنا حول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم نُؤلف القرآن من الرقاع» (١). و دلالة التأليف، تعنى الجمع والتدوين، و ضم شىء إلى شىء، ليصح أن يطلق عليه اسم التأليف.

ولا- دليل على ادعاء الزركشى: بأن بعض القرآن جمع بحضرة النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم (٢). فلم لا- يكون كل القرآن جمع فى حضره النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم علما بأنه قد سبقه من صرح بجمع القرآن كله لا بعضه فى عهد النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم بما نصه: «أنه لم يكن يجمع القرآن كله إلا نفر يسير من أصحاب الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم» (٣).

ولا ريب- بعد هذا كله- أن هناك بعض المصاحف المتداوله عند بعض الصحابه فى عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم، والأخبار مجمعه على صحه وجودها، وعلى تعدد مصاحف الصحابه أيضا، إذ لو لم يكن هناك جمع بالمعنى المتبادر إليه، لما كانت تلك المصاحف أصلا، إن وجودها نفسه هو دليل الجمع، إذ لم يصدر منع من النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم عن جمعه، بل هناك

روايه عنه صَلَّى الله عليه وآله وسلم تقول: «لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن، فمن كتب عنى غير القرآن فليمحّه» (٤).

و جمع هؤلاء الصحابه للقرآن هو الجمع الذى نقول به، لا الحفظ، وإلا فما معنى تسميتها بالمصاحف؟ وما معنى اختلاف هذه المصاحف فيما تدعى الروايات.

لقد أورد ابن أبى داود قائمه طويله بأسماء مصاحف الصحابه، و عقب عليها بما فيها من الاختلاف، هذا الاختلاف الذى قد يعود فى نظرنا إلى التأويل لا إلى التنزيل، أو إلى عدم الضبط فى أسوأ الاحتمالات، وقد عقد لذلك بابا سماه «باب اختلاف مصاحف الصحابه» (٥). ٨.

ص: ٧٢

- ١- أبو شامه، المرشد الوجيز: ٤٤.
- ٢- ظ: الزركشى، البرهان: ١/٢٣٧.
- ٣- مقدمتان فى علوم القرآن: ٢٥.
- ٤- الخطيب البغدادي، تقييد العلم: ٢٩.
- ٥- ابن أبى داود، كتاب المصاحف: ٥٠-٨٨.

وقد عدد ابن أبي داود منها: مصحف عمر بن الخطاب، مصحف علي بن أبي طالب، مصحف أبي بن كعب، مصحف عبد الله بن مسعود، مصحف عبد الله بن عباس، مصحف عبد الله بن الزبير، مصحف عبد الله بن عمرو بن العاص، مصحف عائشه زوج النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم، مصحف حفصه زوج النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم مصحف أم سلمه زوج النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم (١).

قال الآمدي (ت: ٦١٧هـ) في كتابه (الأفكار الأبيكار): «إن المصاحف المشهوره في زمن الصحابه كانت مقروءه عليه و معروضه» (٢).

فالآمدي يجيبنا على سؤال دقيق هو: متى كتبت هذه المصاحف؟ و متى جمعيت؟ و كيف أقرت؟ و الجواب أنها كتبت في عهد النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم، و قرئت عليه، بل هي معروضه عليه للضبط و الدقه و الاتقان.

و هناك دليل جوهري آخر، و هو أن الروايات في قراءه القرآن كله، و ختمه، في عهد رسول الله تنطق بوجود جمعي له، إذ كيف يقرأ فيه من لم يحصل عليه.

-١-

«عن عبد الله بن عمرو، قال: قلت: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: اختمه في شهر، قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: أختمه في عشرين، قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: أختمه في خمس عشره، قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: أختمه في عشر. قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك، قال: أختمه في خمس، قلت: إنى أطيق أفضل من ذلك فما رخص لي» (٣).

و قد روى في غير هذا الحديث، أن النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم قال له أول مره، اقرأ القرآن في أربعين (٣).

-٢-

و روى عنه صَلَّى الله عليه وآله و سلم قوله: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» (٣). فأى قرآن يشير إليه النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم إن لم يكن مجموعا، و متداولاً بما تيسر قراءته عند المسلمين. ٨.

ص: ٧٣

١- المصدر نفسه: و الصفحات.

٢- الزنجاني، تاريخ القرآن: ٣٩.

٣- مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧-٢٨.

٣-و من المشهور الذى لا يجهل أن عمر بن الخطاب(رض) أقام من صلى التراويح بالناس فى ليالى رمضان، وأمره أن يقرأ فى الركعه الواحده نحواً من عشرين آيه، فكان يحيى القرآن فى الشهر مرتين. و معلوم أن ذلك لم يكن من المصحف الذى كتبه زيد، لأن المصاحف لم تنسخ منه (١).

و هذا تصريح بوجود المصاحف المغايره لما استنسخه زيد، و أن سيره المسلمين عليها إذ لم يعمم مصحف زيد.

و صاحب الرأى السابق يذهب صراحه أن القرآن كان منظوماً و مجموعاً على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (٢).

و قد يقال بأن الكتابه كانت محدوده فى عصر الرسول الأعمم صلى الله عليه و آله و سلم و قد يحول هذا دون تدوين القرآن، فيقال إن عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و عصر أبى بكر واحد، فما يقال هناك يقال هنا. على أن موضوع الكتابه لا يخلو من مبالغه، فهى و إن كانت محدوده النطاق، و مقتصره على طبقه من الناس، فإننا نشكك كثيراً فى تحديد الأرقام التى أوردتها المؤرخون، و لنا عليها مؤاخذات ليس هذا موطن بحثها، و يزداد شكنا حينما نلمح البلاذرى يقول:

«دخل الإسلام و فى قريش سبعة عشر رجلاً يكتب» (٣).

أو ما أوردته ابن عبد ربه الأندلسى «لم يكن أحد يكتب بالعربيه حين جاء الإسلام، إلا بضعة عشر رجلاً» (٤).

لا ريب أن العرب كانت أمه أميه، إلا أن هذه الأرقام لا تتناسب مع ذكر القرآن للكتابه و أدواتها و مشتقاتها بهذه الكثره. على أن للأميه دلالات أخرى لعل من أفضلها تعليلاً ما

رواه ابن أبى عمير، عن معاويه بن عمار، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فى تفسير قوله تعالى هُوَ الَّذِي بَعَثَ ٤.

ص: ٧٤

١- المصدر نفسه: ٣١.

٢- المصدر نفسه: ٣١.

٣- البلاذرى، فتوح البلدان: ٤٧٧.

٤- ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٢٤٢/٤.

قال الصادق: «كانوا يكتبون، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله ولا بعث إليهم رسول فنسبهم الله إلى الأميين» (٢).

و مهما يكن من أمر فأميه من أسلم، و قله الكتبه، و تضاؤل وسائل الكتابه، لم تكن موانع تحول دون تدوين القرآن.

فلقد اتخذ النبي صلى الله عليه و آله و سلم عددا من الكتاب للقرآن الكريم فى كل من مكه و المدينه فى طليعتهم الخلفاء الأربعة، و زيد، و أبى (٣).

قال القاضى أبو بكر الباقلانى: «و ما على جديد الأرض أجهل ممن يظفر بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه أهمل فى القرآن أو ضيعه، مع أن له كتابا أفاضل معروفين بالانتصاب لذلك من المهاجرين و الأنصار، فممن كتب له من قريش من المهاجرين: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و على، و زيد بن أرقم، و خالد بن سعيد، و ذكر أهل التفسير أنه كان يملى على خالد بن سعيد ثم يأمره بطل ما كتب و ختمه... و منهم الزبير بن العوام، و حنظله، و خالد بن أسد، و جهم بن الصلت، و غير هؤلاء..» (٤).

و لا شك أن الكتابه كانت تخضع للإشراف المباشر من قبل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالذات، ليكون النص مطابقا للوحى، كما مرّ

فى حديث خالد بن سعيد، و كما روى زيد بن ثابت: «كنت أكتب الوحى عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يملى على، فإذا فرغت، قال: اقرأه، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس» (٥).

و لقد كان العرب فى جاهليتهم يهتمون اهتماما كبيرا فى تقييد المأثور الذى،

ففى حديث سويد بن الصامت: ٥.

ص: ٧٥

١- الجمعه: ٢.

٢- ظ: الطباطبائى، الميزان، و انظر مصدره.

٣- ظ: الجهشياري، الوزراء و الكتاب: ١٤.

٤- الباقلانى، نكت الانتصار: ١٠٠.

٥- الصولى، أدب الكتاب: ١٦٥.

أنه قال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعل الذي معك مثل الذي معي، فقال: وما الذي معك؟ قال سويد: مجله لقمان، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اعرضها عليّ.

فعرضها عليه، فقال له: إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى، هو هدى و نور (١).

و إذا كان اهتمام العرب في الجاهلية، بمثل هذا المستوى من الجمع و التدوين للموروث الثقافي أو الديني، فكيف يكون اهتمامها بالقرآن الكريم، و النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين ظهرانهم يدعوهم إلى حفظه و مدارسته و القيام به.

لكأنتي بالآية حينما يتلوها الرسول الأعظم تتلاقفها الصدور لتدونها في السطور، و لقد كان من سيرته متى ما أسلم أحد من العرب دفعه إلى الذين معه، فعلموه القرآن. و إذا هاجر له أحد من أصحابه أو كله إلى من يعلمه القرآن:

«فكان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى رجل من الصحابة يعلمه القرآن، و كان يسمع لمسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ضجه بتلاوه القرآن، حتى أمرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا» (٢).

إذن، كيف كان يتم تعليم القرآن؟ و كيف كانت تلاوته؟ لا- أشك أن ذلك كان في مدون ما، و لا يمنع ذلك من الحفظ في الصدور.

يقول محمد عبد الله دراز: «إن النص المنزل لم يقتصر على كونه (قرآنا) أو مجموعه من الآيات تتلى أو تقرأ، و تحفظ في الصدور، و إنما كان أيضا (كتابا) مدونا بأعداد. فهاتان الصورتان تتضافران و تصحح كل منهما الأخرى. و لهذا كان الرسول كلما جاءه الوحي و تلاه على الحاضرين أملاه من فوره على كتبه الوحي» (٣).

و مما يدل على تدوينه و كتابته مجموعا في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مضافا إلى ما سبق بيانه - ما يلي:

-١

كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا نزلت عليه الآية من السورة دعا من يكتب له فيقول:

ضعها في موضع كذا و كذا من السورة. و هذا من أوضح الأدلة على أن ٤.

ص: ٧٦

١- ظ: ابن هشام، السيرة النبوية: ٦٨/٢+الزمخشري، الفائق: ٢٠٦/١.

٢- الزرقاني، مناهل العرفان: ٢٣٤/١.

٣- محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن: الكريم: ٣٤.

هذا الترتيب الذى رتبته الله عليه. ولأجله كان صلى الله عليه وآله وسلم يدلهم على موضع السور من القرآن، والآيه من السوره، ليكتب و يحفظ على نظمه و ترتيبه (١).

٢- لقد ورد لفظ الكتاب فى القرآن و السنه النبويه القطعيه الصدور، للدلاله على ماله كيان جمعى محفوظ، و الإشاره بل التصريح فى ذلك الكتاب إلى القرآن الكريم، فقد استعمل لفظ الكتاب فى القرآن بهذا الملحظ فى أكثر من مائه موضع، و نضرب لذلك بعض النماذج:

أ- ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ -البقره ٢.

ب- نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... -آل عمران ٣.

ج- هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ... -آل عمران ٧.

د- إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... ١٠٥ -النساء ١٠٥.

هـ- وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... -المائد ٤٨.

و- وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ... ٩٢ -الأنعام ٩٢.

ز- كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ ... ٢ -الأعراف ٢.

ح- الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ... ١ -يونس ١.

ط- الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ... -هود ١.

ى- الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ... ١ -إبراهيم ١.

أفلا يدل هذا الحشد الهائل إلى أن القرآن كان كتابا مجموعا يشار إليه. و مما يعضده ما ورد فى السنه الشريفه من التصريح بالكتاب فى عدده مواضع أبرزها:

أ-

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله ١.

ص: ٧٧

ب-

قوله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: «إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله و عترتى أهل بيتى» (٢).

فهل يعنى استخلاف الكتاب أن يترك بين عسب و رقاع و ألواح تاره، أو بين أقتاب و أكتاف و لخاف تاره أخرى، أم أن استخلافه له ينبغى أن يكون مجموعاً منظماً صالحاً لمعنى الخلافه.

٣- مما لا شك فيه أن الاسم البارز و الأمثل لسوره الحمد هو (فاتحه الكتاب)، و لو لم يكن القرآن مدوناً من قبل رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم بوحي من جبرئيل عليه السلام: «لما كان لتسميته هذه السوره فاتحه الكتاب معنى، إذ قد ثبت بالإجماع أن هذه السوره ليست بفاتحه سور القرآن نزولاً، فثبت أنها فاتحته نظماً و ترتيباً و تكليماً» (٣).

٤- قد يقال بأن جمع القرآن فى عهد النبى صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم هو حفظه فى الصدور، و هذا و إن كان دعوى لا دليل عليها، فإن من أبسط لوازمها أن الحفظ فى الصدور مما يستدعى توافر النص بين الأيدي و تداوله للمعارضه بين ما يحفظ و بين ما هو مثبت، و لا دليل أنهم كانوا يحفظونه مباشرة عند تلاوه النبى صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم له، إذ هذه الميزه من مميزات الرسول الأعمم فبمعارضه جبرئيل عليه السلام له يحفظ النص القرآنى و يستظهره و بتعهد من الله له كما دل على ذلك قوله تعالى:

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (١٧) (٤).

و الكثره الكاثره كانت تحفظ القرآن بمدارسته و تكرار تلاوته، و أقل ما فى ذلك أن تقارن الحفظ و الاستظهار بما لديها من نصوص قرآنيه، و هذا هو المتعين من قبل المسلمين نظراً لورعهم و احتياطهم من جهه، و تعبيراً.

ص: ٧٨

١- ابن الأثير، جامع الأصول: ١٨٧/١.

٢- الطوسى، التبيان: ٣/١.

٣- مقدمتان فى علوم القرآن: ٤١ و ما بعدها.

٤- القيامه: ١٦-١٧.

عن شغفهم بالقرآن و حبهم لمتابعته من جهه أخرى، فقد يظهر من كثير من الروايات كونهم يتحلقون لتلاوته ليلاً،
فقد رفع إليه:

«إني لأعرف أصوات رفته الأشعرين بالليل حين يدخلون و أعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل و إن كنت لم أر منازلهم
حين نزلوا بالنهار» (١).

٥- «و من المعلوم الذى لا خفاء به أن النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلم قد كان يؤم أصحابه فى الصلوات الخمس لا يخل بذلك
فى سفر و لا- حضر، فقرأ فى الركعتين من كل صلاه بسوره مع فاتحه الكتاب، و يسمعهم ذلك فى الغداه و العشى. فما ذا كان
يسمعهم ليت شعري، إن كانت آيات القرآن متفرقه و لم تنظم السور حتى أنها نظمت فى أيام أبى بكر و عثمان، فما ذا كان
يقرع العرب حيث يقول الله تعالى: فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ... (٢). و ذلك مما نزل بمكه، ثم قال تعالى: فَأَتُوا بِسُوْرِهِ مِنْ
مِثْلِهِ... (٣). و نزل ذلك بالمدينه، و لو كان على ما خيلوا لم يكن العباس ابن عبد المطلب يهرب يوم حنين حيث انهزم القول
فيقول: يا أصحاب سوره البقره، و سوره آل عمران، هذا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم. يستدعيهم بذلك إليه» (٤).

٦- «أورد ابن حجر ما أخرجه أحمد و أبو داود عن أوس بن أبى أوس، و كان فى الوفد الذين أسلموا على يد رسول الله صَلَّى الله
عليه و آله و سلم قال: فسألنا أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، و
خمس سور، و سبع سور، و تسع سور، و إحدى عشره، و ثلاث عشره، و حزب المفصل من (ق) حتى نختم (يعنى القرآن).

قال ابن حجر: (فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو عليه فى المصحف الآن كان على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله
و سلم) (٥). ٩.

ص: ٧٩

١- الزرقانى، مناهل العرفان: ٣١٣/١.

٢- هود: ١٣.

٣- البقره: ٢٣.

٤- مقدمتان فى علوم القرآن: ٢٧.

٥- ابن حجر، فتح البارى: ٤٢/٩.

٧-أورد السيوطى فى مسأله القراءه فى المصحف أفضل من القراءه من حفظه،لأن النظر فى المصحف عباده مطلوبه،أورد عده روايات مرفوعه إلى النبی صلی الله علیه و آله و سلم فيها ذكر المصحف،مما یعنى أن لفظ«المصحف» المجموع فيه القرآن،كان شائعاً و معروفاً،و ذا دلالة معینه منذ عهد النبی صلی الله علیه و آله و سلم،فما رفع إليه على سبيل المثال (١):

أ-

ما أخرجه الطبرانى،و البيهقى فى الشعب من حديث أوس الثقفى مرفوعاً:

«قراءه الرجل فى غير المصحف ألف درجه،و قراءته فى المصحف تضاعف ألفى درجه».

ب-

ما أخرجه البيهقى عن ابن مسعود مرفوعاً: «من سره أن يحب الله و رسوله صلی الله علیه و آله و سلم،فليقرأ فى المصحف».

ج-

و أخرج غير السيوطى،عن أبى هريره،أن النبی صلی الله علیه و آله و سلم قال: الغرباء فى الدنيا أربعه،و عدّ منها مصحفاً لا يقرأ فيه (٢).

هـ-

و روى ابن ماجه،و غيره،عن أنس مرفوعاً: «سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته،و هو فى قبره،و عدّ منهن: من ورت مصحفاً» (٣).

و-

و عن ابن عمر،قال نهى رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدو،مخافه أن ينالوها، و فى لفظ آخر: نهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو (٤).

فهذه الأحاديث و أمثالها-إن صحت-دليل صريح على وجود جمعى و كيان تأليفى للقرآن فى مصحف،بل فى المصحف نفسه. ١.

ص: ٨٠

١-الأحاديث أ،ب،ج،فى السيوطى:الاتقان:٣٤/١ و ما بعدها.

٢-المناوى،فيض القدير.

٣-ظ:السيوطى،الاتقان:١٦٦/٤.

٤-ابن أبى داود،كتاب المصاحف:١٨٠-١٨١.

و الزركشى مع قوله: إن القرآن كان على هذا التأليف و الجمع فى زمن النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلا- أنه يعقب عليه بقوله: و إنما ترك جمعه فى مصحف واحد، لأن النسخ كان يرد على بعض، فلو جمعه ثم رفعت تلاوه بعض، لأدى إلى الاختلاف، و اختلاط الدين» (١).

فيرده التصريح بالجمع فيما تقدم من روايات و أدله و أمارات يقطع العقل بصحتها، و التحقيق العلمى يقتضى أن يكون القرآن كله قد كتب و جمع فى عهد النبى صلى الله عليه و آله و سلم كما يرى ذلك ابن حجر (٢).

أما تعليقه عدم جمع القرآن فى مصحف بنسخ تلاوه، فمعارض و مطروح بمناقشه المسألة أصلاً و موضوعاً، إذ لا نسخ تلاوه فى الكتاب الكريم، و القول بنسخ التلاوه هو عين القول بالتحريف، و لا تحريف بالكتاب إجماعاً، فالآيه حينما تنزل فهى قرآن سواء نسخت أو لم تنسخ، و رفعها من القرآن يعنى ما هو قرآن.

و على فرض وجود النسخ المدعى، فالإشكال نفسه يرد بالنسبه للحفظ و الاستظهار، فحفاظ القرآن أكثر من أن يحصوا، فإذا نزل الناسخ للتلاوه وقع ذات الإشكال، و صعب إزاله ما هو محفوظ فى الصدور، بينما لو ثبت كتابه، لكان الرفع و الإزاله أيسر ذلك بالإشاره إلى مواضعها و هو أبرم للأمر كما هو ظاهر.

و فى ضوء ما تقدم، لا نميل إلى الرأى القائل بأن القرآن لم يجمع فى مصحف واحد، لثلا يرد الناسخ فيؤدى إلى الاختلاف.

و الذى يلفت النظر حقاً من جراء الاعتقاد أو التصور بأن أبا بكر (رض) قد جمع القرآن فى مصحف، هو مصير هذا القرآن المجموع، فليس بين أيدينا روايه واحده تتحدث عن هذا القرآن بأنه قد جمع للمسلمين، أو ٩.

ص: ٨١

١- الزركشى، البرهان: ٢٣٥/١.

٢- ابن حجر، فتح البارى: ١٢/٩.

جعل قيد الاستعمال، أو استنسخ منه و لو نسخه واحده إلى مكه مثلاً، و هي حرم الله، و قد بقى هذا الحرم فيما يزعم دون قرآن يقرأ أو يتعلم أو يستظهر فيه.

و أغلب الظن إذا صحت روايات الجمع المدعى، فإن أبا بكر قد جمع لنفسه قرآناً فى مصحف كما جمع غيره من الصحابه، و إلا فلو جمعه للمسلمين، و ليس للمسلمين فى قرآن مجموع لكان من الضروره الملحه بمكان أن لا يغيب عن ظنه احتياج المسلمين لعهده نسخ منه على الأقل، كما فعل عثمان فيما بعد، أو لأوضح بأنه القرآن الرسمى للدوله التى يقوم على رأسها، و لو اعتذر بأن حياته لم تطل، لكان من الواجب على عمر تنفيذ ذلك.

و الأغرّب من هذا كله أنه لم يحدثنا التاريخ أن أحدا فى عهد أبى بكر و عمر قد استنسخ من هذا القرآن شيئاً، مما اضطر فيه الدكتور دراز أن يعبر عن رأيه فيه بقوله: «و لكن رغم قيمه هذا المصحف العظيمه، و رغم ما يستحقه من العنايه التى بذلت فى جمعه، فإن مجرد بقائه محفوظاً بعنايه عند الخليفتين الأولين أسبغ عليه الطابع الفردى أو الشخصى بعض الشيء، و لم يصبح وثيقه للبشر كافه إلا من يوم نشره، و لكن فرصه نشره لم تتح إلا فى خلافه عثمان بعد معارك أرمينية و أذربيجان» (١).

على أن ما صرح به الحاكم فى المستدرک أن ذلك كان جمعا فى المصحف لا فى المصحف إذ قال: «فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصه بنت عمر» (٢).

و قد قطع ابن أبى داود بأنها صحف فى عده مواضع من كتابه (٣).

و دراز و إن اعتبر ما جمعه أبو بكر بحسب الروايات التى ناقشناها، مصحفاً إلا أنه أرجعه إلى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالطريقه التى عبر عنها بقوله: خ.

ص: ٨٢

١- محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن: الكريم: ٣٨.

٢- السيوطى، الاتقان: ١٦٥/١.

٣- ابن أبى داود، المصاحف: ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢١، ١٩... إلخ.

«و لا يفوتنا أن ننبه هنا إلى أن آيات مصحف حفصه لا ترجع إلى الخليفة الأول، وإنما ترجع بنصها الكامل إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم» (١).

و مهما يكن من أمر، فقد أورد ابن حجر، بناء على صححه بعض الروايات في شأن الكتابه قوله: «و لم يأمر أبو بكر إلا بكتابه ما كان مكتوبا» (٢).

و هذا هو الاستنساخ بعينه، و لا مانع أن يستنسخ أبو بكر لنفسه مصحفا شأن بقيه الصحابه. و قد أيد ذلك ابن شهاب بقوله: «إن أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس، و قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل» (٣).

فهذه الروايه تدل صراحه أن أبا بكر قد جمعه في قراطيس، و قد طلب من زيد باعتباره من كتاب الوحي أن ينظر فيه لتقويمه، و لا دلالة فيه على جمع مصحفى، و إلى تصديه لذلك.

و لا- يفوتنا التنبيه أن جمله من الرواه يعتبرون الجمع إنما تم في عهد عمر لا- أبى بكر. و منه ما أخرجه بن أبى داود عن طريق الحسين، أن عمر سأل عن آيه من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، قتل يوم اليمامة، فقال: «إنا لله ثم أمر بالقرآن فجمع، فكان أول من جمعه في المصحف» (٤).

و فى روايه أخرى، قال ابن إسحاق: لما جمع عمر بن الخطاب المصحف. و فى نص آخر: لما أراد عمر أن يكتب الإمام (٥).

و لم يكتب هؤلاء بترك القرآن متناثرا فى عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم و أبيه.

ص: ٨٣

١- دراز، مدخل إلى القرآن: الكريم ٤٦.

٢- ابن حجر، فتح البارى: ١٣/٩.

٣- الخوئى، البيان: ٢٤٢ و انظر مصدره.

٤- المصاحف: ١٠+السيوطى، الاتقان: ١٦٦/١.

٥- الخوئى، البيان: ٢٤٤ و انظر مصدره.

بكر، حتى قالوا بجمعه في عهد عمر، مما فتح باب القول للمستشرقين في ذلك، فقد أيد «شواللي» الشك في صحه الروايه القائله: بأن أبا بكر هو الذى أمر بجمع القرآن (١).

وقال بروكلمان: «و مما يحتمل كثيرا من الشك ما ذكرته الروايه من أن معركة اليمامة الحاسمه مع مسيلمه سنه ١٢هـ ٦٦٣م التى قتل فيها عدد كبير من قراء الصحابه، هى التى قدمت الداعى إلى جمع القرآن...»

على أن الخليفه عمر هو الذى أمر زيد بن ثابت-و كان شابا مدنيا كتب كثيرا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم- أن يقوم بجمع القرآن و كتابات الوحى. وبقى هذا المجموع فى حوزة عمر، ثم ورثته حفصه. و لعل هذا المجموع الأول كان صحفا متناثره» (١).

و أغرب مما تقدم ما أخرجه بن أشته، قال: «مات أبو بكر و لم يجمع القرآن، و قتل عمر و لم يجمع القرآن» (٢).

و كل هذه الاعتبارات بما فيها ما أكد المستشرقون تتضمن تلويحا خفيا بل تصريحيا جليا بأن القرآن قد مرت عليه عهود و عصور و هو بعد لم يدون، و إنما دون بعد ذلك اعتمادا على نصوص قد تكون ناقصه أو ممزقه، و على روايات شفويه قابله للخطأ و السهو و النسيان، للقول من وراء هذا بالتحريف و هو ما نرفضه جملة و تفصيلا.

و إذا سلمنا بأن جمع القرآن قد تم بعهد الصحابه، و أنهم قد استشهدوا على إثباته بشاهدين (٣) و أن آيات لم يجدوها إلا مع معينين بالذات، «فمن زيد قال: كتبت المصاحف فقدت آيه كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجدتها عند خزيمة بن ثابت الأنصارى.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... ٢٣ (٤) و كذلك آيه ٣.

ص: ٨٤

١- بروكلمان تاريخ الأدب العربى: ١/١٣٩ و ما بعدها.

٢- السيوطى: الاتقان: ١/٢٠٢.

٣- المصدر نفسه: ١/١٦٧.

٤- الأحزاب: ٢٣.

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ...-١٢٨ (١) و غيرها و غيرها (٢).

فلا يصح حينئذ عدّ آيات القرآن في أماكنها من السور، ولا السور من المصحف توقيفياً، وإنما هو باجتهاد من الصحابة، كما تدل عليه تضافر روايات الجمع في ذلك، وإذا قلنا بتوقيف الآيات في السور، والسور من المصحف، فلا بدّ أن نقول إن القرآن قد جمع على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلمّ و هو ما نميل إليه و نرجحه في ضوء ما تقدم.

قال البيهقي: و أحسن ما يحتج به أن يقال: إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهه النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلمّ و أخذه عن جبرائيل عليه السّلام (٣).

و هناك ثلاثه مواقف تجلب الانتباه عند جملة من أرباب علوم القرآن، فهى تقدم رجلا و تؤخر أخرى، فلا تريد أن تقول إن القرآن لم يجمع بعهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلمّ، و لا تريد أن تقول إن أبا بكر قد جمع القرآن سابقا إلى الموضوع.

الأول: عمليه الاستنساخ التي صرح بها أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى (ت: ٢٤٣ هـ) بقوله: «كتابه القرآن ليست بمحدثه فإنه صَلَّى الله عليه وآله و سلمّ كان يأمر بكتابتها، ولكنه كان مفرقا في الرقاع و الأكتاف و العسب، و إنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان، و كان ذلك بمنزله أوراق وجدت في بيت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلمّ فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، و ربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء» (٤).

الثاني: ما ورد في المقدمة الأولى في علوم القرآن بإجمال على شكل فتوى تاره، و تحذير تاره أخرى، في قوله: «و من زعم أن بعض القرآن سقط على المسلمين وقت جمع المصحف، و أن السور ضم بعضها إلى بعض بالمشوره و الرأى فقد أعظم على الله الفريه، لأن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلمّ كان يملئ كلما نزل من القرآن على كتابه أولا بأول، ميلا إلى حفظه ١.

ص: ٨٥

١- التوبه: ١٢٨.

٢- ابن أبى داود، المصاحف: ٣١.

٣- السيوطى، الاتقان: ٣٠٩/١.

٤- الزركشى، البرهان: ٢٣٨/١.

و صيانته، فحفظ القرآن من أوله إلى آخره على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم» (١).

الثالث: موقف الزركشى المتردد بين السلب و الإيجاب فيما رد به توهم بعض الناس أن القرآن لم يجمع بعهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم متبينا رأى الحارث المحاسبى بقوله: و فى قول زيد بن ثابت: فجمعتهم من الرقاع و الأكتاف و صدور الرجال ما أوهم بعض الناس أن أحدا لم يجمع القرآن فى عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم و أن من قال: إنه جمع القرآن أبى بن كعب و زيد ليس بمحفوظ. و ليس الأمر على ما أوهم، و إنما طلب القرآن متفرقا ليعارض بالمجتمع عند من بقى ممن جمع القرآن ليشارك الجميع فى علم ما جمع فلا نصيب أحد عنده منه شىء، و لا يرتاب أحد فيما يودع المصحف، و لا يشكو فى أنه جمع عن ملأ منهم» (٢).

و فى ضوء ما تقدم يجب أن ندع التشريك و التغريب جانبا، فى قضيه جمع القرآن، و أن نخضع للواقع الموضوعى و الجراه العلميه فنقول إن القرآن جمع و دوّن كاملا بكل حيثياته و جزئياته فى عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم، و بأمر من الوحي، و بإشاره من القرآن نفسه، ما دام هناك أثر قطعى من كتاب أو سنه أو عقل أو جماع، فلا نركن إلى روايات آحاد لا تبلغ حد الشهره فضلا عن التواتر الذى لا يثبت القرآن إلا به بإجماع المسلمين، و أن نعتبر النبى صَلَّى الله عليه وآله و سلم مسئولا أمام الوحي عن جمع القرآن و تدوينه، كمسئوليته عن نشره و تبليغه، و فيما قدمناه من دلائل و براهين و روايات إثبات لما نتبناه.

نعم لا شك أن عثمان قد جمع القرآن فى زمانه، لا بمعنى أنه جمع الآيات و السور فى مصحف، بل بمعنى أنه جمع المسلمين على قراءه إمام واحد، و أحرق المصاحف الأخرى التى تخالف مصحفه، و كتب إلى البلدان أن يحرقوا ما عندهم منها، و نهى المسلمين عن الاختلاف فى القراءه (٣). ٨.

ص: ٨٦

١- مقدمتان فى علوم القرآن: ٥٨.

٢- الزركشى، البرهان: ٢٣٨/١.

٣- ظ: الخوئى، البيان: ٢٥٨.

فقد أخرج ابن أشته قال: اختلفوا في القراءه على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان و المعلمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: عندي تكذبون به و تلحنون فيه، فمن نأى عنى كان أشد تكذيبا، و أكثر لحنا. يا أصحاب محمد اجتمعوا فكتبوا للناس إماما، فاجتمعوا فكتبوا (١).

هذا فيما شاهد عثمان في المدينة المنوره من الاختلاف في القراءات و الوجوه و اللغات، فاقنصر من سائرهما على لغه قريش لأن القرآن نزل بلغتهم.

و قد يبدو من روايه أخرى أكثر شيوعا أن الاختلاف امتد إلى الثغور بين الأجناد فطعن بعضهم البعض بقراءه البعض الآخر، فهال هذا الأمر حذيفه بن اليمان، و كان يغازى أهل الشام في أرمينيه و أذربيجان مع أهل العراق، فأشار على عثمان أن يدرك هذه الأممه قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود و النصارى ففرع عثمان لذلك و صمم على جمع الناس على إمام واحد (٢).

و كان هذا الأمر غيره من حذيفه على القرآن، و استجابته من عثمان لصيانته القرآن.

و سأل عثمان: أى الناس أفصح؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال: أى الناس أكتب؟ قالوا: زيد بن ثابت، قال: فليكتب زيد، و ليمل سعيد، فكتب مصاحف فقسمها في الأمصار (٣).

و يستدل في كثير من الروايات أن هذا الترتيب و الجمع على قراءه واحده و في مصحف واحد كان على ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و بمشاوره من أهل القرآن (٤). ٤.

ص: ٨٧

١- السيوطي، الاتقان: ١٧٠/١.

٢- ظ: ابن أبي داود، المصاحف: ١٨ و ما بعدها.

٣- ظ: الطبري، جامع البيان: ١/٦٢+ ابن أبي داود، المصاحف: ٢٤+ أبو شامه، المرشد الوجيز: ٥٨.

٤- ظ: ابن أبي داود، المصاحف: ١٢+ المرشد الوجيز: ٦٤.

و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم يلقن أصحابه و يعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك، و إعلامه عند نزول كل آيه أن هذه الآيه تكتب عقيب آيه كذا فى السوره التى يذكر فيها كذا، و روى معنى هذا عن عثمان بالذات (١).

قال الحارث بن أسد المحاسبى (ت: ٢٤٣ هـ):

«و المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان رضى الله عنه، و ليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه و بين من شهده من المهاجرين و الأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق و الشام فى حروف القراءات و القرآن. و أما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن» (٢).

و فى عقيدتى أن أهم الأعمال التى قام بها عثمان هو جمع الناس على حرف واحد، فقد قطع به دابر الفتنة و الخلاف، و فيه جراه كبيره تحدى بها كثيرا من الصعوبات.

يقول الدكتور طه حسين:

«و ليس من شك فى أن ما أقدم عليه عثمان من توحيد المصحف و حسم هذا الاختلاف، و حمل المسلمين على حرف واحد، أو لغه واحده يقرءون بها القرآن، عمل فيه كثير من الجراه، و لكن فيه من النصح للمسلمين أكثر مما فيه من الجراه. فلو قد ترك عثمان الناس يقرءون القرآن قراءات مختلفه بلغات متباينه فى ألفاظها، لكان هذا مصدر فرقه لا شك فيها، و لكان من المحقق أن هذه الفرقة حول الألفاظ ستؤدى إلى فرقه شر منها حول المعانى بعد أن كان الفتح، و بعد أن استعرب الأعاجم، و بعد أن أخذ الأعراب يقرءون القرآن» (٣).

ص: ٨٨

١- أبو شامه، المرشد الوجيز.

٢- الزركشى، البرهان: ٢٣٩/٩ + السيوطى، الاتقان: ١٧١/١.

٣- طه حسين، الفتنة الكبرى: ١٨٢/١ و ما بعدها.

و حينما تمّ توحيد المصحف على الشكل المقرر استنسخ عثمان منه عدة مصاحف أرسل بها إلى الأمصار.

و اختلف في عدة هذه المصاحف، فقليل أربعه، و المشهور أنها خمس (١) و أخرج أبو داود عن أبي حاتم السجستاني: أنها سبعة مصاحف، فأرسل إلى مكه و إلى الشام و إلى اليمن و إلى البحرين و إلى البصره و إلى الكوفه، و حبس بالمدينه واحدا (٢).

و هذا العدد أوعى في توحيد القراءه لاستيعابه كبريات الآفاق الإسلاميه آنذاك، فيما دامت المهمه بهذا الاتجاه، فالأنسب التوسع في استنساخ جمله من المصاحف تؤدي الهدف بعنايه شموليه.

و أيا كان عدد هذه المصاحف، فقد كانت الأساس لاستنساخ آلاف المصاحف في الديار المتراميه الأطراف، موحد منظمه مؤصله، اشتملت على القرآن بجزئياته و حيثياته كافه، دون زياده أو نقصان، أو تغيير أو تحريف، بل هي من الوثوق بكونها عين القرآن الذي أنزل على الرسول الأعظم صلّى الله عليه و آله و سلم بجميع خصوصياته في التنزيل و الترتيب و التوقيف.

و ليس أدل على ذلك من شهاده أعلام المستشرقين في تأكيد هذه الحقيقه العلميه مع ابتعادهم عن كثير من ضروريات الإسلام، و لكنه الحق الذي يفرض ذاتيته و موضوعيته في أغلب الأحيان.

قال السير وليم موير: «إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أى تحريف. و لقد حفظ بعنايه شديده بحيث لم يطرأ عليه أى تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أى تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها و المتداوله في البلاد الإسلاميه الواسعه» (٣).

و لم يكن اختلاف المسلمين في الفروع و الجزئيات مانعا من إجماعهم.

ص: ٨٩

١- ظ: السيوطي، الاتقان: ١/١٧٢.

٢- ظ: ابن أبي داود، المصاحف: ٣٤.

٣- محمد عبد الله دراز، المدخل إلى القرآن: الكريم: ٤٠ و انظر مصدره.

المنقطع النظير على توثيق كل تفاصيل القرآن من ألفه إلى يائه.

و لقد كان الأستاذ لو بلوا موضوعيا حينما أكد بقوله: «إن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الوحيد الذى ليس فيه أى تغيير يذكر»
(١).

و حينما تم إقرار المصحف الإمام، و استنسخت المصاحف فى ضوئه، و سيرت إلى الآفاق - و كان ذلك فى سنة خمس و عشرين
من الهجره النبويه (٢) - أنس عثمان بصنيعه هذا، و عمد إلى توثيقه و تفرد به بصيغتين:

الأولى: إرساله من يثق المسلمون بحفظه و إقراءه مع مصحف كل إقليم بما يوافق قراءته و كان ذلك موضع اهتمام منه فى أشهر
الأقاليم، فكان زيد بن ثابت مقرئ المصحف المدنى، و عبد الله بن السائب مقرئ المصحف المكى، و المغيرة بن شهاب مقرئ
المصحف الشامى، و أبو عبد الرحمن السلمى مقرئ المصحف الكوفى، و عامر بن عبد القيس مقرئ المصحف البصرى (٣).

الثانية: أمره بما سواه من القرآن فى كل صحيفه و مصحف أن يحرق (٤).

و كان هذا العمل مدعاه للنقد حيناً، و مجالا للتشهير به حيناً آخر حتى قال الخوئى:

«و لكن الأمر الذى انتقد عليه هو إحراقه لبقية المصاحف، و أمره أهالى الأمصار بإحراق ما عندهم من المصاحف، و قد اعترض
على عثمان فى ذلك جماعه من المسلمين، حتى سموه بحراق المصاحف» (٥).

و قد عقب على ذلك الدكتور طه حسين بقوله: «و ربما تحرج بعض المسلمين من تحريق ما حرّق عثمان من المصحف، و لم
يقبلوا اعتذاره».

ص: ٩٠

١- المصدر نفسه: و الصفحه.

٢- السيوطى، الاتقان: ١٧٠/١.

٣- ظ: الزرقانى، مناهل العرفان: ٣٩٦/١ و ما بعدها.

٤- السيوطى، الاتقان: ١٦٩/١.

٥- الخوئى، البيان: ٢٥٨.

بحسم الفتنة و قطع الخلاف. و لو قد كانت الحضاره تقدمت بالمسلمين شيئا لكان من الممكن أن يحتفظ عثمان بهذه الصحف التي حرقها على أنها نصوص محفوظه لا تتاح للعامه، بل لا تكاد تتاح للخاصه، وإنما هي صحف تحفظ ضنا بها على الضياع. و لكن المسلمين لم يكونوا قد بلغوا في ذلك العصر من الحضاره ما يتيح لهم تنظيم المكتبات و حفظ المحفوظات، و إذا لم يكن على عثمان جناح فيما فعل لا من جهه الدين و لا من جهه السياسه، فقد يكون لنا أن نأسى لتحريق تلك الصحف؛ لأنه إن لم يكن قد أضاع على المسلمين شيئا من دينهم، فقد أضاع على العلماء و الباحثين كثيرا من العلم بلغات العرب و لهجاتها، على أن الأمر أعظم خطرا و أرفع شأنًا من علم العلماء، و بحث الباحثين عن اللغات و اللهجات» (١).

و مهما يكن من رأى حول هذا الموضوع، فإن من المقطوع به أن المصحف العثماني هو النص القرآني الوحيد الذي عليه عمل المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها، و هو الكتاب المقدس الوحيد الذي أحيط بعنايه و رعايه خاصه، حتى نقل بالتواتر القطعي جيلا بعد جيل.

و يبدو أن بعض نسخ المصحف العثماني، قد كانت معروفه في القرن الثامن الهجري، فالحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) يقول:

«أما المصاحف العثمانيه الأئمه فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصوره المعموره بذكر الله، و قد كان قديما بمدينة طبريه ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ٥١٨هـ، و قد رأته كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوي، بحبر محكم، في رق أظنه من جلود الإبل» (٢).

قال أبو عبد الله الزنجاني: «و مصحف الشام رآه ابن فضل الله العمري في أواسط القرن الثامن الهجري فهو يقول في وصف مسجد دمشق: (و إلى جانبه الأيسر المصحف العثماني) و يظن قويا أن هذا.

ص: ٩١

١- طه حسين، الفتنة الكبرى: ١/١٨٣ و ما بعدها.

٢- ابن كثير، فضائل القرآن: ٤٩، طبعه المنار، القاهره ١٣٤٨هـ.

المصحف هو الذى كان موجودا فى دار الكتب فى لندن غراد و انتقل إلى إنكلترا» (١).

و قد تتبع هذا الأمر فى المتحف البريطانى فلم أظفر بحصيله يطمئن إليها بوجود هذا المصحف.

نعم هناك عدده مصاحف فى دار الكتب المصريه، مكتوبه بالخط الكوفى، و لكن الزخارف و النقوش توحى بأنها لا علاقه لها بأيه نسخه من المصاحف العثمانيه.٧.

ص: ٩٢

١- الزنجانى، تاريخ القرآن: ٦٧.

هناك اتجاهان رئيسيان في شأن نشوء القراءات القرآنية و مصادرها.

الأول: أن المصحف العثماني قد كتب مجردا عن الشكل و النقط و الإعجام، فبدا محتمل النطق بأحد الحروف المتشابهة في وجوه مختلفه، فنشأت نتيجة ذلك القراءات المتعدده للوصول إلى حقيقه التلفظ بتلك الألفاظ المكتوبه، ضبطا لقراءه القرآن على وجه الصحه و كما نزل. و في هذا الضوء تكون القراءات القرآنيه اجتهاديه فيما احتمل موافقته للصحه من جهه الرسم القرآنى أو العربيه، و قد تكون روائيه في إيصال النص القرآنى مشافهه عن طريق الإسناد، فيصحح الرسم القرآنى في ضوء الإسناد الروائى.

الثانى: أن منشأ ذلك هو التوصل بالروايه المسنده القطعيه المرفوعه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في كيفية القراءه القرآنيه إلى النطق بآيات القرآن الكريم كما نطقها، و كما نزلت عليه و حيا من الله تعالى، بغض النظر عن كتابه المصحف الشريف، و في هذا الضوء فهى الطرق المؤديه بأسانيدها المختلفه حتى تتصل بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و إذا كان الأمر كذلك، و تحققت هذه الطرق بالأسانيد الصحيحه الثابته، فالقراءات متواتره و ليست اجتهاديه.

و قد ادعى المستشرق المجرى جولد تسهير أن نشأه القراءات كانت بسبب تجرد الخط العربى من علامات الحركات، و خلوه من نقط الإعجام (1). ا.

ص: ٩٥

١- ظ: جولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلامى: ٨ و ما بعدها.

و تابعه على هذا المستشرق الألماني الأستاذ كارل بروكلمان فقال:

«حقاً فتحت الكتابه التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجه الكمال، مجالاً لبعض الاختلاف في القراءه، لا سيما إذا كانت غير كامله النقط، و لا مشتمله على رسوم الحركات، فاشتغل القراء على هذا الأساس بتصحيح القراءات و اختلافها» (١).

و قد أكد بروكلمان هذا المعنى فيما بعد و قال: «جمع عثمان المسلمین على نص قرآنی موحد، و هذا النص الذي لم يكن كاملاً في شكله و نقطه، كان سبباً في إيجاد اختلافات كثيره، و لذلك ظهرت عده مدارس في بعض مدن الدوله الإسلاميه، و بخاصه في مكه و المدينه و البصره و الكوفه، استمرت كل منها في روايه طريقه للقراءه و النطق، معتمده في ذلك على أحد الشيوخ... و لقد تبين على مر الزمن أن الدقه في الروايه الشفويه، التي كانت مرعيه في بادئ الأمر، لا يمكن اتباعها دائماً بسبب عدد من الأشياء الصغيره التي و جب المحافظه عليها» (٢).

و مع أن هذا الرأي قد لقي نقداً و تجريحا من قبل بعض الدارسين العرب (٣). إلا أنه لقي بالوقت نفسه تأييداً من قبل آخرين أمثال الدكتور جواد على و الدكتور صلاح الدين المنجد (٤). لما يحمله في طياته من بعض وجوه الصحه.

لقد كان الاختلاف في القراءه شائعاً، فأراد النص التدويني للمصحف العثماني، قطع ذلك الاختلاف، فكان سبيلاً إلى التوحيد، و هذا لا يمانع أن ينشأ بعد هذا التوحيد بعض الخلاف الذي جاء اجتهاداً في أصول الخط المكتوب، فنشأ عنه قسم من القراءات.

إن ما يستدل به حول تنفيذ موقع الكتابه المصحفيه من نشوء بعض ٢.

ص: ٩٤

١- بروكلمان، تأريخ الأدب العربي: ١/١٤٠.

٢- المصدر نفسه: ١/٤ و ما بعدها.

٣- ظ: عبد الوهاب حموده، القراءات و اللهجات+ عبد الصبور شاهين، تأريخ القرآن:.

٤- ظ: جواد على، لهجه القرآن: الكريم، مجله المجمع العلمى العراقى: ١٩٥٥+ صلاح الدين المنجد، دراسات في تأريخ الخط العربى: ٤٢.

بحديث: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فافرقوا ما تيسر منه) (١) ليقال بأن الاختلاف روائي وليس كتابيا، والحق أن المسلمين إلى اليوم لم يصلوا إلى مؤدى هذه الرواية، ولا يمكن أن يحتج بغير الواضح، فما زال الخلاف قائما في معنى هذا الحديث و ترجمته، على أنه معارض - كما ستري - بحديث إنزال القرآن على حرف واحد. على أنه لا دلالة في هذه الحروف السبعة على القراءات السبعة إطلاقا، وإذا كان القرآن قد نزل على سبعة أحرف.

فالإِنزال - حينئذ - توقيفي، ووجب على الله تعالى حفظه و صيانتَه، لأنه ذكر، و الذكر قرآن، و القرآن مصان لقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ - ٩ (٢).

و لقائل أن يتساءل: أين هذه الأحرف السبعة في القرآن، و هلا يدلنا أحد عليها، و لم يتفق المفسرون بل المسلمون على المعنى المراد من هذه الأحرف، و لا يصح الاحتجاج بما لا يفهم معناه، و لا يقطع بمؤداه، إذ هو احتجاج بما لا يعرف، و أخذ بما لا يراد، و اعتماد على ما لا يبين، و الالتزام بهذا باطل دون ريب.

و إذا كانت الأحرف السبعة منزلة من قبل الله تعالى بواسطة الوحي الذي أوحاه الروح الأمين جبرائيل عليه السلام، فمعنى ذلك أنها من القرآن الإلهي، و إلا فمن التشريع الإلهي الذي لا يرد و لا ينقض إلا أن ينسخ، و ما ادعى أحد بنسخ ذلك من القائلين به.

و قد يقال - مع عدم وضوح الدلالة - أن هذه الأحرف مما خفف به عن الأمة لوجود الشيخ و الصبي و العجوز و ما إلى ذلك كما في بعض الروايات (٣).

و إذا كان ذلك مما خفف به عن الأمة، فكيف يجوز لأحد أن يشدد عليها، و إذا كان ذلك للرحمة فكيف صح لعثمان (رض) أن يتجاوز هذه ٩.

ص: ٩٧

١- ظ: الطبري، جامع البيان: ١١/١-٢٠+ البخاري، الجامع الصحيح ٢٢٧/٦.

٢- الحجر: ٩.

٣- ظ: أبو شامة، المرشد الوجيز: ٧٧-٨٩.

الرحمه، و يجمع المسلمين على حرف واحد، ثم ما عدا مما بدأ؟ فإن كان في المسلمين الأوائل من يعجز عن تلاوه القرآن حق تلاوته، أو أن ينطق به كما نزل فتجوز بالأحرف السبعة تيسيرا، وهم أبلغ العرب، فما بال المسلمين في عصر عثمان، و ما ذنبنا نحن في هذا العصر الذي انطمست به خصائص العربية حتى شدد علينا في حرف واحد.

و لسنا بصدد دفع هذا الحديث الآين، و لكننا بصدد ردّ دعوى من لا- يرى للخط المصحفي أى أثر في تعدد القراءات و اختلافها، إذ لو كان الأمر كذلك لما كانت موافقه خط المصحف أساسا لقراءات عده، و ميزانا للرضا و القبول و الاعتبار، و ما ذلك إلا- لتحكم الخط بالقراءة. و لا نريد أن نتطرف فنحكم بأن الخط المصحفي هو السبب الأول و الأخير في تفرع القراءات القرآنيه، و لكن نرى أن جزءا كبيرا من اختلاف القراءات قد نشأ عن الخط المصحفي القديم، باعتباره محتملا- للنطق بوجه متعدده.

قال القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ) مشيرا إلى ذلك: «ثم لما كثر الاختلاف فيما يحتمله الرسم، و قرأ أهل البدع و الأهواء بما لا يحل لأحد تلاوته، و فاقا لبدعتهم... رأى المسلمون أن يجمعوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للأغنياء بشأن القرآن العظيم» (١).

و تابعه على هذا الدمياطي البنا (ت: ١١١٧هـ) و صرح بالأسباب ذاتها (٢).

فقد كان لاحتمال الرسم، ما تناول به أهل البدع فيقرئون بما لا تحل تلاوته، و لا تصح قراءته، و معنى هذا أن قراءات ما قد نشأت عن هذا الملحظ، فاحتاط المسلمون لأنفسهم بقراءات أئمة ثقات لدفع القراءات المبتدعه.

و قد يقال: بأن الاختلاف في القراءات مما شاع في حياه النبي صلى الله عليه و آله و سلم ذكره، و أن هذه القراءات السبع أو العشر أو الأكثر إنما تبرز بالمشافهه تلكه ٥.

ص: ٩٨

١- القسطلاني، لطائف الإشارات: ٦٦/١.

٢- الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر: ٥.

القراءات كما كانت في عهد الرسول الأعظم، ونحن وإن كنا لا ننكر جزءاً ضئيلاً من هذا، إلا أن الواقع المرير لتلك الروايات القائله باختلاف القراءات في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا تستند إلى حقيقته تاريخيه معينه يصرح فيها بنوعيه هذا الاختلاف في القراءه، ولا تعطينا نماذج مقنعه بكيفيه هذه القراءات المختلفه، بل تذهب مذاهب التعميم الفضفاض الذي لا يقره المنهج العلمى، وذلك أن الاختلاف المدعى في القراءات بعهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعرض بروايات، تنقصها الدقه والوضوح والتحديد، فتاره يطلق فيها التجوز بالأحرف السبعه بما لا دلالة فيه كما تقدم، وتاره تنسب الاختلاف إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكأنه مصدر من مصادر الفرقه في القراءات بينما العكس هو الصحيح لما رأيناه-فيما سبق- أن الاختلاف في القراءات جر المسلمين إلى صراع داخلى و نزاع هامشى تحسس الصحابه إلى خطره على القرآن فجمعوهم على قراءه واحده (١).

وتاره تدعى هذه الروايات أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أقرأ هذه بقراءه، وغيره بقراءه أخرى، وحيناً يدعى بأن أحد الصحابه قد سمع من صحابى مثله قراءه ما، لسوره ما، تختلف عما سمعه هو من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم تحاكموا للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فصحح القراءتين، أما ما هي هذه السوره المختلفه الحروف، وما هو عدد آياتها المتعدده القراءه، وما هي كيفيه هذا الاختلاف و نوعيه فروقه، فلم يصرح بجميع ذلك، مما يجعلها روايات قابله للشك، ومع حسن الظن بالرواه فإن رواياتهم تلك قد تعبر عن السهو والاشتباه.

إننا لا ننكر الاختلاف في القراءات بعهد مبكر، فباستعراض تأريخ الموضوع يبدو أن تمايز القراءات كان موجوداً قبل توحيد القراءه زمن عثمان، فقد أشير إلى كثره الاختلاف بعهد، حتى قال الناس: قراءه ابن مسعود، وقراءه أبى وقراءه سالم (٢).

ولكننا نبقى مصرين أن وجهه التعميم في الروايات تبقى هي المسيطره، وعدم وضوح الرؤيه يظل مخيماً، إذ أننا نحتاج بمثل هذا.

ص: ٩٩

١- ظ: فيما سبق، جمع القرآن.

٢- ظ: مقدمتان في علوم القرآن: ٤٤.

الموضوع الخطير إلى الجزئيات و الدقائق لنضع النقاط على الحروف، لهذا نرفض جملة هذه الروايات، و نتهم أصحابها، كما اتهمهم من سبقنا إلى الموضوع.

أورد أبو شامة عن زيد بن أرقم قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد، و أقرأنيها أبي بن كعب، فاختلفت قراءتهم، بقراءه أيهم آخذ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال:

و على عليه السلام إلى جنبه، فقال على: ليقراً كل إنسان كما علم، كل حسن جميل..» (١).

و قد ذكر الطبري هذه الرواية، و تعقبه الأستاذ أحمد محمد شاكر في تعليقه فقال:

«هذا حديث لا أصل له، رواه رجل كذاب، هو عيسى بن قرطاس، قال فيه ابن معين: ليس بشيء لا يحل لأحد أن يروى عنه. و قال ابن حبان: يروى الموضوعات عن الثقات، لا يحل الاحتجاج به. و قد اخترع هذا الكتاب شيخاً له روى عنه و سماه: زيد القصار، و لم نجد لهذا الشيخ ترجمه و لا ذكراً في شيء من المراجع..» (٢).

و بعد هذا، فليس هناك مسوغ على الإطلاق أن نأخذ بكل روايه على علاتها دون تمحيص، و دون تجويز الافتراء على الضعفاء من الرواه.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إن القرآن واحد نزل من عند واحد و لكن الاختلاف يجيء من قبل الرواه» (٣).

و في شأن الحروف السبعة المدعاه، و إن كان لا علاقته لها بالقراءات، إلا أن البعض حملها على ذلك، بينما

ورد عن الفضل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام (يعني الإمام جعفر الصادق): إن الناس يقولون: إن القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: كذبوا، أعداء الله، ٢.

ص: ١٠٠

١- أبو شامة، المرشد الوجيز: ٨٥.

٢- الطبري، جامع البيان: ٢٤/١ الهامش.

٣- الكليني، أصول الكافي: ٦٣٠/٢.

و لكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد» (١).

و قد يقال بأن مصدر القراءات هو اللهجات، و لا علاقته لها إذن بصحة السند، و موافقه كتابه المصحف، بل الأساس ارتباطها ببعض العرب فى لغاتهم القبليه، و إلى هذا المعنى يشير السيوطى بما أورده أبو شامه عن بعضهم:

«أنزل القرآن بلسان قريش ثم أبيع للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم فى الألفاظ و الأعراب» (٢).

و قد سبق بذلك ابن قتيبه بما تحدث به عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: فكان من تيسيره أن أمره الله بأن يقرئ كل قوم بلغتهم، و ما جرت عليه عاداتهم...

و لو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته و ما جرى عليه اعتياده طفلاً- و ناشئاً و كهلاً، و لاشتد ذلك عليه، و عظمت المحنة فيه» (٣).

و قد تبنى هذا الرأى الدكتور طه حسين، فاعتبر اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التى لم تستطع أن تغير حناجرها و ألسنتها و شفاهها لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و عشيرته قريش، اعتبر ذلك أساساً لاختلاف القراءات، فقرأته هذه القبائل كما كانت تتكلم، فأمالت حيث لم تكن تميل قريش، و مرت حيث لم تكن تمر، و قصرت حيث لم تكن تقصر، و سكنت، و أدغمت، و أخفت، و نقلت (٤).

و هو بهذا يريد أن ينتهى إلى أن اللهجات هى مصدر القراءات، و هو ينكر تواترها، و ينعى على من رتب أحكاماً عريضه على نكرانها، فيقول:

«و هنا وقفه لا بدّ منها، ذلك أن قوماً من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع متواتره عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم نزل بها جبرئيل على قلبه، فمنكرها كافر من غير شك و لا ريبه... و الحق أن ليست هذه القراءات السبع من ٥.

ص: ١٠١

١- المصدر نفسه: ٢/٦٣٠.

٢- السيوطى، الاتقان: ١/٤٧.

٣- ابن قتيبه، تأويل القرآن: ٣٠.

٤- ظ: طه حسين، فى الأدب الجاهلى: ٩٥.

الوحي في قليل و لا- كثير، و ليس منكرها كافرا، و لا- فاسقا، و لا- مغتمزا في دينه، و إنما هي: قراءات مصدرها اللهجات و اختلافها... فأنت ترى أن هذه القراءات إنما هي مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات» (١).

و لقد جهد المحققون منذ القرن الأول للهجرة حتى عهد ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) و هو موحد القراءات أو مسبعها إن صح التعبير، في دراسته ظواهر القراءات القرآنية، متواترها، و مشهورها، و شاذها، فارجعوا جزءا من الاختلاف في القراءه إلى مظهر من مظاهر اللهجات العربية المختلفه، و عادوا بجمله من الألفاظ إلى استعمال جملة من القبائل، ذلك مما يؤيد وجهه النظر في عامل اللهجات، و الاستئناس به عاملا مساعدا في تعدد القراءات، و للسبب ذاته فإن تلاشى اللهجات، و توحيدها بلهجه قريش، قد ساعد أيضا على تلاشى و اضمحلال كثير من جزئيات هذه القراءات و عدم إساغتها منذ عهد مبكر، بل إن توحيد القرآن للغه العرب على لغه قريش، و قصرهم عليها كان أساسا جوهريا في إذابه ما عداها من لغات، مما أراح تراكما لغويا يتعد عن الفصحى ابتعادا كليا، فلا تجد بعد ذلك عنعنه تميم، و لا عجرميه قيس، و لا كشكشه أسد، و لا ثلثه نهران، و لا كسكسه ربيعه، و لا إماله أسد و قيس، و لا طمطمانيه حمير.

و في ضوء ما تقدم يمكننا أن نخرج برأى جديد نخالف فيه من سبقنا إلى الموضوع، فنعتبر كلا من شكل المصحف، و طريق الروايه إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و تعدد اللهجات العربية، قضايا ذات أهميه متكافئه باعتبارها مصادر من مصادر القراءات، كلا لا يتجزأ، و إلا فهي -على الأقل- أسباب عريضه في نشوء القراءات و مناهج اختلافها.

و للتدليل على صحه هذا لا بد لنا من الوقوف عند أدلته وقفه مقنعه، إن لم تكن دامغه.

لا- شك أن اختلاف مصاحف الأمصار في الرسم، و ما نشأ عنه من اختلاف أهل المدينه و أهل الكوفه، و أهل البصره، و أهل الشام في القراءه، ٦.

ص: ١٠٢

١- طه حسين، في الأدب الجاهلي: ٩٥-٩٦.

إنما كان مصدره الشكل المصحفى الذى استنسخ عن المصحف الإمام.

و هى اختلافات لا- تقطع بمصدرها الكتابى، بل نرجحه، لما ثبت تأريخيا من تواتر نقله، وقد أحصى أبو داود ذلك فى كتاب المصاحف إحصاء دقيقا (١).

و قد أيد هذا الرأى محمد بن جرير الطبرى (فى ٣١٠هـ) بما نقله عنه أبو شامه فقال:

«لما خلت تلك المصاحف من الشكل و الإعجام و حصر الحروف المحتمله على أحد الوجوه، و كان أهل كل ناحيه من النواحي التى و جهت إليها المصاحف، قد كان لهم فى مصرهم ذلك من الصحابه معلمون...

فانتقلوا عما بان لهم أنهم أمروا بالانتقال عنه مما كان بأيديهم، و ثبتوا على ما لم يكن فى المصاحف الموجهه إليهم، مما يستدلون به على انتقالهم عنه» (٢).

و ما دامت الروايات مختلفه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم- كما يقولون- فما المانع أن يكون الحدب على وصول هذه الروايات من مختلف الأسانيد سببا من تعدد هذه القراءات، سواء أ كانت تلك الروايات صحيحه أم ضعيفه، و قد أورد من هذا القبيل أبو شامه شواهد على الموضوع، يتحمل عهدها (٣).

و قد سبقه ابن عطيه فأورد عده روايات تؤكد كثره الروايات عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم على علاقتها، و انتهى فيها إلى القول:

«ثم إن هذه الروايات الكثيره لما انتشرت عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و افترق الصحابه فى البلدان، و جاء الخلف، و قرأ كثير من غير العرب، و وقع بين أهل الشام و أهل العراق ما ذكر حذيفه... فقرأت كل طائفه بما روى لها» (٤).

و ما دام للعرب لهجات و لغات، فلا ينتفى أن تكون هذه اللغات سببا ١.

ص: ١٠٣

١- ظ: ابن أبى داود، كتاب المصاحف: ٣٩-٤٩.

٢- أبو شامه، المرشد الوجيز: ١٤٩ و ما بعدها.

٣- أبو شامه، المرشد الوجيز: ٨٦ و ما بعدها.

٤- ابن عطيه، مقدمته، ضمن مقدمتان فى علوم القرآن: ٢٧١.

مباشراً في جزء من هذه القراءات، وقد قال عمر بن الخطاب (رض) مشيراً إلى قراءه أبي بن كعب: «إنا لندرج عن كثير من لحن أبي، يعني لغه أبي» (١).

وقد أورد أبو شامه عن ابن جرير الطبري في (٣١٠هـ) ما يؤيد فيه هذا العامل فقال:

«فإن قيل: فما تقولون في هذه القراءات السبع التي ألفت بالكتب؟ قلنا: إنما أرسل أمير المؤمنين المصاحف إلى الأمصار الخمسة بعد أن كتبت بلغه قريش، فإن القرآن إنما نزل بلغتها، ثم أذن رحمه من الله تعالى، لكل طائفه من العرب أن تقرأ بلغتها على قدر استطاعتها، فلما صارت المصاحف في الآفاق غير مضبوطة ولا معجمه قراها الناس فما أنفذوه منها نفذ، وما احتمل وجهين طلبوا فيه السماع حتى وجدوه» (٢).

و الطريف في رأى الطبري، وهو من قدامى المفسرين، أن يجمع هذه العوامل الثلاثة، فينص على اختلاف اللهجات، ويشير إلى شكل المصحف وإعجابه، ويؤكد جانب السماع في الروايات التي توصلوا فيها إلى نطق القرآن.

و عامل اللهجات، وإن محص متأخراً، وتمحض له الدكتور طه حسين، إلا أنه عامل جدير بالتلبث والترصد والاستقراء في إثرائه جانب القراءات، ومواقفته لمسيرتها اللغوية. فما من شك أن القرآن قد نزل بلغه قريش، وهي أفصح لغات العرب، وحينما اختار الله تعالى لكتابه اللغة العربية، فلا ريب أن يقع الاختيار على الأفصح، والأفصح لغه قريش، وهو الموروث اللغوي المقروء في القرآن، ويؤيده وصيه عثمان للرهط القرشيين لدى استنساخ المصحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت بشيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» (٣).

و في هذا الضوء يبدو أن عبد الله بن مسعود (رض) كان يقرئ الناس ٦.

ص: ١٠٤

١- ابن أبي داود، كتاب المصاحف: ٣٢.

٢- أبو شامه، المرشد الوجيز: ١٥٠.

٣- البخاري، الجامع الصحيح: ٢٢٤/٦.

بلغه قومه، و هم هذيل، و قد نهاه عمر (رض) عن ذلك بما ذكره أبو داود في سننه: «إن عمر كتب إلى ابن مسعود: أما بعد، فإن الله تعالى أنزل القرآن بلغه قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغه قريش، و لا تقرئهم بلغه هذيل» (١).

و يبدو أن مسأله اللهجات متسالم على أثرها في نشوء القراءات، و لكن سرعان ما توحدت هذه اللهجات بلغه القرآن، و هذا من بركات القرآن في الوحده.

و تعدد القراءات أنى كان مصدره، مهما كان قياسه صحه أو شذوذاً، فقد حدده الشيخ محمد بن الهيصم، و قال: «أما القراءات فإنها على ثلاثه أوجه:

١- أن يغلط القارئ فيقرأ على خلاف ما هو الخف، و ذلك ما لا يجوز أن يعتد به في قراءات القرآن، و إنما يرجع لومه على الغالط به...

٢- أن يكون القرآن قد نزل على لغه، ثم خرج بعض القراء فيه إلى لغه من لغات العرب مما لا يقع فيه خلاف في المعنى، ترك النكير عليه تيسيراً و توسعه، فنقل ذلك، و قرأ به بعض القراء...

٣- و الوجه الثالث من القراءات هو ما اختلف باختلاف النزول بما كان يعرض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم القرآن على جبريل في كل شهر رمضان... فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يتلقفون منه حروف كل عرض، فمنهم من يقرأ على حرف، و منهم من يقرأ على آخر، إلى أن لطف الله عزّ و جلّ بهم، فجمعهم على آخر العرض، أو على ما تأخر من عرضين أو ثلاثه، حتى لم يقع في ذلك اختلاف إلا في أحرف قليله، و ألفاظ متقاربه» (٢).

و الوجه الثالث لا دلالة فيه إذ معارضه القرآن تعنى تدقيقه و توثيقه، و قد سبق في هذا الفصل رأينا في الحروف التي ادعى نزول القرآن عليها.١.

ص: ١٠٥

١- أبو شامه، المرشد الوجيز: ١٠١.

٢- مقدمتان في علوم القرآن: ١٧٠ و ما بعدها.

و مما لا شك فيه أن الاختلاف في جملة القراءات كان في الأقل، و أن الاتفاق كان في الأعم الأكثر، و النظر في المصاحف الأولى نجد يؤيد الاختلاف في قله معدوده من الكلمات، نطقا و إماله و حركات، و قد جمعت في كتاب المباني محدوده: «اختلف مصحفا أهل المدينة و العراق في اثني عشر حرفا، و مصحفا أهل الشام و أهل العراق في نحو أربعين حرفا، و مصحفا أهل الكوفة و البصرة في خمسة حروف» (١).

فإذا كان بعض الخلاف في القراءات مصدره اختلاف مصاحف الأمصار، فالاختلافات ضيقه النطاق، و تظل القضية تاريخيه فحسب، إذ القرآن المعاصر الذي أجمع عليه العالم الإسلامي - و هو ذات القرآن الذي نزل به الوحي على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم - مرقوم بروايه حفص لقراءه عاصم بن أبي النجود الكوفي، باستثناء المغرب العربي الذي اعتمد قراءه نافع المدني بروايه روش.

و تبقى المسألة بعد هذا أثره العطاء، نعم قد تبدو الهوه سحيقه فيما يدعى من خلافات لا طائل معها، و لكن النظره العلميه الفاحصه تخفف من حدتها، فما من شك أن عاملا متشابكا وراء تلك الخطوط المتناثره هنا و هناك، ذلك هو المناخ الإقليمي السائد آنذاك في الأفق العلمى، فهو مما يجب الوقوف عنده، ألا و هو النزاع القائم بين مدرستي الكوفه و البصره، و ما نشأ عنه من تعصب إقليمي حيناً، و اختلاف تقليدى حيناً آخر، و مزيج من هذا و ذاك بعض الأحيان، فدرج جيل يصبو رأى الكوفيين، و آخر يؤيد نظر البصريين، مما طبع أثره على جملة من شئون التراث، و القراءات جزء من ذلك التراث، و أفرغ كثيرا من الإسراف فى التجريح و التعديل، فعاد صراعا عشوائيا يوثق به الضعفاء، و يضعف به الثقات فى كثير من المظاهر، و قد لا يكون لكل ذلك أصل، فطالما حمل البصريون أو من شايهم على الكوفيين و بالعكس، و طالما تعصب لمذهب من القراءه جيل من الناس، و جانب قراءه جيل آخر، دون العوده إلى قاعده متأصله.

و هذا الملحظ الدقيق جدير بالتمحيص و الترصد بغيه الوصول إلى ٧.

ص: ١٠٦

١- المصدر نفسه: ١١٧.

مقياس علمى أصيل تزان فى ضوءه حقائق القراءات.

و كما اختلف فى مصادر القراءات و منابعها، فقد اختلف فى القراء و عددهم، و تضاربت الآراء فى منزلتهم و شهرتهم، فكان منهم السبعة، و العشرة، و الأربعة عشر، و كان اعتبارهم يتردد بين الأقاليم تاره، و بين الشهره تاره أخرى، و بينهما فى أغلب الأحيان، و قد تحل المنزله العلميه مكان الشهره حيناً، و قد يكون العكس هو المطرد، و قد تتحقق الشهره عند باحث، و تنتفى عند باحث غيره، و هكذا...

و قد كان مشاهير القراء قبل ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) على النحو الآتى:

١- عبد الله اليحصبي، المعروف بابن عامر (شامي) (ت: ١١٨هـ).

٢- عاصم بن أبى النجود (كوفى)، (ت: ١٢٧هـ).

٣- عبد الله بن كثير الدارى (مكى)، (ت: ١٢٩هـ).

٤- أبو عمرو بن العلاء (بصرى)، (ت: ١٥٤هـ).

٥- نافع عبد الرحمن بن أبى نعيم (مدنى)، (ت: ١٦٩هـ).

٦- حمزه بن حبيب الزيات (كوفى)، (ت: ١٨٨هـ).

٧- يعقوب بن أبى إسحاق الحضرمى (بصرى)، (ت: ٢٠٥هـ).

و قد حذف ابن مجاهد يعقوب من السبعة و أثبت مكانه على بن حمزه (الكسائى الكوفى) (ت: ١٨٩هـ) و اعتبره من القراء السبعة. و هكذا كان.

أما من عدّ القراء عشره، فأضاف لهم زياده على تسبيع ابن مجاهد و تعيينه لهم، يزيد بن القعقاع (ت: ١٣٠هـ) و يعقوب الحضرمى (ت: ٢٠٥هـ) و حلف بن هشام (ت: ٢٢٩هـ).

و يبدو أن الكسائى (ت: ١٨٩هـ) لم يكن معدوداً من القراء السبعة، و إنما ألحقه ابن مجاهد فى سنه ثلاثمائه أو نحوها بدل يعقوب الحضرمى

ص: ١٠٧

و قد كان السابع (١).

و فى هذا الضوء نجد القراء عند ابن مجاهد،هم: نافع،ابن كثير، عاصم،حمزه بن حبيب،الكسائى،أو عمرو بن العلاء،عبد الله بن عامر.

و قد عقب ابن مجاهد على ذلك بقوله:

«فهؤلاء سبعة نفر،من أهل الحجاز،و العراق،و الشام،خلفوا فى القراء التابعين،و أجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التى سميت و غيرها من البلدان التى تقرب من هذه الأمصار» (٢).

و واضح أن تقسيم ابن مجاهد تقسيم إقليمى نظر فيه إلى اعتبار الأمصار التى وجهت إليها المصاحف فى عهد عثمان (رض) لا باعتبار تعصب إقليمى من قبله.

و ابن مجاهد أول من اقتصر على هؤلاء السبعة،فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين و العراقين و الشام، إذ هذه الأمصار الخمسة هى التى خرج منها علم النبوه،من القرآن و تفسيره،و الحديث،و الفقه فى الأعمال الباطنه و الظاهره و سائر العلوم الدينيه (٣).

و قد تبعه الفضل بن الحسن الطبرسى (ت: ٥٤٨هـ) بتصنيف القراء فى ضوء الأقاليم الإسلاميه،و لكنه اختلف معه بالتعيين،فأسماء القراء المشهورين عنده باعتبار الأمصار كالاتى:

١- أبو جعفر يزيد بن القعقاع،مدنى و ليس من السبعة.

٢- عبد الله بن كثير،مكى من السبعة.

٣- عاصم بن أبى النجود،كوفى من السبعة.

٤- حمزه بن حبيب،كوفى من السبعة.١.

ص: ١٠٨

١- أبو شامه،المرشد الوجيز: ١٥٣.

٢- ابن مجاهد،كتاب السبعة: ٨٧.

٣- ظ: القسطلانى،لطائف الإشارات: ٨٦/١.

٥- علي بن حمزه الكسائي، كوفي من السبعة.

٦- خلف بن هشام، كوفي، وليس من السبعة و له اختيار.

٧- أبو عمرو بن العلاء، بصرى من السبعة.

٨- يعقوب بن إسحاق الحضرمي، بصرى و ليس من السبعة.

٩- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني بصرى، و ليس من السبعة.

١٠- عبد الله بن عامر، شامي من السبعة (١).

فالتبرسي عدّ من القراء السبعة؛ عبد الله بن كثير، و عاصم، و حمزه بن حبيب، و الكسائي، و أبو عمرو بن العلاء، و عبد الله بن عامر، بينما أسقط نافع بن عبد الرحمن، قارئ أهل المدينة.

و عدّ من غيرهم: يزيد بن القعقاع، و خلف بن هشام، و يعقوب بن إسحاق الحضرمي، و سهل بن محمد السجستاني.

فعدّه القراء المشهورين عنده عشرة. و قد عقب على تعيينه لهؤلاء بما يلي:

«و إنما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء و اقتدوا بهم فيها لسببين:

أحدهما: أنهم تجردوا لقراءة القرآن، و اشتدت بذلك عنايتهم مع كثره علمهم. و من كان قبلهم أو في أزمته ممن نسب إليه القراءة من العلماء، و عدت قراءتهم في الشواذ، لم يتجرد لذلك تجردهم، و كان الغالب على أولئك الفقه و الحديث أو غير ذلك من العلوم.

و الآخر: أن قراءتهم وجدت مسنده لفظاً أو سماعاً حرفاً حرفاً من أول القرآن إلى آخره مع ما عرف من فضائلهم، و كثره علمهم بوجوه القرآن» (٢).

و الحق أن القراء الذين ذكرت قراءتهم فيما ألفت من كتب القراءات ١.

ص: ١٠٩

١- ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ١/١١ و ما بعدها.

٢- المصدر نفسه: ١/١٢.

يزيد على هذا العدد كثيرا، وفيهم من هو أسبق منهم تاريخيا. فقد تتبع الدكتور الفضلي من ألف في القراءات قبل اختيار ابن مجاهد للقراء السبعة، فبلغت عدتهم عنده أربعة و أربعين مؤلفا، ابتداء من يحيى بن يعمر (ت: ٩٠ هـ) و انتهاء بأبي بكر محمد بن أحمد الداغوني (ت: ٣٢٤ هـ) (١).

و كان نتيجة لهذا الإحصاء الدقيق أن ظهر أن هذه المؤلفات لم تختص بالقراءات السبع أو العشر أو الأربع عشرة، و قراء تلك القراءات، بل اتضح من خلال العرض و التحليل أن فيها من هو متقدم على بعض القراء المشهورين تاريخيا، حتى إذا جاء ابن مجاهد التميمي البغدادي (ت):

٣٢٤ هـ) فاختر من الجميع أولئك.

و قد علل مكى بن أبى طالب (ت: ٤٣٧ هـ) وجه الاختصار على هؤلاء دون غيرهم فقال:

«إن الرواه من الأئمة من القراء كانوا فى العصر الثانى و الثالث كثيرا فى العدد، كثيرا فى الاختلاف، فأراد الناس فى العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التى توافق المصحف على ما يسهل حفظه، و تنضبط القراء به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة و الأمانة، و حسن الدين، و كمال العلم، فقد طال عمره، و اشتهر أمره، و أجمع أهل عصره على عدالته فيما نقل، و ثقته فيما روى، و علمه بما يقرأ، فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفا، إماما هذه صفته، و قراءته على مصحف ذلك المصر» (٢).

و قد أيد ذلك من المتأخرين السيد محمد الجواد العاملى النجفى (ت: ١٢٢٦ هـ) فتحدث عن وجه نظره فى تحديد القراءات بالسبع و القراء بالسبعة، و قال:

«و حيث تقاصرت الهمم عن ضبط الرواه لكثرتهم غايه الكثره، ٨.

ص: ١١٠

١- ظ: عبد الهادى الفضلى، القراءات القرآنيه: ٢٧-٣٢.

٢- مكى، الإبانة: ٤٧-٤٨.

اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به، فعمدوا إلى من اشتهر بالضبط والأمانه و طول العمر في الملازمه للقراءه، و الاتفاق على الأخذ عنه، فأفردوا إماما من هؤلاء في كل مصر من الأمصار المذكوره، و هم: نافع و ابن كثير و أبو عمرو، و ابن عامر، و عاصم، و حمزه، و الكسائي» (١).

و بملاحظه ما حققه ابن مجاهد من جمعه للقراءات، و بيان وجوه الاختلاف فيها، يتجلى أن الاختلاف ليس من العسر بمكان بحيث قد يؤدي إلى تشويه النص، أو تغيير الأحكام، أو اضطراب القراءه، بل نجد الأعم الأغلب منه إنما يرجع إلى أصول الأداء، و طريقه التلفظ، و تحقيق النطق مدغما أو ممالا، منقوتا أو غير منقوت، إمدادا و إشماما، و هو اختلاف لا يضيف على النص القرآني أى مردود معقد لا يمكن معه الوصول إلى الحقيقه القرآنيه، مما يقرب إلينا القول بأن هذه القراءات إنما اشتبكت و تظاهرت و تفاوتت اجتهادا في كيفية أداء النطق تاره، و طريقه تلفظه تاره أخرى، و مردود اللهجات عليها بين ذلك.

و هذا إنما يجرى في القراءات المتواتره روايه مرفوعه، أو درايه من أصحابها، و لا ينطبق على القراءات الشاذه التي أصبحت فيما بعد عرضه لزلل الأهواء.

«و لا مريه أنه كما يتعبد بفهم معاني القرآن و إقامة حدوده، يتعبد بتصحيح ألفاظه، و إقامة حروفه على الصفه المتلقاه. عن أئمه القراء، و مشايخ الأقرء، المتصله بالحضره النبويه الأفصحيه العربيه، التي لا يجوز مخالفتها، و لا العدول عنها» (٢).

و قد بلغت القراءات السبع حد الرضا و القبول عند المسلمين و علمائهم، فلم يؤثر عليها تعدد القراءات، و لم يؤثر عليها سواها.

و كان إلى جنب القراءات اختيار في القراءات قد تشمل هذه القراءات ١.

ص: ١١١

١- العاملی، مفتاح الكرامه: ٣٩١/٢+ القراءات القرآنيه.

٢- القسطلاني، لطائف الإشارات: ٢٠٩/١.

- كما سيأتي - وقد لا تشملها، وهي لا تحمل الطابع الشخصي لأصحابها، بل هي ضمن قواعد قد تتسم بالطابع الشمولى العام.

قال مكى بن أبى طالب: «و أكثر اختياراتهم إنما هو فى الحرف إذ اجتمع فيه ثلاثة أشياء:

قوه وجهه فى العرييه.

و موافقته للمصحف.

و اجتماع العامه عليه.

و العامه - عندهم - ما اتفق عليه أهل المدينه و أهل الكوفه، فذلك عندهم حجه قويه، فوجب الاختيار.

و ربما جعلوا العامه ما اجتمع عليه أهل الحرمين.

و ربما جعلوا الاختيار على ما اتفق عليه نافع و عاصم، فقراءه هذين الإمامين أوثق القراءات و أصحها سندا، و أفصحها فى العرييه، و يتلوها فى الفصاحه خاصه: قراءه أبى عمرو و الكسائى رحمهم الله» (١).

و يبدو مضافا إلى ما تقدم، أن لأئمه القراء أنفسهم تصرفا يقوم على حسن النظر و أصول الاستنباط، يتمثل باختيارهم للقراءه التى تنسب إليهم، فهم يتدارسون القراءات على يد نخبه من التابعين، و من ثم يقارنون بين هذه القراءات التى أخذوها، و يحكمون مداركهم فى أسانيدها و أصولها و مصادرها، فيؤلفون القراءه التى يختارونها بناء على كثره الموافقات عند أغلب الشيوخ المقرئين. فقد قال نافع بن أبى نعيم (ت: ١٦٩ هـ) و هو يتحدث عن مشايخه فى الإقراء:

«أدركت هؤلاء الخمسه و غيرهم... فنظرت إلى ما أجمع عليه اثنان منهم فأخذته، و ما شذ فيه واحد تركته، حتى ألفت هذه القراءه» (٢).

و ربما كان المقرئ مخالفا لأستاذه فى اختياره للقراءه، ناظرا فى ٢.

ص: ١١٢

١- مكى، الإبانة فى معانى القراءات: ٤٨ و ما بعدها.

٢- ابن مجاهد، كتاب السبعه: ٦٢.

وجوه القراءات الأخرى، كما هي الحال عند الكسائي حينما اختار من قراءه حمزه و قراءه من سواه، و أسس لنفسه بذلك اختياراً (١).

قال ابن النديم: «و كان الكسائي من قراء مدينة السلام، و كان أولاً يقرأ الناس بقراءه حمزه، ثم اختار لنفسه قراءه، فأقرأ بها الناس» (٢).

و قد كان لأبي عمرو بن العلاء اختيار من قراءه ابن كثير، و هو شيخه، و من قراءه غيره، و أسس بذلك لنفسه قراءه تنسب إليه (٣).

و قد شجعت ظاهره الاختيار في القراءه على القضاء على النزعه الإقليميه التي انتشرت في نسبه القراءات للأمصار، إذا امتزجت هذه القراءات في الأغلب نتيجة للاختيار، فتداخلت قراءه أهل المدينه بقراءه أهل الكوفه، و قراءه الشام بقراءه العراق، فلم تعد القراءه فيما بعد إقليميه المظهر، بقدر ما هي علميه المصدر، و في هذا الضوء وجدنا القراء السبعه يمثلون خلاصه التجارب الماضيه للقرنين الأول و الثاني في العطاء العلمى المشترك بين الأقاليم، لما في ظاهره الاختيار لدى أئمه الأقرء من عناصر مختلف القراءات، حتى وحدت و نسبت منفرده إلى عاصم، أو نافع، أو الكسائي، و هي عصاره قراءه لمصرين، أو قراءات لأمصار، تتفق مع قراءه بوجه، و تختلف مع قراءه بوجه آخر، و تجمع بين هذين بما ألف قراءه منظوره متميزه، تعنى تجارب السابقين، و عطاء المتخصصين. حتى وقف الاختيار على أعتاب القرن الرابع، حيث بدأ ابن مجاهد في حفظ القراءات و الاختيارات، دون التفكير بتجديد ظاهره الاختيار التي لم تعد من هموم هؤلاء الأعلام أمثال ابن مجاهد، بل اتجهت همهم إلى صيانه تلك القراءات، لا إلى الاختيار.

فقد روى الذهبي عن عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم، و هو تلميذ ابن مجاهد، قال:

«سأل رجل ابن مجاهد، لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفاً يحمل عليه؟»

ص: ١١٣

١- ظ: المصدر نفسه: ٧٨.

٢- ابن النديم، الفهرست: ٣٠.

٣- ظ: ابن الجزرى، غايه النهايه: ٣٧٦/٢.

فقال: نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا، أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا» (١).

و في ضوء ما تقدم يبدو لنا أن الاختيار عبارته عن استنباط القراءه من خلال النظر الاجتهادى فى القراءات السابقه، و الموازنه فيما بينها على أساس السند فى الروايه، أو الوثاقه فى العريبه، أو المطابقه فى الرّسم المصحفى، أو إجماع العامه، من أهل الحرمين أو العراقيين، أو الموافقه بين مقرئين، و من خلال ذلك نشأت القراءات المختاره.

يقول القرطبي: «و هذه القراءات المشهوره هى اختيارات أولئك الأئمه القراء، و ذلك أن كل واحد منهم اختار مما روى و علم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده و الأولى، و التزم طريقه و رواه، و أقرأ به، و اشتهر عنه و عرف به» (٢).

و يرى الدكتور الفضلى: «أن اجتهاد القراء لم يكن فى وضع القراءات - كما توهم البعض - وإنما فى اختيار الروايه، و فرق بين الاجتهاد فى اختيار الروايه و الاجتهاد فى وضع القراءه» (٣).

فإضافه القراءه لصاحبها إضافه اختيار لا إضافه اختراع و رأى و اجتهاد (٤).

و مما يؤيده ما أورد أبو شامه باعتبار القراءه سنه، و السنه لا مورد فيها للاجتهاد بالمعنى المشار إليه: «أ لا ترى أن الذين أخذت عنهم القراءه إنما تلقوها سماعاً، و أخذوها مشافهه، و إنما القراءه سنه يأخذها الآخر عن الأول، و لا يلتفت فى ذلك إلى الصحف، و لا إلى ما جاء من وراء وراء» (٥). ٢.

ص: ١١٤

١- الحافظ الذهبى، معرفه القراءه: ١٧١/١.

٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٤٠/١٥.

٣- الفضلى، القراءات القرآنيه: ١٠٦.

٤- ابن الجزرى، النشر: ٥٢/١.

٥- أبو شامه، المرشد الوجيز: ١٣٢.

و إلى جانب الحيطة في الاختيار، كانت الحيطة للقراءة نفسها، فلم يأخذوا بكل قراءة، بل وضعوا بعض المقاييس النقدية و الاحترازية لقبول القراءة أو رفضها، مما ينصح معه مدى عنايه القوم بالقراءة المختاره، بعد أن عسر الضبط، و ظهر التخليط، و اشتبه الأمر. قال القسطلاني نقلا عن الكواشي: «فمن ثم وضع الأئمة لذلك ميزانا يرجع إليه، و معيارا يعول عليه؛ و هو السند و الرسم و العريبه، فكل ما صح سنده، و استقام وجهه في العريبه، و وافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعه المنصوصه، فعلى هذا الأصل بنى قبول القراءات عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف، و متى فقد شرط من هذه الثلاثة فهو شاذ» (١).

و الشاذ لا- يعمل به في القراءات و لا- يقاس عليه، «و قد أجمع الأصوليون و الفقهاء و غيرهم، على أن الشاذ ليس بقرآن، لعدم صدق حد القرآن عليه، أو شرطه و هو التواتر» (٢).

و كأن ابن الجزرى قد أدخل جانب الاحتمال في بعض الشروط، و صنف القراءه المعتمره و الباطله فقال:

«كل قراءة وافقت العريبه و لو بوجه، و وافقت أحد المصاحف العثمانيه و لو احتمالا، و صح سندها، فهي القراءة الصحيحه التي لا يجوز ردها، و لا يحل إنكارها..»

و متى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفه أو باطله، سواء كانت عن السبعه أم عن من هو أكبر منهم. هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف و الخلف» (٣).

و تكاد أن تتلاقى كلمات الأعلام في مقياس القراءة الصحيحه، و تتداعى الخواطر في صياغه ألفاظها، فقد اشترط مكى بن أبى طالب(ت):

٤٣٧ هـ) في وجه صحتها ما يلي: ١.

ص: ١١٥

١- القسطلاني، لطائف الإشارات: ٦٧/١.

٢- المصدر نفسه: ٧٢/١.

٣- السيوطي، الاتقان: ٢١٠/١.

«أن ينقل عن الثقات إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيَكُونُ وَجْهَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ شَائِعًا، وَيَكُونُ مُوَافِقًا لَخَطِّ الْمَصْحَفِ» (١).

و مع هذا نجد الدانى جديا فى مسأله القراءه، إذ يعتبرها سنه لا تخضع لمقاييس لغويه، وإنما تعتمد الأثر و الروايه فحسب، فلا يردّها قياس، و لا يقربها استعمال فيقول:

«و أئمه القراء لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغه، و الأقيس فى العربيه، بل على الأثبت فى الأثر، و الأصح فى النقل و إذا ثبتت الروايه لم يردّها قياس عربيه، و لا فشو لغه، لأن القراءه سنه متبعه، يلزم قبولها و المصير إليها» (٢).

و ما أبداه الدانى لا- يخلو من نظر أصيل، إذ القراءه إذا كانت متواتره صحيحه السند، فهى تفيده القطع، و لا معنى لتقييد القطع بقياس أو عربيه، فالعربيه إنما تصحح فى ضوء القرآن، و لا يصحح القرآن فى ضوء العربيه، و مع هذا فإن الإجماع القرائى يكاد أن يكون متوافرا على اشتراط صحه السند، و مطابقه الرسم المصحفى، و موافقه اللغه العربيه؛ لهذا تختلف النظره بالنسبه للقراءه فى ضوء تحقق هذه الشروط أو عدمه، و قد نتج عنه تقسيم القراءات إلى صحيحه و شاذه، فما اجتمعت فيه من القراءات هذه الشروط فهو الصحيح، و ما نقص عنه فهو الشاذ.

و فى هذا الضوء ولد فى عهد ابن مجاهد-مقياسان آخران، و ماتا فى مهادهما، لعدم تلقى المسلمين لهما بالقبول، و لرفضهم لهما، و هما:

مقياس ابن شنبوذ (ت: ٣٢٧ هـ) الذى اکتفى فيه بصحه السند و موافقه العربيه.

و مقياس ابن مقسم (ت: ٣٥٤ هـ) الذى اکتفى فيه بمطابقه المصحف و موافقه العربيه (٣).

و قد تحرر للسيوطى مع المقاربه فيما كتبه ابن الجزرى فى النشر، أن القراءات أنواع: هـ.

ص: ١١٦

١- مكى، الإبانة: ١٨.

٢- السيوطى، الاتقان: ٢١١/١.

٣- ظ: الفضلى، القراءات القرآنيه: ٣٩ و انظر مصدره.

الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك.

الثاني: المشهور، وهو ما صح سنده، ولم يبلغ درجه التواتر، ووافق العريبه و الرسم و اشتهر عند القراء.

الثالث: الآحاد، وهو ما صح سنده، وخالف الرسم أو العريبه، أو لم يشتهر بالاشتهار المذكور، ولا يقرأ به.

الرابع: الشاذ، وهو ما لم يصح سنده.

الخامس: الموضوع، [وهو ما لا أصل له].

السادس: ما زيد في القراءات على وجه التفسير (١).

وهذا التقسيم الذي استخرجه السيوطي مما أفاضه ابن الجزري جدير بالأهميه إذ هو جامع مانع كما يقول المناطقه.

و تبقى النظره إلى هذه القراءات متأرجحه بين التقديس و المناقشه، فمن يقدسها يعتبرها قرآنا، و من يناقشها يعتبرها علما بكيفيه أداء كلمات القرآن، و فرق بين القرآن و أداء القرآن.

فالباقلانى يذهب: «أن القراءات قرآن منزل من عند الله تعالى، و أنها تنقل خلفا عن سلف، و أنهم أخذوها من طريق الروايه، لا من جهه الاجتهاد، لأن المتواتر المشهور أن القراءه السبعه إنما أخذوا القرآن روايه، لأنهم يمتنعون من القراءه بما لم يسمعه» (٢).

بينما خالفه الزركشى فى هذه الملاحظه، و اعتبر القرآن حقيقه، و القراءات حقيقه أخرى فقال:

«و القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد للبيان و الإعجاز، و القراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور فى الحروف و كيفيتها من تخفيف و تشديد و غيرهما» (٣). ١.

ص: ١١٧

١- ظ: السيوطي، الاتقان: ١/٢١٦.

٢- الباقلانى، نكت الانتصار لنقل القرآن: ٤١٥.

٣- الزركشى، البرهان: فى علوم القرآن: ١/٣١٨.

و الحق أن رأى الزركشى يتفق مع تعريف القراءات المتداول عند أئمة التحقيق، فقد ذهبوا إلى أن علم القراءات: هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله و اختلافهم فى اللغة و الأعراب، و الحذف و الإثبات، و التحريك و الإسكان، و الفصل و الاتصال، و غير ذلك من هيئه النطق، و الإبدال من حيث السماع (١).

و الحق أن لا- علاقه بين حقيقه القرآن و حقيقه القراءات، فالقرآن هو النص الآلهى المحفوظ، و القراءات أداء نطق ذلك النص اتفاقا أو اختلافًا، و القرآن ذاته لا اختلاف فى حقيقته إطلاقًا.

و قد استظهر الزركشى تواتر القراءات عن القراء السبعة: «أما تواترها عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم ففيه نظر، فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود فى كتب القراءات، و هى نقل الواحد عن الواحد، و لم تكمل شروط التواتر فى استواء الطرفين و الواسطه، و هذا شىء موجود فى كتبهم، و قد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامه فى كتابه «المرشد الوجيز» إلى شىء من ذلك» (٢).

و قد وافقه من المتأخرين السيد الخوئى و ازداد عليه حيث قال: «إنها غير متواتره، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ و بين ما هو منقول بخبر الواحد» (٣).

و قد حشد لهذا الرأى جملة من الأدله خلص منها إلى عدم تواتر القراءات، و أنها نقلت بأخبار الآحاد (٤).

و يكاد أن ينعقد إجماع المسلمين على حجيه هذه القراءات و تواترها- سواء أ كان تواترها عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو عن أصحابها- و على جواز القراءه بها فى الصلاه و غيرها.ا.

ص: ١١٨

١- القسطلانى، لطائف الإشارات: ١٧٠/١.

٢- الزركشى، البرهان: ٣١٩/١.

٣- الخوئى، البيان: ١٢٣.

٤- ظ: الخوئى البيان: ١٥١ و ما بعدها.

فمن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «اقرأوا كما علمتم» (١).

وقال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) وهو يتحدث عن رأى الإماميه فى الموضوع:

«واعلموا أن العرف من مذهب أصحابنا، والشائع من أخبارهم ورواياتهم أن القرآن نزل بحرف واحد، على نبي واحد، غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء، وأن الإنسان مخير بأى قراءة شاء قرأ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها، بل أجازوا القراءه بالمجاز الذى يجوز بين القراء، ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر» (٢).

وقد حكى الطبرسى (ت: ٥٤٨هـ) الإجماع عليه فقال:

«اعلم أن الظاهر من مذهب الإماميه أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما تتداوله القراء بينهم من القراءات، إلا أنهم اختاروا القراءه بما جاز بين القراء، وكرهوا تجريد قراءة مفردة» (٣).

و ذهب الشهيد الأول: (ت: ٧٨٦هـ) من الإماميه إلى أن القراءات متواتره، و مجمع على جواز القراءة بها، و تابعه الخوانسارى فى ذلك، و نفى الخلاف فى حقيه السبع منهم مطلقا، و الثلاث المكمله للعشر فى الجملة، بل اعتبر تواترها بوجهها السبعه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عند قاطبه أهل الإسلام (٤).

وقد انتهى العاملى إلى الإجماع على تواتر القراءات و نعتها به و حكاها عن المنتهى و التحرير و التذكرة و الذكرى، و الموجز الحاوى، و غيرها من أمهات كتب الإماميه مما يقطع معه بتواترها حرفا حرفا، و حركة حركة (٥). ٢.

ص: ١١٩

١- الكلينى، أصول الكافى: ٦٣١/٢.

٢- الطوسى، التبيان: ٧/١.

٣- الطبرسى، مجمع البيان: ١٢/١.

٤- ظ: الخوانسارى، روضات الجنات: ٢٦٣.

٥- ظ: العاملى، مفتاح الكرامه: ٢٩٠/٢.

وقد فصل الخوئي في القول، فذهب إلى عدم حجيه هذه القراءات، فلا يستدل بها على الحكم الشرعي، إذ لم يتضح عنده كون القراءات روايه، فلعلها اجتهادات في القراءه، و لكنه جوز بها الصلاه نظرا لتقرير المعصومين لها، و ذلك عنده يشمل كل قراءه متعارفه زمن أهل البيت عليهم السلام إلا الشاذه فلا يشملها التقرير (١).٧.

ص: ١٢٠

١- ظ: الخوئي، البيان في تفسير القرآن: ١٦٤-١٦٧.

نريد بشكل القرآن فيما يلي، الإطار الخارجي للنص القرآني، وهذا الإطار عبارة عن رسمه و إعجابه و نقطه، و ما صاحب ذلك من جهد و تطوير منذ الكتبه الأولى للمصحف.

و هذا كله شيء يختلف عن القرآن نصا متعبدا بتلاوته، فالقرآن ألفاظه و معانيه، و تشريعه و مراميه، بسوره و آياته متواتره متكامله، و شكله هو صورته المصحفيه التي تواضع عليها الناس في الرسم و الأعراب و النقط و الأعجام للدلاله على ألفاظه في النطق، و على هيئته و تركيبه في التلفظ، فهو تسجيل ثانوى للوحى الأولى، بما يؤدي إلى صورته حقيقته المثلى حينما يتلى بالألسن معادا كما أنزل.

و ارتباط هذه الظاهره الشكلييه باللفظ المنزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ الكريم و حيا سماويا، لم تأخذ طابع الصدفة أو صيغته العفويه، و إنما كان أمرا إليها مقصودا إليه، و جهدا رساليا معنيا بالذات، ليتضافر على حفظ القرآن الكريم -برا بوعده تعالى- عاملان:

الحفظ في الصدور، و الرسم في السطور. و هو كما يبدو من استعراض الروايات و استقراء الأحداث أمر مدنوب إليه و مرغوب فيه، و قد كان تأسيس ذلك منذ عهد مبكر، اقترن بأول نزول الوحي - كما سبقت الإشارة التفصيليه إليه - (1) و أوشك على الكمال عند جمع الناس على لغه:.

ص: ١٢٣

١- ظ: فيما سبق مقاله: جمع القرآن:.

قريش في القراءه المصحفيه زمن عثمان، و كتابه نص متكامل لهذا التوحيد، في المصحف الإمام المتداول إلى اليوم مرسومه، إلا أن ذلك النص - مضافا إلى تسويته بالخط الكوفي القديم - جاء مجردا: «من النقط و الشكل، ليحتمل ما صح نقله، و ثبتت تلاوته عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ إذ كان الاعتماد على الحفظ، لا مجرد الخط» (١).

و رسم المصحف - كما سنفصل القول فيه بإذن الله تعالى - جاء مجردا من كل علامات الشكل و النقط و الأعجام، لأنهم كانوا يستحبون تخليص القرآن من كل الزوائد على الخط الكوفي، و لما أورده جملة من أهل العلم - من قول مشترك يحتمل عده معان - أن السلف كانوا يقولون:

«جردوا القرآن و لا تخلطوه بشيء» (٢).

فلم تكتب مضافا إلى إهمال النقط و الأعراب، حتى أسماء السور، و لم يدون عدد آياتها، و لا الإشارة إلى مكيتها و مدنها. و قد اختلفوا فيما تبين فيه القراءه من الشكل، و كان اختلافهم مبني على قناعات خاصه في أغلب الأحيان.

فقد كره إبراهيم النخعي الكوفي (ت: ٩٦هـ) نقط المصاحف (٣).

و كره جملة الزيادات التوضيحية في المصاحف كل من: محمد بن سيرين (ت: ١١٠هـ) و الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) (٤).

و كان ذلك منهم بعنايه الحفاظ على الشكل الأول للمصحف، و قد يغلب على ظنهم احتمال التحريف لو أباحوا ذلك، و قد يكون ذلك بداعي المغالاه في تقديس الرسم الأول، بينما أفتى النووي باستحباب نقطه و شكله صيانه له عن اللحن و التحريف (٥). ١.

ص: ١٢٤

١- القسطلاني، لطائف الإشارات: ٦٤/١.

٢- ظ: أبو عبيد، غريب الحديث: ٤٩/٤+الداني، المحكم: ١٠+السيوطي، الاتقان: ١٦٠/٤.

٣- ظ: الداني، المحكم: ١١+السيوطي: ١٦٠/٤.

٤- ظ: ابن أبي داود، المصاحف: ١٤١.

٥- ظ: القسطلاني، لطائف الإشارات: ٣٣٢/١.

و مهما يكن من أمر، فقد كان الموقف السلبي من نقط المصحف و شكله منهزما حينما عمد المسلمون إلى إعجام القرآن و نقطه بشكل منظم، توافرت فيه النيات الصادقه، و تعاقبه الأيدي الأمينه، مما أدى بالأمر الواقع إلى تيسير تلاوه القرآن، و صيانته عن الالتباس، و مقاربتنا إلى نقطه الأمثل.

و يبدو أن الرائد الأول لذلك هو أبو الأسود الدؤلي (ت: ٦٩هـ) حينما وجدناه قد عالج بادئ ذي بدء مسأله ضبط العلامات الإعرابيه فى المصحف، احترازا من اللحن، و ابتعادا عن العجمه، و رعايه لسلامه النص، فاستعمل لذلك ما يفرق فيه بين حالات الرفع و النصب و الجر بالتنوين و بدونه، و ابتكر باجتهاد فطرى منه طريقته الخاصه الأولى باستعمال النقط للحركات، بصوره مميزه، عددا، و موضعا، و لونا، كما سترى هذا من قوله لكاتبه:

«خذ المصحف، و صنيعا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتى فأنقط واحده فوق الحرف، و إذا ضممتها فاجعل النقطه إلى جانب الحرف، و إذا كسرتها فاجعل النقطه فى أسلفه، فإن أتبع هذه الحركات، غنه، فأنقط نقطتين. فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره» (١).

و من خلال هذه الروايه المستفيضه، يتضح أن أبا الأسود قد خالف بين لون المداد المدون به المصحف و بين لونه لوضع هذه الحركات، و قد جعل هذه الحركات على شكل نقاط فى مواضعها المعينه، و قد ظهر من ذلك ما يلي:

أ- نقطه فوق الحرف، علامه للفتحه.

ب- نقطه تحت الحرف، علامه للكسره.

ج- نقطه فى خلال أو بجانب الحرف، علامه للضمه.

د- نقطتين على الحرف، علامه للتنوين. ١.

ص: ١٢٥

١- السيرافى، أخبار النحويين البصريين: ١٦+ ابن النديم، الفهرست: ٤٠+ ابن الأنبارى، إيضاح الوقف و الابتداء: ٣٩/١+ القلقشندى، صبح الأعشى: ١٦٦/١.

و كان هذا العمل من أبى الأسود متميزا بقيمه فيه أمكن بوساطتها التمييز بين الحالات الإعرابيه بنقط مختلفه المواضع بعد أن كانت هملا، و بلون يخالف الأصل المدون به المصحف زياده فى الضبط و التفريق.

و فى دوافع أبى الأسود، و مشجعاته على هذا العمل الضخم روايات و توجيهات كالاتى:

١-

إن الإمام على عليه السلام سمع قارئاً يقرأ أَنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) بكسر اللام فى رسوله و هو كفر، فتقدم إلى أبى الأسود «حتى وضع للناس أصلاً و مثالا و بابا و قياسا، بعد أن فتق له حاشيته، و مهّد له مهاده، و ضرب له قواعده» (٢).

٢- أن أبى الأسود نفسه قد سمع الآية المتقدمه فى جزئها بكسر اللام من (رسوله) فقال:

لا يسعنى إلا أن أضع شيئاً أصلح به لحن هذا، أو كلاماً هذا معناه (٣).

٣- أن زياد بن أبىه طلب إليه أن يضع للناس علامات تضبط قراءتهم، فشكّل أواخر الكلمات، و جعل الفتحة نقطه فوق الحرف، و الكبيره نقطه تحته، و الضمه نقطه إلى جانبه، و جعل علامه الحرف المنون نقطتين (٤).

و قيل إن زيادا أرسل إليه ثلاثين كاتباً للقيام بهذه المهمه (٥).

٤- و قيل: إن أبى الأسود إنما قام بهذا و بنقط القرآن- كما فى روايه أخرى- بأمر عبد الملك بن مروان (٦). ٤.

ص: ١٢٦

١- التوبه: ٣.

٢- أبو حيان التوحيدى، البصائر و الذخائر: ١/٢٦١.

٣- البلوى، ألف با: ١/٢١٠.

٤- الأنبارى، نزهة الألباب فى طبقات الأدباء: ١٠ و ما بعدها.

٥- ظ: الزنجانى، تأريخ القرآن: ٨٨.

٦- ظ: السيوطى، الاتقان: ٤/١٦٠.

و الملحظان الأخيران يؤكدان استجابته أبي الأسود لهذا الأمر بسبب أمر رسمي من سلاطين عصره، وهو ما لا يتفق مع عزله أبي الأسود السياسي، وعزوفه عن المناخ الرسمي، ولعل القلقشندی يدفع عنه ذلك صراحة، ويوضحه فيقول:

«إن أول من نقط القرآن و وضع العرييه أبو الأسود الدؤلى من تلقين أمير المؤمنين على كرم الله وجهه» (١).

و الغريب الذى لا يمت إلى أساس علمى أن يستبعد كل ما تقدم به أبو الأسود الدؤلى مع تظاهر الروايات على صدقه أو على شهرته على الأقل، بعض الدارسين المعاصرين، فمن يعد انفراد أبي الأسود فى ذلك ليس منطقيا و لا- معقولا- و لا يقوم على أساس عقلى، و كأنه يستكثر ذلك عليه إن لم يستنكره، بينما يعتبر أن للحجاج عملا عظيما لا سبيل إلى إنكاره فى الإشراف على نقط القرآن (٢).

و لدى التحقيق- كما سترى فيما بعد- فليس هناك مصدر واحد يوثق به، أو نقل ثابت، و يؤرخ هذه التقولات.

و ليت شعرى ما المانع العقلى أو المنطقى الذى يراه صبحى الصالح حائلا- عن قيام أبي الأسود بذلك، و أبو الأسود عالم موسوعى فى كثير من فنون الأدب و اللغة و التراث، و هو بعد تلميذ الإمام على عليه السلام و لم تشغله سياسته القوم عن النهج العلمى.

و لقد أكمل عمل أبي الأسود من بعده، اثنان من تلامذته هما يحيى بن يعمر العدواني (ت: ٩٠ هـ تقريبا) و نصر بن عاصم الليثى (ت: ٨٩ هـ) حيث وضعا النقاط على الحروف أزواجا و أفرادا، و قد كان وضع النقاط على الحروف حقيقيا لا على سبيل الاستعمال المجازى، و بذلك تميزت صور الحروف المتشابهة، و صار لكل حرف صورته تغاير صورته غيره من الحروف، طبقا لما نجده متعارفا فى كتابتنا المتداوله اليوم (٣). ٧.

ص: ١٢٧

١- القلقشندی، صبح الأعشى: ١٥١/٣.

٢- ظ: صبحى الصالح، مباحث فى علوم القرآن: ٩٤.

٣- ظ: أبو أحمد العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف و التحريف: ١٣+ حمزه الأصبهاني، التنبيه على حدوث التصحيف: ٢٧.

ثم زاد أتباع أبي الأسود علامات أخرى في الشكل، فوضعوا- مضافا إلى ما تقدم- للسكون جره أفقيه فوق الحرف منفصله عنه سواء كان همزه أم غير همزه، و وضعوا الألف الوصل جره في أعلاها متصله به إن كان قبلها فتحه، و في أسفلها إن كان قبلها كسره، و في وسطها إن كان قبلها ضمه (١).

و يأبى التاريخ إلا أن يضيف للحجاج بن يوسف الثقفي (ت: ٩٥ هـ) أنه أصلح من الرسم العثماني في عدة مواضع حددت بأنها إحدى عشره كلمه، فكانت بعد إصلاحه لها أوضح قراءه (٢).

و لا مانع من هذا تأريخيا، و هو جهد عادي، إذ ارتبط بإصلاح إملائي لرسم المصحف، لا في نقطه و إعجابه كما تخيل صبحي الصالح، الذي اعتبر عمل الحجاج عظيما و مشكورا لا سبيل إلى إنكاره في الإشراف على نقط القرآن، و هو أمر موهوم كما رأيت.

و حينما ظهرت مشكله اختلاط نقط الحركات التي وضعها أبو الأسود بنقط الحروف المتشابهه الرسم التي وضعها تلامذته كما أسلفنا، استطاع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠ هـ) أن يتدع أشكال الحركات، فتميزت حينئذ الحركات عن الحروف، فقد جعل الحركات حروفا صغيره بدل النقط، و ابتكر لكل حركه ما يناسبها في الشكل من الحروف، فالضمه و او صغيره فوق الحرف، و الكسره ياء مردفه تحت الحرف، الفتحه ألف مائله فوق الحرف.

و قد وفق الخليل مضافا لهذا إلى ابتكار علامات الهمز و التشديد و الروم و الاشمام (٣).

و حينما أباح المسلمون لأنفسهم ضبط النص المصحفي في النقط و الحركات و قواعد الهمز و التشديد، أحدثوا النقط عند آخر الآي، ثم الفواتح و الخواتم، حتى قال يحيى بن أبي كثير: «ما كانوا يعرفون شيئا مما ٤».

ص: ١٢٨

١- ظ: الزنجاني، تاريخ القرآن: ٨٨.

٢- ظ: ابن أبي داود، كتاب المصاحف: ١١٧.

٣- ظ: البلوي، ألف با: ٧٦/١+السيوطي، الاتقان: ٤/١٦٠.

أحدث في المصاحف إلا النقاط الثلاث على رءوس الآي» (١).

و كان هذا العمل إيذانا بمعرفه حدود الآيه، إذ يفصل بينها و بين الآيه التي تليها بمؤشر نقطى، تطور فيما بعد إلى شكل دائرى، يوضع داخله رقم الآيه، و بذلك تم تأشير أعداد الآيات و ضبطها فى السوره الواحده.

و كان ذلك فى الوقت نفسه مؤشرا إلى حركه تطويريه فى شكل المصحف، لا تتوقف عند حد من حدود التحسينات الشكليه الإيضاحيه، بل تستقطبها جميعا فيما يحقق فائده، أو يزيل لبسا، فقد عمدوا بعد ذلك إلى كتابه الأخماس و الأعشار، و هو أن يدونوا بعد كل خمس آيات أو عشر آيات رقمها و عددها، و كان قد كره ذلك جماعه من الأوائل على ما يدعى، كابن مسعود و مجاهد و النخعى و الحلیمى (٢).

و لكنه لا يتعارض مع أى أصل دينى بل هو أمر إحصائى لا غبار على عائدته فى التدقيق.

و حينما أدخل ما سبق تفصيله على الرسم العثمانى، لم تقف حركه التطوير عند هذا الحد تجاه الرسم الأول بل أضيف إليه كل ما يتعلق بأحكام السجود القرآنى الواجب و المندوب، فوضعوا فى الهوامش إشارات إلى مواضع السجود، بحيث اتضح كونه شيئا و النص القرآنى شىء آخر لانفصاله عنه إلى الجوانب شأنه فى ذلك شأن تعيين الأحزاب و الأرباع و الأجزاء، و إشارات التجويد فى مغايره رسمها فى المدار، و إن كانت ضمن النص، مما استحسنه البيهقى فقال:

«و لا يخلط به ما ليس منه، كعدد الآيات و السجودات و العشرات، و الوقوف، و اختلاف القراءات، و معانى الآيات» (٣).

و قد جعلوا لما تقدم بعض الضوابط، لتمييز القرآن من القراءات، و النص من الإضافات، و لجأوا إلى تنويع لون المداد لكل من الرسم ٤.

ص: ١٢٩

١- السيوطى، الاتقان: ١٦٠/٤.

٢- المصدر نفسه: ١٦٠/٤.

٣- المصدر نفسه: ١٦١/٤.

و الشكل و النقط، كحلّ أولى لرفع الالتباس، و إزاله الإبهام.

قال الدانى و هو يشير إلى ما تقدم بل و يفتى به: «لا أستجير النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصوره الرسم، و لا استجير جمع قراءات شتى فى مصحف واحد بألوان مختلفه، لأنه من أعظم التخليط و التغيير للمرسوم، و أرى أن تكون الحركات و التنوين و التشديد و السكون و المد بالحمرة، و الهمزات بالصفرة (1).

و واضح فى النص و غيره من النصوص الأخرى، أن الرسم المصحفى للآيات كان يكتب بالمداد الأسود، لهذا استحبوا أن تكون العلامات بالحمرة، و الهمزات بالصفرة، و ليكون ذلك عرفا شائعا عند العامه و الخاصه.

و هكذا جرى الضبط و التدقيق للشكل فى القرآن، فأضيف له بعد رسمه فى الخط الكوفى، النقط و الحركات، و الهمز و التشديد، و التخميم و التعشير، و الفصل بين الآيات و ترقيمها، ثم تطور الأخير إلى دوائر صغيره، و وضع فيها رقم الآيه بحسب تسلسلها من السوره، ثم كتبت أسماء السور مع عدد آياتها فى أول السوره و قبل البسملة متخذة لذلك عنوانا بالاسم، و إحصاء بالآيات، ثم قسم هذا النص إلى ثلاثين جزءا، و قسم كل جزء إلى أربعة أحزاب، و كان ذلك بإشارات هامشيه و أرقام و كتابات جانبيه رسميه غير مختلطة بالنص القرآنى الكريم، و إلى جانب هذا أضيفت علامات التجويد و الوقف، و مواضع السجود و أمثال ذلك مما لم يكن معروفا فى عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمه عليهم السلام و الصحابه (رض)، و هى زيادات قصد بها الإيضاح و الكشف و البيان، و لم يخالف فيها الرسم المصحفى، فقد بقيت صور الكلمات على هيئتها، و حافظت على أشكالها، كما و صفتها لنا كتب السلف فى الموضوع، و فى طليعتها كتاب: المقنع فى معرفه مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبى عمرو و عثمان بن سعيد الدانى (ت: ٤٤٤ هـ). ١.

ص: ١٣٠

١- المصدر نفسه: ١٤١/٤ و ما بعدها.

و بقى الرسم العثمانى للمصحف هو الأساس فى خط المصحف الكريم قديما و حديثا، فحينما تطورت عمليه الكتابه، و تبلور فن الخط، لم يفقد ذلك الأساس أهميته على الإطلاق، إذ ظل المنار الهادى لدى أغلب خطاطى مختلف العصور، نظرا لاكتمال الصوره الأولى للمصحف، و إن انتقل الشكل فى العموم من الخط الكوفى إلى الخط النسخى المعروف.

«و توجد الآن فى مكاتب العالم مجموعه كبيره من المصاحف المخطوطه القديمه أو قطع منها، بعضها مكتوب على الرق، و بالخط الكوفى القديم، مجردة من النقط و الشكل، و من كثير مما ألحق بالمصاحف من أسماء السور و عدد آياتها و غير ذلك بحيث تبدو أقرب إلى الصوره التى كانت عليه المصاحف الأولى» (١).

و قد شاهدت كثيرا من هذه الآثار المصحفيه فى المتحف البريطانى فى لندن، مصونه و محافظا عليها، بعنايه أثاره فائقه، و بحواجز زجاجيه محكمه، لا تصل إليها يد الناظر، و قد أشير ببعضها إلى تواريخ قديمه قد يرجع قسم منها إلى القرون الأولى، و لا نعلم مدى توثيقها.

أما الرسم المصحفى الأول للقرآن، أعنى كتابته على الكتبه الأولى، فقد جاء دور الحديث عنه، و أول ما نفجأ به، هو الهاله الكبرى من التقديس لهذا الرسم مما يضىف شيئا كثيرا من المغالاه التى لا مسوغ إليها فى أغلب الأحيان، و إنا و إن كنا لا نعارض تبجيله و الاعتداد به، و لكننا نعارض الغلو فى شأنه، و يبدو أن هذا الغلو و التقديس، و ما صاحب ذلك من هالات، ما هو إلا تعبير عملى عن احترام جيل الصحابه الذين كتبوا المصحف عند توحيد القراءه، و إن كانت تلك الكتابه مخالفه لأصول الإملاء، و قواعد الخط، إذ الكتابه تصوير لنطق اللفظ، و العبره بنطق ذلك اللفظ، لا- بتصويره، و التطرف فى إضفاء صفه التقديس على الكتبه الأولى، ه.

ص: ١٣١

١- نقل هذا النص غانم قدورى، عن جولد تسهير و غيره، ظ: محاضرات فى علوم القرآن: ٩٣، و انظر مصادره.

لا- يعضده دليل نصي على الإطلاق، و ما قيل هنا و هناك من توقيف كتابه المصحف؛ لا يستند إلى أساس من نقل أو عقل أو كتاب، و ليس فيه ما هو مرفوع إلى الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ إجماعاً، بل كان منسجماً مع طبيعته ما يحسن الكتبه، سواء أ كان جنس ما يحسنون ممتازاً، أم هو ما تعارفوا عليه، مما يؤدي إلى النطق الصحيح بالكلمات و الآيات، و هو أمر يرجع إلى مدى الجهد الذي بذله القدامى إملائياً و هجائياً في ضبط الرسم، و ما من شك أن يحصل الاختلاف بين الكتبه بقدر تفاوت الضبط فيما بينهم، أو على نحو من اختلاف القبائل فيما تكتب، مما طبع أثره على الاختلاف في الخطوط.

حينما جمع القرآن على لغه قريش، و وحدت القراءات على حرف معين، حصل جزء من هذا الاختلاف، فقد قال الزهري: «و اختلفوا يومئذ في التابوت و التابوه، فقال نفر القرشيون: التابوت، و قال زيد: التابوه، فرجع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش» (١).

و في روايه مماثله: «فإنما أنزل القرآن على لسان قريش» (٢).

و أما ما ادعاه ابن المبارك في نقله عن شيخه عبد العزيز الدباج أنه قال:

«ما للصحابه و لا لغيرهم في رسم القرآن و لا شعره واحده، و إنما هو توقيف من النبي و هو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئه المعروفه: بزياده الألف و نقصانها، لأسرار لا تهتدى إليها العقول، و هو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماويه، و كما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز، و كيف تهتدى العقول إلى سر زياده الألف في «مائه» دون «فته» و إلى سر زياده الياء في «بأييد» و «بأييكم» أم كيف تتوصل إلى سر زياده الألف في «سعوا» بالحج، و نقصانها من «سعو» بسبب؟ و إلى سر زيادتها في «آمنوا» و إسقاطها من «باؤ، جاؤ، تبوؤ، فاءؤ» بالقره؟ و إلى سر زيارتها في «يعفوا الذي» و نقصانها من «يعفو عنهم» في النساء؟ أم كيف ١.

ص: ١٣٢

١- ابن أبي داود، المصاحف: ١٩.

٢- الزركشي، البرهان: ١/٣٧٦.

تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهه دون بعض، كحذف الألف من «قرأنا» بيوسف و الزخرف، وإثباتها في سائر المواضع، وإثبات الألف بعد واو «سموات» في فصلت و حذفها في غيرها، وإثبات الألف في «الميعاد» مطلقاً، وحذفها من الموضع الذى فى الأنفال، وإثبات الألف فى «سراجا» حيثما وقع، وحذفه من موضع الفرقان؟ وكيف نتوصل إلى حذف بعض التاءات و ربطها فى بعض؟؟ فكل ذلك لأسرار إلهيه، وأغراض نبويه، وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنيه لا تدرك إلا بالفتح الربانى، بمنزله الألفاظ و الحروف المقطعه فى أوائل السور، فإن لها أسراراً عظيمة و معانى كثيرة، و أكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها و لا يدركون شيئاً من المعانى الإلهيه التى أشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذى فى القرآن حرفاً بحرف» (١).

فهو كلام طويل عريض يشتمل على ادعاءات و افتراضات لا نوافقه عليها من عده وجوه:

الأول: أن الرسم المصحفى لم يرد فيه و لا حديث واحد عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم فكيف يكون توقيفياً، و النبى صلى الله عليه و آله و سلم أمى لا يقرأ و لا يكتب و لا يتهجى، فكيف يتم هذا الغلو بشأنه، بادعاء أن ما كتبه كان بأمره، و هو تجاوز على مقام النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن يأمر بما يخطأ فيه و يصاب، هجاء و إملاء مما نعتبره دون أدنى ريب خارجاً عن توجيه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و توقيفه، لأنه لا يحسن منه شيئاً؛ و أما ما ورد بالزعم

أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: قال لأحد كتبه الوحى:

«ألق الدواه، و حرف القلم، و أنصب الباء، و فرق السين و لا تعور الميم، و حسن الله، و مد الرحمن، و جود الرحيم، و وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك» (٢). فموضوع لا أصل له، و يدل على وضعه و نحله كون النبى صلى الله عليه و آله و سلم أمياً، فما أدراه بأصول الخط؟ و ما هى معرفته بالحروف و مميزات كتابتها و هو فاقد لأصل الصنعه، و فاقد الشىء لا يعطيه كما يقولون، و ليس فى ذلك انتقاص للنبى صلى الله عليه و آله و سلم و لا غض من منزلته، و لكن ١.

ص: ١٣٣

١- الزرقانى، مناهل العرفان: ٣٧٦/١.

٢- المصدر نفسه: ٣٧٠/١.

الحقيقه التي نطق بها القرآن في أكثر من موضع بأنه أمي، وهذه الحقيقه صاحبت حياته كلها، وهي ليست نقصا في شأنه، بل اقتضتها الحكمة الإلهيه، لدرء تخرصات المشركين وارتياب المبطلين، فهي كرامه لا منقصه، و تشریف لا تضعيف، و تكريم لا توهين.

لقد أوتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جوامع الكلم، و فصل الخطاب، و النص المتقدم لا ينسجم مع بلاغه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القولي، و لا يتفق مع فصاحته المتناهيه، فالصنعه باديه على النص، و التكلف بين السمات عليه، و عدم ارتباطه فنيا يبعده عن كلام أفصح من نطق بالضاد، ثم ما هي علاقه الكتابه بوضع القلم على الأذن اليسرى؟ و هل يصدق أن يكون هذا الهراء من كلام الرسول؟ و أين هي المعاني الجامعه في هذا النص الهزيل؟ و ما هو وجه النظم بين فقراته التائهه، و ما هو المراد منها؟ الثاني: لو كان رسم المصحف توقيفيا، لكانت خطوط كتاب الوحي واحده، و ليس الأمر كذلك، فقد أشير كثيرا إلى اختلاف المرسوم منها في جملة من الروايات.

الثالث: ليس في كتابه أي نص سر من الأسرار كما يدعى، و أنني توصل لذلك؟ و كيف يطلق الكلام جزافا؟ و هل هنالك من له أدنى مسكه من عقل، أو إثاره من علم فيدعى أن رسم المصحف معجز كنظم القرآن، و القرآن معجزه بتحديه و نظمه و حسن تأليفه، و تفوقه باستعاراته و مجازاته و كنياته، و ارتباط كل ذلك بالكشف عن الغيب، و التحدث عن المجهول، و استقراء الأحداث، و اشتماله على الإعجاز التشريعي-مضافا إلى الإعجاز البلاغي-الذي لا يناسب البيئه التي نزل بها القرآن، و تمكنه بأسراره العلميه و نظرياته الثابته، القرآن معجز بصورته الفنيه التي اعتبرت اللفظ حقيقه، و المعنى حقيقه أخرى، و العلاقه القائمه بينهما حقيقه ثالثه، و هل يقاس هذا بالخط و الإملاء؟ و ما إعجاز الخط و ما هي أسرار الإملاء؟ حتى لا تهتدى العقول إلى سر زياده الألف في جملة من الكلمات، و حذفها من كلمات أخرى، نعم السر واضح، و هو بكل بساطه و كل تواضع و كل موضوعيه: خطأ الكاتبين، و لا-علاقه لخطئهم بالنص، فالنص القرآني متعبد بتلاوته لا برسمه، و لا يطالب الأوائل بأكثر من هذا الجهد في ضبط النص

ورد عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم قوله: «نحن أمه أميه لا نكتب ولا نحسب» (١).

فكتابه المصحف إذن كانت في ضوء ما ألفوه من الهجاء، واعتادوه من الرسم، وذلك قصارى جهدهم، وما ورد فيها من منافيات أصول الخط، لا يتعارض مع أصول المعاني و مداليل الألفاظ، فالإملاء لا يغير نطقاً، ولا يحرف معنى.

الرابع: ليس من المنطق العلمي ولا من المنهج الموضوعي أن نقارن - ولو بوجه ضئيل - بين الرسم المصحفي الذي كتبه بشر، وبين أوائل السور القرآنية ذات الحروف المقطعة التي قام الإجماع والتواتر على أنها من الوحي الإلهي والنص القرآني، وللعلماء فيها آراء واجتهادات، وفي مضامينها روايات وأخبار، وفي عرضها رموز وإشارات، وليس هذا موضع بحثها فلسفاً بصددتها، إلا أنها من القرآن المعجز، وليس الرسم المصحفي من الإعجاز في شيء وإنما هو يخضع لمدى ما يحسن الكاتب، وأين التحدي من السماء بالإعجاز إلى الصنعة الأرضية التي تتفاوت جوده وضعفاً وإتقاناً.

وقد حقق عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) في قضيه الرسم القرآني، وألقى مزيداً من الأضواء الكاشفة، على فكره التعصب للرسم العثماني، وانتهى من فلسفه القول في الخط عند العرب بعامه فقال:

«وكان خط العرب لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الأحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط، لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع. انظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير محكمه الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعه الخط عند أهلها.

ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم وخير الخلق من بعده، المتلقون لوحيه من كتاب الله ٢.

و كلامه، كما يقتضى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا، و يتبع رسمه خطأ أو صوابا.

و أين نسبه ذلك من الصحابه فيما كتبه، فاتبع ذلك و أثبت رسما، و نبه علماء الرسم على مواضعه. و لا تلتفتن فى ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعه الخط، و أن ما يتخيل من مخالفته خطوطهم لأصول الرسم كما يتخيل، بل لكلها وجه، و ما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيها للصحابه رضوان الله عليهم، عن توهم النقص فى قله إجاده الخط، و حسبوا أن الخط كمال، فنزهوه عن قصه، و نسبوا إليهم الكمال بإجادته، و طلبوا تعليلا ما خالف الإجاده عن رسمه و ليس ذلك بصحيح.

و اعلم أن الخط ليس بكمال فى حقهم، إذ الخط من جملة الصنائع المدنيه المعاشيه، و الكمال فى الصنائع إضافى و ليس بكمال مطلق، إذ لا يعود نقصه على الذات فى الدين، و لا فى الخلال. و إنما يعود على أسباب المعاش، و بحسب العمران و التعاون عليه، لأجل دلالة على ما فى النفوس.

و لقد كان صلى الله عليه و آله و سلم أميا، و كان ذلك كمالا فى حقه، و بالنسبه إلى مقامه، لشرفه و تنزهه عن الصنائع العمليه التى هى أسباب المعاش و العمران كلها.

و ليست الأميه كمالا فى حقنا نحن، إذ هو منقطع إلى ربه، و نحن متعاونون على الحياه الدنيا» (1).

و رأى ابن خلدون واضح الأبعاد فى إلقاء التبعه على من يتصور أن الخط كمال مطلق فى حد ذاته، و إن فقدانه يشكل نقصا جليا، و عيبا لا يطاق، و صوبوا فى كتابته من أخطأ، و ليس الأمر كذلك، فالإخلال ببعض قواعد الخط، و جملة من أصول الإملاء ليس نقصا بحقهم، بل هى الطاقه و جهد المقدور، و التعظيم لمتزله الصحابه لا يعنى أن نغض الطرف عن خطأ هجائى و أصل إملائى فمزلتهم شىء، و حقائق الأمور شىء آخر، ق.

ص: ١٣٦

و لهذا كان ابن خلدون فيما قدمه من رأى جريئاً فى الحكم، و سخياً فى العرض، و واقعياً فى المبادره.

و هناك موقف للباقلانى (ت: ٤٠٣هـ) يتناسب مع الذائقه الفطريه، لطبيعته الأشياء، فما لم يفرض فيه أمر، لا يستنبط منه حكم، و ما لا وجه له لا يجدد بوجه مخصوص، لقد بين حقيقه هذا الأمر بقوله:

«و أما الكتابه، فلم يفرض الله على الأمه فيها شيئاً، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن و خطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره، أو جبههم عليهم و ترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا- بالسمع و التوقيف، و ليس فى نصوص الكتاب و لا مفهومه: أن رسم القرآن و ضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص، و حد محدود، و لا يجوز تجاوزه، و لا فى نص السنه ما يوجب ذلك و يدل عليه، و لا- فى إجماع الأمه ما يوجب ذلك، و لا دلت عليه القياسات الشرعيه. بل السنه دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل، لأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يأمر برسمه، و لم يبين لهم وجهاً معيناً، و لا نهى أحداً عن كتابته، و لذلك اختلفت خطوط المصاحف؛ فمنهم من كان يكتب الكلمه على مخرج اللفظ، و منهم من كان يزيد و ينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح و أن الناس لا يخفى عليهم الحال. و لأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفيه و الخط الأول، و أن يجعل اللام على صورته الكاف، و أن تعوّج الألفات، و أن يكتب على غير هذه الوجوه، و جاز أن يكتب المصحف بالخط و الهجاء القديمين، و جاز أن يكتب بالخطوط و الهجاء المحدثه، و جاز أن يكتب بين ذلك.

و إذا كانت خطوط المصحف، و كثير من حروفها مختلفه متغايره الصوره، و كان الناس قد أجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته، و ما هو أسهل و أشهر و أولى، من غير تأثيم و لا- تناكر؛ علم أنه لم يؤخذ فى ذلك على الناس حد محدود مخصوص، كما أخذ عليهم فى القراءه و الأذن، و السبب فى ذلك أن الخطوط إنما هى علامات و رسوم تجرى مجرى الإشارات و العقود و الرموز، فكل رسم دال على الكلمه، مفيد لوجه قراءتها. تجب صحته و تصويب الكاتب على أيه صورته كانت.

و بالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص و جب

عليه أن يقيم الحجج على دعواه و أنى له ذلك» (١).

و رأى الباقلانى قوى الحجج بجواز كتابه المصحف بأى خط اتفق، يدل على ألفاظ القرآن و يفصح عن قراءته، بدليل ثبوت كتابته بالحروف الكوفيه، وبالخطوط المحدثه، و بالهجاء القديم، و فيما بين ذلك.

و مع أصاله هذا رأى الذى لم يتأثر بميل أو هوى فقد تجد من يأتى بعده، و يتكأ على كثير من آرائه يخالفه جمله و تفصيلاً، دون دليل علمى فى الموضوع.

قال القسطلانى: (ت: ٩٢٣ هـ) و أكثر رسم المصاحف موافق لقواعد العربيه، إلا أنه قد خرجت أشياء عنها، يجب علينا اتباع مرسومها، و الوقوف عند رسومها، فمنها ما عرف حكمه، و منها ما غاب عنا علمه» (٢).

و القسطلانى يريد بتعبيره بأن أكثر رسم المصاحف موافق لقواعد الإملاء العربى، و أصول الخطوط، و ما خرج عن ذلك يجب اتباعه فى نظره، و لا أعلم من أين استفاد وجوب اتباع مرسوم هذه الخطوط، و الوقوف عند رسومها، و ما هى فلسفه حكمه من الأخطاء الإملائيه، و ما غاب عنا علمه من الاشتباهات الهجائيه، و ليست تلك إلا أمور موهومه، دعا إليها الغلو الفاحش، و الطيش فى العاطفه، و هو نفسه يقول:

«ثم إن الرسم ينقسم إلى قياسى، و هو موافقه الخط للفظ، و اصطلاحى، و هو مخالفته ببدل، أو زياده، أو حذف، أو فصل، أو وصل، للدلاله على ذات الحرف، أو أصله، أو فرعه، أو رفع لبس، أو نحو ذلك من الحكم و المناسبات» (٣).

و هذا هو التقسيم الصحيح، و الرسم المصحفى اصطلاحى لا شك، تواضع عليه كتبه المصاحف الأولى، و اشتمل على مخالفه الخط للفظ، فى ١.

ص: ١٣٨

١- ط: محمد عبد العظيم الزرقانى، مناهل العرفان: ٣٧٣/١ و ما بعدها.

٢- القسطلانى، لطائف الإشارات: ٢٨٥/١.

٣- المصدر نفسه: ٢٨٤/١.

وجوه البدليه و الزيادة و النقصان و الحذف و الفصل و الوصل، و كان ذلك شائعا فى جمله من الحروف، لا سيما فى إبدال الألف ياء، و زياده الألف بعد واو الجماعة الداخلة على بعض الأسماء، و حذفها بعد جمله من الأفعال فى ذات المكان، و إثباتها لبعض الأفعال المعتله بالواو، و فى إثبات الهمزة فى الوصل حيناً، و حذفها حيناً آخر، و فى ما فيه قراءتان و الرسم على أحدهما، كما هو ملاحظ فى جمله من خطوط الرسم المصحفى.

و قد حصر السيوطى أمر الرسم المصحفى فى الحذف، و الزيادة، و الهمز، و البدل، و الفصل، و ما فيه قراءتان فكتب بأحدهما (١).

و لا- حرج مطلقا فى أن يكتب المصحف كاتب، أو يطبعه طابع، بأى هجاء شاء، ما دام لا يخرج عن النطق المطلوب، كما أنزله الله تعالى، و كما تنطق به العرب، إذ لا يختلف اثنان فى أن المراد بالقرآن هو ألفاظه و معانيه، و مقاصده و مراميه، لا هجاؤه و رسمه و هيكله، و القرآن ما رسم بهذا الرسم، و لا كتب بهذا الهجاء، إلا لأنه الهجاء المعروف المتداول فى العصر الأول (٢).

و ما القول بوجوب اتباع الرسم القديم، و عدم مخالفته و تعديده، إلا- نوع من أنواع التزمتم الذى لا- يتفق مع النهج العلمى، و الارتفاع بتقدير الأوائل من مستوى الاحترام المناسب إلى مستوى التقديس اللامعقول، و بهذا الملحظ فإننا لا نميل إلى ما قرره البيهقى فى «شعب الإيمان» بقوله:

«من كتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء التى كتبوا فيها المصاحف، و لا يخالفهم فيها، و لا يغير مما كتبه شيئا، فإنهم أكثر علما، و أصدق قلبا و لسانا، و أعظم أمانه منا، فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم» (٣). ١.

ص: ١٣٩

١- ظ: السيوطى، الاتقان: ١٤٧/٤.

٢- ظ: ابن الخطيب، الفرقان: ٨٤ و ما بعدها.

٣- الزركشى، البرهان: ٣٧٩/١.

بل نذهب إلى جواز المخالفه، و تيسير القرآن بالخط و الهجاء الذى لا لبس فيه، فلا يؤدى إلى اختلاف، و لا يؤول إلى إبهام، و ليس فى ذلك تحامل على السلف، فليس الخط و نقصانه مما يشكل استخفافا بهم، و لا هو يتنافى مع ورعهم و تقواهم، و لا علاقته له بأنهم أصدق لسانا، و أعظم أمانه، ما دام أن الخطوط لم تكن متكامله المعالم فى عهدهم.

يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات: «الغرض من كتابه القرآن: أن نقرأه صحيحا لنحفظه صحيحا، فكيف نكتبه بالخط، لنقرأه بالصواب؟ و ما الحكمه أن يقيد كلام الله بخط لا يكتب به اليوم أى كتاب» (١).

و لقد كان عز الدين بن عبد السلام جريئا و محافظا فى وقت واحد بقوله:

«لا- يجوز كتابه المصحف الآمن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمه، لئلا يوقع فى تغيير من الجهال، و لكن لا ينبغى إجراء هذا على إطلاقه، لئلا يؤذى إلى دروس العلم، و شىء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين، و لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجه» (٢). فهو يدعو إلى تطوير الرسم المصحفى رفعا لمشاكل القراءه عند المحدثين، و يدعو إلى الاحتفاظ بالرسم العثمانى كجزء من التراث الذى لا يترك حبا بالأقدمين.

و لقد أوضح السيوطى حقيقه مخالفه الخط المصحفى فى بعض الحروف لقواعد الخط العربى فقال: «القاعده العربيه أن اللفظ يكتب بحروف هجائيه مع مراعاة الابتداء و الوقف عليه، و قد مهد النجاه له أصولا و قواعد، و قد خالفها فى بعض الحروف خط المصحف الإمام» (٣).

و أنى كانت وجهه النظر تجاه الرسم المصحفى، فهى لا تعنى شيئا ذا أهميه قصوى، لأنها مسأله شكلية لا تتعلق بجوهر القرآن، و لا تغيير.

ص: ١٤٠

١- مجله الرساله المصرية، عدد ٨ يناير، ١٩٥٠.

٢- الزركشى، البرهان: ١/٣٧٩.

٣- السيوطى، الاتقان: ١٤٦/٤.

حقيقته، لأن اختلاف بعض الخطوط لقواعد الهجاء لا يحل حراما و لا يحرم حلالا، ليتحقق بعد هذا كله التأكيد الإلهي بحفظ القرآن، سالما من التحريف، مصانا عن الزيف.

و قد شاءت العناية الإلهيه أن يظل شكل القرآن متجاوبا مع اختلافات الرسم في كل العصور، و متجانسا مع عمليه التطوير الكبرى للخط العربى، فقد دأب المتخصصون بصياغه الخطوط و طرائقها أن ينقلوه من جيل إلى جيل مطابقا للأصل الكوفى مع إضافه الأشكال التطويريه زياده فى الإيضاح، و رفعا للالتباس، و كان ذلك متواترا طيله أربعة عشر قرنا من الزمان، فما وجدنا فى طول العالم الإسلامى و عرضه نصا قرآنيا يخالف نصا آخر، و لا- مخطوطا يعارض مخطوطا سواه، حتى هيا الله تعالى الطباعه، لتزود المسلمين بل الناس أجمعين، بملايين النسخ من القرآن الكريم، و بمختلف الطبعات الأنيقه و المذهبه و المحكمه، و هى تعطر كل بيت، و تشرف كل منتدى، و تحتل صدر كل مكتبه.

و كان دور الطباعه مهما فى نشر القرآن الكريم فى كل من أوروبا و البلدان الإسلاميه و الواطن العربى.

فقد نشر القرآن مطبوعا للمره الأولى فى البندقيه فى حدود سنه ١٥٣٠ م، بيد أن السلطات الكنسيه وقفت منه موقفا متعصبا، فأصدرت أمرا بإعدامه عند ظهوره؛ ثم قام هنكلمان بطبع القرآن فى مدينه هانبورغ عام ١٦٩٤ م، و تلاه (مراتشى) بطبعه فى بادو عام ١٦٩٨ م.

و قد ذكر كل من بلاشير و شزر و بفنلمر أن أول طبعه إسلاميه القرآن كانت فى سانت بطرسبورج بروسيا عام ١٧٨٧ م و هى التى قام بها مولاى عثمان، و بعد هذا قدمت إيران طبعتين حجريتين الأولى فى طهران عام ١٨٢٨ م و الثانيه فى تبريز عام ١٨٣٣ م [\(١\)](#).

و فى مصر قام الشيخ رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتى بكتابه مصحف عنى فيه بكتابه الكلمات فى ضوء الرسم العثمانى، و قدم له بمقدمه.

ص: ١٤١

١- ظ: صبحى الصالح، مباحث فى علوم القرآن: ٩٩ و انظر مصادره.

أبان فيها تحرير المصحف و رسمه و ضبطه، و طبع بمطبعة حجرية هي المطبعة البهية في القاهرة عام (١٣٠٨ هـ) (١).

و كانت هذه الطبعة الأولى من نوعها في القاهرة، و قد استدركت عليها بعض الملاحظات المطبعية عولجت فيما بعد.

و في القاهرة، عام ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م تشكلت لجنة عليا من مشيخه الأزهر، مستعينة بكبار العلماء، بإقرار من قبل الملك فؤاد الأول، كان قوامها كل من: شيخ المقارئ المصرية محمد خلف الحسيني، و الأستاذ حفي ناصف العالم اللغوي، و مصطفى عناني، و أحمد الاسكندري.

و قد اضطلعت هذه اللجنة بمهمه ضبط المصحف و رسمه و شكله، فكتب القرآن - بإقرارها - موافقا للرسم العثماني، و على قراءه عاصم بن أبي النجود الكوفي، بروايه حفص بن سليمان الكوفي. ثم طبعته أنيقه بالنسبه لزمناها، تلقاها العالم الإسلامي بالغبطه، و كان ذلك أساس انتشار طبعات القرآن الأخرى، ففي عام ١٩٢٤ تم طبع القرآن في مطبعة بولاق في القاهرة، و كانت هذه الطبعة هي الطبعة الرسمي للقرآن في نظر المستشرقين (٢). و بعبارة أخرى فهي القرآن الرسمي عندهم.

و كان القرآن قد طبع بحجم صغير في عام (١٣٣٧ هـ) في مطبعة بولاق أيضا، و أعيدت طبعته في (١٣٤٧، ١٣٤٤) (٣).

و قد بقي طبع القرآن في الوطن العربي بل الإسلامي مقتصرًا على مصر في أغلبه مشروعاته، ثم قامت عده دول بطبع القرآن طبعات أنيقه فاقت ما قدمته مصر، كان ذلك في عصر تقدم الطباعه و آلتها و مستلزماتها، و تحسين الورق و ازدهار الخطوط، و كان ذلك حديثًا و في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، حينما استعانت هذه الدول ١.

ص: ١٤٢

١- ظ: عبد الفتاح القاضي، تاريخ المصحف الشريف: ٩١ و ما بعدها.

٢- هناك مقاله للمستشرق الألماني الاستاذ نولدكه بعنوان: القرآن: الرسمي (طبعه بولاق ١٩٢٤) بالنظر إلى قراءه أهل مصر، نشرها في مجله الإسلام ج ٢٠ (ظ: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١٤١/١).

٣- ظ: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١٤١/١.

بمطابع راقية في الدول الغربية لسحب ملايين النسخ من القرآن الكريم بأبهي حله لا سيما في مطابع ألمانيا و شركاتها، و كان في طليعه من تصدى لهذا العمل من دول الشرق الإسلامي و غربه كل من: العراق و تركيا و إيران و سوريا و المغرب و الجزائر و تونس و غيرها.

و في ضوء جميع ما تقدم نجد أن شكل القرآن قد استقر الآن على ما استقر عليه بالتحسينات و الإيضاحات و الأناقة الطباعية، مما نقطع معه إن لم يقدر لأى أثر دينى أن يحتفى بهذا القدر من الاحترام كما قدر للقرآن الكريم، كتابه، و شكلا و رسما، و حفظا، و طباعه، و انتشارا.

ص: ١٤٣

لا حاجة بنا إلى القول بأن القرآن الكريم قد وصل إلينا كما نزل، وقد حفظ بين الدفتين كما أوحى، فالحديث عن سلامه القرآن و صيانتة من البديهيّات، و الاعتقاد بخلوه من الزيادة و النقصان من الضروريات.

و القرآن فى منأى عن التحريف فى نصوصه و آياته، إذ لم يضاف إليها ما ليس منها، و لم يحذف ما هو منها، فالموجود بين أيدينا هو النص القرآنى الكامل فى ضوء ما أسلفناه من وحى القرآن، و نزول القرآن، و جمع القرآن، و قراءات القرآن، و شكل القرآن، إذ تضافرت هذه العوامل جميعا على ضبطه كما أنزل، زيادة على العناية الإلهية التى رافقت هذه العوامل، و صاحبت هذا النص.

إن الدلائل العلميه تؤكد حقيقه صيانه القرآن كيانا متماسكا مستقلا لم تصل إليه يد التحريف، و لم تستهدفه نبال العوادي، و ليس هذا أمرا اعتباطيا تحكمت فيه الظروف أو الصدف، بل هو أمر حيوى قصدت إليه إرادته الغيب بإشياء الله تعالى، و تأسيسا على ذلك فلا يغير القرآن غرض طارئ، و لا عدوان مباغت.

و حديثنا عن سلامه النص القرآنى يقتضى دحض أى ادعاء مغاير، وورد أى اتجاه مناوئ، و هذا يدعو إلى تصفيه دعاوى التحريف و تفنيد أباطيلها من الوجوه كافه.

و دعاوى التحريف لدى غربلتها، و دراسه مظاهرها، نجدها تتردد بين عدّه ظواهر هي:

ص: ١٤٧

الادعاءات، الافتراضات، أخبار الأحاد، الاتهامات، الشبهات، المحاولات.

و رصد هذه الظواهر يحتم مسايه الموضوع لجزئياتها، و لدى مسايه الموضوع بجزئياته، و الظواهر بحيثياتها، تجلى بطلان قسم منها، و فشل القسم الآخر، و تعثر الجزء الأخير فى تحقيق الدعوى.

و سنقف عند هذه الظواهر وقفه المقوم المتحدى، و الناقد الموضوعى.

أولاً- الادعاءات، و يثيرها عادة زمره من المستشرقين دون أساس يعتمد عليه، حتى بدا بعضهم مترددا متخاذلا، و البعض الآخر متحاملا.

فمع الجهد الكبير الذى بذله المستشرق الألماني الدكتور تيودور نولدكه (١٨٣٦ م- ١٩٣٠ م) فى كتابه القيم عن تأريخ القرآن؛ إلا أننا نجد موقفه أحيانا غريبا و متناقضا، ففى الوقت الذى يعقد فيه بكتابه فصلا بعنوان: (الوحي الذى نزل على محمد و لم يحفظ فى القرآن) و الذى يبدو فيه قائلا بالتحريف تلميحا، نجده يصرح بذلك فى ماده قرآن بدائره المعارف الإسلاميه فيقول: «إنه مما لا شك فيه أن هناك فقرات من القرآن ضاعت و يثنى على هذا الموضوع الخطى فى دائره المعارف البريطانيه، ماده قرآن فيقول: «إن القرآن غير كامل الأجزاء» (١).

و جمله ما أثاره لا يعدو الادعاءات التى يصعب معها الاستدلال المنطقى، و يبدو أن نولدكه قد تنازل عن آرائه و تراجع عنها شيئا ما، فحينما ظهر كتاب المستشرق الألماني «فوللرز» عن لغه الكتابه و اللغه الشعبيه عند العرب القدماء، أثار نقاشا حادا، فقد زعم «فوللرز» فى كتابه هذا أن القرآن الكريم قد ألف بلهجه قريش، و أنه قد عدل و هذب حسب أصول اللغه الفصحى فى عصر ازدهار الحضاره العربيه، و قد انبرى نولدكه نفسه للرد عليه موضحا أن كلامه عار من الصحه و التحقيق العلميين (٢). ٣.

ص: ١٤٨

١- المؤلف، المستشرقون و الدراسات القرآنيه: ٣٠ و انظر مصدره.

٢- ظ: آلبرت ديتريش، الدراسات العربيه فى ألمانيا: ١٣.

ثم قرر نولدكه بعد هذا أن النص القرآني يعتبر على أحسن صورته من الكمال و المطابقه (١).

لقد فتح (نولدكه) الطريق أمام القول بتحريف القرآن، ثم بدا مدافعا عنه، مما بدا فيه متناقضا بين السلب و الإيجاب في الموضوع.

و إذا كان ما قدمه الأستاذ نولدكه قد تضاعف قيمه نظرا لتردده في الأمر، و عدم وضوح الرؤية له فيه، فإن ما كتبه الأستاذ بول بكثير من عدم التورع، لا يمكن أن يتهاون فيه.

لقد ألفت مسأله التحريف التي أثارها بعض المستشرقين، عند الأستاذ بول بثقلها، فكتب عنها بحثا في دائره المعارف الإسلاميه الألمانيه (٢).

اعتبر بول التحريف تغييرا مباشرا لصيغته مكتوبه، و أن الأمر الذي حدا بالمسلمين إلى الاشتغال بهذه الفكرة هو ما جاء بالقرآن من آيات اتهم فيها محمد صلى الله عليه و آله و سلم اليهود و بتغيير ما أنزل إليهم من كتب و بخاصه التوراه.

و لكن عرضه للوقائع و الشرائع التي جاءت في التوراه انطوى على إدراك خاطئ أثار عليه النقد و السخرية من جانب اليهود، فكان في نظرهم مبطلا.

و قد خلط (بول) في هذا البحث خلطا غير متناسق، و اكبته فيه النزعات المنحرفه، و صاحبه إسراف و إفراط لا يمتان إلى استكناه الحقائق بصله.

و الذي يهمننا من بحثه أن نشير إلى ما يلي (٣):

أ- إن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يرد الحصول على تأييد أهل الكتاب بالمعنى الذي أشار إليه، و إنما هو تعبير عن وحده الديانات و الشرائع و الأنبياء في جميع الأطوار، و أن أصول هذه الديانات واحده، و إن تغيير هذه الحقيقه ١.

ص: ١٤٩

١- ظ: نولدكه. تاريخ القرآن: ٩٣/٢.

٢- ظ: بول، دائره المعارف الإسلاميه الألمانيه: ٤/٤-٦٠٤-٦٠٨.

٣- ظ: المؤلف، المستشرقون و الدراسات القرآنيه: ٤٠-٤١.

الواقعه يعتبر تحريفا بالمعنى الذى أشار إليه القرآن: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ (١).

ب- إن الألفاظ التجريحيه التى وردت فى المقال بالنسبه للرسول الأعظم لا تتفق مع المنهج الموضوعى، فقد أشار بل صرح بأن القرآن من تلقاء نفس النبى صَلَّى الله عليه وآله و سلم و أنه تحدث فى القرآن بطريقه مبهمه، و أن محمدا يستعمل لفظ حرف بدل القرآن.

و هذه مواد لا يفترض بعالم أن يتولى التحدث بها بأسلوب الغمز و اللّمز، و هو ما لا يقبل فى بحث علمى، و لسنا نرى ذلك غفله أو هفوه بل هو تغافل و جفوه.

ج- ادعى الباحث أن خصوم النبى صَلَّى الله عليه وآله و سلم أخذوا عليه نسخ بعض أحكام القرآن بأحكام أخرى، مما حدا بعلماء المسلمين أن يذهبوا مذاهب شتى فى تقديرهم للحقائق التى يقوم عليها هذا الاتهام.

و بإيجاز نقول: إن نسخ الأحكام شىء، و التحريف شىء آخر، فالنسخ لا يكون تحريفا، و إنما هو إحلال لحكم مكان حكم، أو رفع لحكم من الأحكام من قبل الله تعالى، تخفيفا عن العباد، أو رعايه لمصلحه المسلمين، أو استغناء عن حكم موقوت بحكم مستديم، و ما أشبه ذلك مما يتعلق بالشريعة أو بمعتقداتها، و لا مجال إلى الطعن فى هذه الناحيه على ادعاء التحريف فى القرآن.

د- يقول الباحث، و هو يضرب على وتر حساس: «و قد أثبتت تهمة التحريف فيما وقع من جدل بين الفرق الإسلاميه المختلفه. فالشيعة يصرون عادة على أن أهل السنه قد حذفوا و أثبتوا آيات فى القرآن بغيه محو أو تفتيد ما جاء فيه من الشواهد، معززا لمذهبهم، و قد كال أهل السنه بطبيعته الحال نفس التهمه للشيعة» (٢).

و هنا آثار مسأله مهمه فى أقدس أثر من تراث المسلمين، و لم يعط ٤.

ص: ١٥٠

١- النساء: ٤٦.

٢- ظ: بول، دائره المعارف الإسلاميه الألمانيه: ٦٠٨/٤.

دليلاً واحداً على صحتها، ولم يثبت مرجعاً واحداً يتتبع هذا الاتهام.

والمسلمون جميعاً قد اتفقوا على سلامه القرآن من التحريف و تبادل الاتهامات كما سترى فيما بعد، لا يغير من الحقيقة شيئاً، وقد كان الأجدد بالباحت أن يتناول الموضوع بشكل آخر، فيعرض إلى آراء المسلمين بخلو القرآن من التحريف، بدلاً من تجريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونسبه ما لم يكن إلى المسلمين.

إن مما يؤسف له حقاً أن يستغل (بول) نصاً من نصوص القرآن في إدانة اليهود (النساء ٤٦) ليبنى عليه حكماً طائشاً على إدراك خاطئ، فيعتبر التحريف تغييراً مباشراً لصيغته مكتوبه في القرآن، ولكنه لم يعطنا نموذجاً واحداً على هذا التغيير المباشر، وهذا المنظور الفاضح لم يوافق عليه حتى المستشرقون أنفسهم، فهناك بضع شهادات لكبار علماء الاستشراق العالمى، تؤكد سلامه النص القرآنى من التحريف والتغيير والتبديل، دون كتب الديانات الأخرى.

وقد أورد أبو الحسن الندوى جمله من نصوص وأسماء المستشرقين فى هذا الموضوع (١).

إن كثيراً من الأحكام الاستشراقية قد تمليها نزعات عدائيه حيناً، و تبشيره حيناً آخر، و هنا يكمن الخطر فيجب -و الحال هذه- أن يعامل الحكم الاستشراقى بكثير من الحذر.

ثانياً: الافتراضات: على مدعى التحريف أن يحدد زمن وقوع التحريف كافتراض أولى لإثارة أصل المشكله، و إذا أخفق فى تحقيق هذا الافتراض بطلت الدعوى من الأساس.

و التحريف المدعى: إما أن يقع فى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم و إما فى عهد الشيخين، و إما فى عصر عثمان، و إما زمن الإمام على عليه السلام، و إما فى الحكم الأموى، إذ لا يخلو ذلك عن أحد هذه الأزمنه، إذ لم يدع أحد -١.

ص: ١٥١

على ما افترض - وقوع التحريف بعد العصر الأموي.

أما الافتراض الأول، وهو وقوع التحريف في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فباطل إجماعاً، بما تبين لنا من مدارسه ظاهره الوحي ومعطياتها، فقد ثبت أن الوحي منفصل عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في شخصيته المستقلة، وأنه مؤتمن على الرساله، وقد أداها متكامله غير منقوصه بنص القرآن الكريم: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا... (١)**.

فلو كان هناك ما يمنع من الكمال، لما أيده القرآن، و أي مانع عنه أقطع من إباحه التحريف في النص الذي ثبت إعجازه، و كان دليل رسالته، و برهان دعواه، فهذا الافتراض -إذن- مرفوع عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و عن البيئه التي رافقت القرآن في عصره إذ كان الحاكم و المشرع و الأمر.

و أما ادعاء وقوعه في زمن الشيخين، فلم يعضده دليل نصي أو عقلي، و حرص الشيخين على النص القرآني أشهر من أن يذكر، فالدعوى باطله.

و أما في عهد عثمان، فعثمان هو الذي وجد المصحف على لغة قريش، و القراءات التي سبقت هذا التوحيد كانت اجتهاديه في أغلب الظن، و مظنه الخطأ لو وقعت في الاجتهاد، فلا أساس لها في مس القرآن الكريم، و انتشار القرآن آنذاك مانع كبير من أن يقع عليه شيء من التحريف، و قد تعرض عثمان لثوره مضاده، فما ادعى عليه شيء من هذا القبيل على الإطلاق، فالدعوى -إذن- باطله.

و أما في عهد الإمام على عليه السلام فلا يصح أن يقع التحريف للأسباب المتقدمه، و لاعتبارات أخرى:

١- إن حريجه الإمام على عليه السلام في الدين بل و في الجزئيات التشريعيه معلومه الحال، فكيف تجاه أصل الدين، و نظام الإسلام، و هو القرآن، فلو سبق أن امتدت له يد التحريف، لما وقف مترددا في إرجاع الحق إلى ٣.

ص: ١٥٢

نصابه، وإلغاء سمات التحريف، فكيف يصح أن يقع في عهده، وهو من هو في ذات الله.

٢- إن الإمام على عليه السلام احتج بالقرآن على أهل الجمل، ودعى إليه في التحكيم مع أهل صفين، فلو كان في القرآن ما ليس منه، أو أنه لم يشتمل على كل القرآن، لما صح له به الاحتجاج، ولا قبوله في التحكيم، وهذا أمر مشهور لا يحتاج معه إلى برهان.

٣- إن خطب الإمام على عليه السلام في نهج البلاغة، تشير إلى القرآن في كثير من التفصيلات هداية و استرشادا و توجيها للناس، فلو كان هناك مما يدعى شيء لأبان ذلك على الأقل و أنكره، ولاحتج فيه على من تقدمه، فلما لم يفعل ذلك علمنا بسلامه القرآن.

«أما دعوى وقوع التحريف بعد زمان الخلفاء لم يدعها أحد فيما تعلم، غير أنها نسبت إلى بعض القائلين بالتحريف، فادعى أن الحجاج لما قام بنصره بنى أمية أسقط من القرآن آيات كثيرة كانت قد نزلت فيهم...

و هذه الدعوى تشبه هذيان المحمومين... فإن الحجاج واحد من ولاة بنى أمية، وهو أقصر باعاً، وأصغر قدراً من أن ينال القرآن بشيء، بل وهو أعجز من أن يغير شيئاً من الفروع الإسلامية، فكيف يغير ما هو أساس الدين وقوام الشريعة، وكيف لم يذكر هذا الخطب العظيم مؤرخ في تاريخه» (١).

إذن فالافتراضات الموهومه جميعاً لا تقوم على أساس علمي أو عقلي، فهي مرفوضه جمله و تفضيلاً، بعد أن ثبت بطلانها جزئيه جزئيه، و فرضيه فرضيه.

ثالثاً: الروايات، و التي عبرنا عنها بأنها أخبار أحاد، و هو كذلك، فهي متناثره هنا و هناك، و يستنتج منها وقوع التحريف تصريحاً أو تلميحاً، و لكنها لا تصلح دليلاً في قضيه، و لا برهاناً على دعوى، إذ لم تبلغ حد ٩.

ص: ١٥٣

الشهره فضلا عن التواتر، ولأن الضعف الكذب والتدليس واضح الإمارات في الرواه، والاضطراب والتناقض متوافر في الأسانيد، وأبرزها كالتالي:

١-نسبوا إلى ابن مسعود(رض) أنه أسقط سورة الفاتحه من مصحفه (١).

أقول و هي روايه يجوز معها الشك و السهو و النسيان و إن لم نقل الكذب للأسباب التاليه:

أ-قال ابن حزم:هذا كذب على ابن مسعود (٢).

ب-إنها معارضه بقراءه ابن مسعود لها في الصلاه، ولا صلاه إلا بفاتحه الكتاب.

ج-إن صحت الروايه، فقد غلب على ظن ابن مسعود أن الفاتحه لا يمكن أن تنسى لوجوب تعلمها على المسلمين كافه، وإن ما كتب من القرآن كان لمخافه النسيان والضياع.

د-إن مصحف ابن مسعود و أمثاله ليست إلا مصاحف فرديه، كمن يكتب لنفسه سورة، و يغفل سورة، فإن سقط من مصحفه شيء فلا ينسحب ذلك على القرآن.

ه-إن المصحف الإمام المتداول بالأمس و اليوم عند المسلمين قد اشتمل على الفاتحه، فلا تحريف إذن بهذا الملحظ.

و-يبدو لي أن الروايه مكذوبه على ابن مسعود جمله و تفصيلا للإيهام بدافع سياسي-فلا تحريف إذن بهذا الملحظ.

و-يبدو لي بأن عدم اشتراكه عند جمع المصحف-كما يدعى- كان لهذا ولأمثاله.

٢-ما أورده السيوطي وغيره، أن هناك سورتين لم تكتب بالمصحف، و هما سورة الحفد و سورة الخلع، و ذلك عند الجمع، و قد علمهما على و عمر، و كان أبي يقنت بهما على ما أورده المروزي، و أنه كان قد كتبهما في مصحفه، و هناك طائفه من الصحابه تستظهرهما و تقرؤهما في الصلاه أو القنوت (٣)..-

ص: ١٥٤

١-السيوطي، الاتقان: ٨٣/١.

٢-المصدر نفسه: ٢٢١/١.

٣-ظ:السيوطي، الاتقان: ١٨٤/١ و ما بعدها.-

و يرد على هذه الروايات ما يلي:

أ-إننا قد رجحنا أن يكون القرآن مجموعا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و إذا ثبت ذلك بطلت هذه الدعاوى.

ب-لو أن عليا و عمر، كانا قد علما بأن هاتين سورتان،فما يمنعهما من إلحاقهما بالمصحف،و هما من القوه بحيث لا يستطيع أحد معارضتهما مجتمعين إطلاقا.

ج-لو كان الإمام على عليه السلام يعلم هاتين السورتين،فلم لم يشر بهما إلى أحد ذريته و شيعته لحفظهما من الضياع،و ذلك في عهد خلافته،و لا روايه واحده تدل على ذلك.

د-إن السياق الجملى للسورتين المزعومتين،لا- يتناسب مع مناخ القرآن البلاغى،و لا أسلوبه الإعجازى،و لا لغته المتميزه،فلغه القرآن «سبوح لها منها عليها شواهد،و لغه هاتين السورتين الموهومتين لغه دعاء مجرد» (١).

٣-نسب إلى عكرمه أنه قال:لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان،فوجد حروفا من اللحن،فقال:لا- تغيروها،فإن العرب ستغيرها، أو قال ستعربها بألسنتها» (٢).

و لا دلالة فى هذا على التحريف إطلاقا،و إذا صح،ففيه دلالة على اشتباه الكتبه،و لكن الأمر المشكل فيها هو لما ذا أمر عثمان بعدم تغييرها، و لما ذا لا يكون هذا الأمر مخترعا لا سيما و أن الروايه منقطعه غير متصله- لأن عكرمه هذا لم يسمع من عثمان شيئا بل لم يره كما يرى ذلك (٣)٤-روى ابن عباس عن عمر أنه قال:«إن الله عزّ و جلّ بعث محمدا بالحق،و أنزل معه الكتاب،فكان مما أنزل إليه آيه الرجم،فرجمه٥.

ص: ١٥٥

١- ظ:نص هاتين السورتين فى:السيوطى،الاتقان:١/١٨٤ و ما بعدها.

٢-المصدر نفسه:١/١٨٣.

٣-ظ:الدانى،المقنع:١١٥.

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ورجمناه بعده، ثم قال: كنا نقرأ: (و لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم) أو: (إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم) (١).

و يرد على هذه الرواية ما يأتي:

أ- لم ترو هذه الرواية متواتره عن عمر، وإنما رويت بطريق الآحاد، وهي بعيده الصدور عن عمر، إذ لو اعتقد أنها آية (آية الرجم) لأثبتها لأنه كان يحتل الموقع الأول في الدوله مع وجود أبي بكر، و آية قوه تقف في صدر عمر إذا أراد شيئاً آنذاك، و على فرض صحه وجود الآيه فلا- دلالة فيها على التحريف لأنها من نسخ التلاوه، و إن كنا نعارضه. و نعتبره أساساً للقول بالتحريف.

ب- إن حكم الرجم ثابت في السنه، و لا يعنى ذلك أن ما ثبت في السنه ثابت في القرآن، بل كلاهما يشكلان أساس التشريع. و هناك جمله من الأحكام كانت السنه أصلاً لها و لا ذكر لها في القرآن كإعداد الصلاة، و بعض مراسيم الحج، و أنصبه الزكاه، و هكذا.

٥- روى عروه بن الزبير عن عائشه أنها قالت: «كانت سوره الأحزاب تقرأ في زمن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم مائتي آيه، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر إلا ما هو الآن» (٢).

و يرد على هذه الرواية إشكالان:

أ- إن عروه بن الزبير ضعيف الروايه.

ب- لو كانت عائشه و هي أم المؤمنين و مسموعه الكلمه، و لها أثرها في الدوله الإسلاميه آنذاك تعتقد هذا الأمر فلما ذا أخفته، و حينما عارضت عثمان لما ذا لم تذكر في معارضتها هذا الأمر و هو خطير جداً.

فالأحرى إذن أن تكون الروايه موضوعه لا أصل لها.

٦- قال لبيب السعيد في نفي أدله التحريف و ذكر رواياتها: ما ادعاه ٢.

ص: ١٥٦

١- مسند أحمد: ١/٤٧.

٢- السيوطي، الاتقان: ٢/٤٠.

بعض الغلاة المنتسبين إلى الشيعة: أن عليا عليه السلام جمع القرآن فكان فيه ما سموه «فضائح المهاجرين و الأنصار» و أن عمر طلب إلى زيد بن ثابت أن يسقط من القرآن هذه الفضائح... (١).

و هذه الروايه ظاهره النحل و البطلان من وجوه:

أ- إن الروايات متظافره على جمع الإمام على للقرآن حتى سمي ذلك بمصحف على، و هذا المصحف لا يختلف عن مصاحف بقيه الصحابه ممن جمعوا القرآن، و لا عن القرآن المعاصر بشيء، لأن الإمام على عليه السلام كان قد ولي الخلافه، و لو كان في القرآن شيء منه لم يثبت لأثبته وفق ما يراه و هو الإمام الحاكم آنذاك.

ب- قد يستفاد من كثير من النصوص - كما أسلفنا القول فيه - (٢) أن الإمام على عليه السلام قد جمع القرآن و رتبه تأريخيا بحسب النزول و أسبقيته، و لا مانع من هذا، كما أنه قد قسمه على سبعة أجزاء بحسب ما أثبته الزنجاني بعنوان (ترتيب السور في مصحف على) و قد طبع في لايزك عام ١٨٧١ م (٣).

و مع هذا فلا- تختلف سور القرآن و نصوصه عن مصاحف المسلمين في شيء، إلا أنه قد يجمع التأويل إلى جنب التنزيل - كما سترى هذا فيما بعد في دفع الشبهات - فيكون مصحفه قد اشتمل على التأويل الصادر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أو على النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أخبر به الإمام، أو الصادر عنه هو بالذات مضافا إلى أصل القرآن الكريم، و من قال بغير هذا فأهل البيت و الإماميه برآء منه.

ج- كيف يصح أن تكون هناك سور و آيات قد فاتت جميع المسلمين، و القرآن منتشر بين ظهرائهم، و لم يستطع أحد أن يحفظ منها شيئا، و قد سبق لنا القول بأن حفاظ القرآن في عهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالمئات (٤). ن.

ص: ١٥٧

١- لبيب السعيد، الجمع الصوتي الأول للقرآن.

٢- ظ: فيما سبق: الفصل الثاني: نزول القرآن.

٣- ظ: الزنجاني، تاريخ القرآن: ٦٩-٧٣.

٤- ظ: فيما سبق: الفصل الثالث: جمع القرآن.

د-إن ما قدمه المهاجرون و الأنصار للإسلام و القرآن يعدّ مفخره و أى مفخره بحد ذاته،فما هو الذنب الذى اقتترفه هؤلاء فى عهد النبى صلى الله عليه و آله و سلم فرادى أو مجتمعين،حتى ينزل فيهم ما يسمها بالفضائح،و هب أن معدودين تجاوزوا حدودهم،فما نصنع بأولئك الذين يقول فيهم القرآن جهارا نهارا فى سورة الفتح:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَرِيعًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكُمْ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا-٢٩ (١).

قال الأستاذ لبيب السعيد:(و عندى أن نسبه هذه المزاعم إلى الشيعة -بعامه- هو قول تنقصه الدقه فضلا عن الصحه.فهذه طائفه من علماء الشيعة يتبرءون من هذه المزاعم) (٢).

٧-روى المسور بن مخرمه:«قال عمر لعبد الرحمن بن عوف:أ لم تجد فيما أنزل علينا:(أن جاهدوا كما جاهدتم أول مره)فإننا لا نجدها.

قال:أسقطت فيما أسقط من القرآن» (٣).

و يرد على هذه الروايه امران:

الأول:ما هى القيمه الكبرى التى يتمتع بها عبد الرحمن بن عوف فى المجتمع الإسلامى-آنذاك-و لا يتمتع بها عمر حتى يسأله عن شىء يجيبه به عبد الرحمن بأنه أسقط فيما أسقط من القرآن.

الثانى:من هؤلاء القوم الذين أسقطوا من القرآن ما هو منهم،و كيف يصح التصديق بمثل هذه الأباطيل.

و هناك روايات تجرى بهذا المضمار أعرضنا عن ذكرها،و لا كبير أمر٢.

ص: ١٥٨

١- الفتح:٢٩.

٢- لبيب السعيد،الجمع الصوتى الأول للقرآن:٤٤٩.

٣- السيوطى،الاتقان:٤٢/٢.

بمناقشتها، إذ لا تختلف عما تقدم أملاها الكذب و الاستهانه بمقدرات الكتاب العظيم. و جميعها لا يشكل دليلا واحدا مقنعا على دعوى التحريف.

و فى نهايه هذا الجانب نشير أن صاحب كتاب المباني قد عقد فصلا قيما فى مقدمته بعنوان الفصل الرابع: (فى بيان ما ادعوا على المصحف من الزيادة و النقصان و الخطأ و النسيان و الكشف عنها بأوجز بيان).

و قد تتبع فيه هذا الباب تتبعا إحصائيا و فند فيه مزاعم التحريف (١).

رابعا: الاتهامات، يبدو أن العصر العباسى الأول قد اختار لدوافع سياسيه أن ينمى روح التفرقه و الخلاف بين مختلف المسلمين، و أن يخلق من قضايا جزئيه متواضعه أمورا كليه مهمه، فنشأ عن ذلك القول بخلق القرآن بين قدمه و حدوثه، و ما جر ذلك من الولايات بين المسلمين على أنها قضيه فكريه، و يومها وجدنا التيارات تتقاذف بالآراء على السطح، لتصم هذا بالكفر تاره، و غيره بالنفاق تاره أخرى، و سواهما بالزندقه أحيانا، و نشأت هذه البذره الخبيثه بين صفوف المسلمين، و وجدت لها مناخا صالحا فى تربه العصر العباسى الثانى، حيث عمق الفرقة، و عصف بالوحده، فكانت الاتهامات المتبادله تحبك بالظلام فتلقى بجرانها بين المسلمين، فينقض هذا ما أبرم ذلك، و يرد ذلك على اتهامات ذه.

و قد وجدت مسأله القول بالتحريف من هذه المسائل، إذا استثنينا القول بنسخ التلاوه، فكل طائفه من المسلمين تنزه نفسها عن القول بها، و بعض المذاهب تنسب القول بها إلى البعض الآخر، و بالنتيجه تجد الجميع يبرءون منها، و هذا هو الصحيح.

فالقاضى أبو بكر الباقلانى (ت: ٤٠٣هـ) يكييل فى نكت الانتصار السباب و التهم دون حساب لشيعه أهل البيت عليهم السلام فى القول بالزيادة و النقصان و عقد لذلك عده أبواب (٢) من كتابه لا تقوم على أساس علمى على الإطلاق، و لا تخدم القرآن و لا المسلمين فى كل الأحوال. ١.

ص: ١٥٩

١- مقدمتان فى علوم القرآن: ٧٨-١١٦.

٢- ظ: الباقلانى، نكت الانتصار: ٩٥-١٠٣+٢٣٩-٢٤٢ و غيرها.

بينما وجدنا الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) ينسب الزيادة و النقصان فيه إلى الحشويه من العامه (١).

إن ما يؤخذ به هو الاعترافات لا الشهادات التي نجدها هنا و هناك و قد لا تمثل واقعا، و لا تدفع شبهه، إن الروايات المتقدمه لم يقل بها الإماميه، و لم يؤيدها الجمهور، و الدفاع عنها، أو تبني نسخ التلاوه منها، يمهد السبيل إلى القول بالتحريف، و ردّها يعنى تزييف مضامينها.

أ- و في هذا الضوء كان ما قرره السيد الخوئي جديرا بالاعتبار، قال:

«المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف، و أن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ الأعظم و قد صرح بذلك كثير من الأعلام، منهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه، و قد عدّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإماميه، و منهم شيخ الطائفه أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، و صرح بذلك في أول تفسيره «التبيان» و نقل القول بذلك أيضا عن شيخه علم الهدى السيد المرتضى، و استدلاله على ذلك بأتم دليل، و منهم المفسر الشهير بالطبرسي في مقدمه تفسيره «مجمع البيان»، و منهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر كاشف الغطاء في بحث القرآن من كتابه «كشف الغطاء» و ادّعى الإجماع على ذلك، و منهم العلامة الجليل الشهشهانى في بحث القرآن من كتابه «العروه الوثقى» و نسب القول بعدم التحريف إلى جمهور المجتهدين. و منهم المحدث الشهير المولى محسن القاشانى في كتابيه (الوافى و علم اليقين). و منهم بطل العلم المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغى و فى مقدمه تفسيره «آلاء الرحمن».

و قد نسب جماعه القول بعدم التحريف إلى كثير من الأعاضم، منهم شيخ المشايخ المفيد، و المتبحر الجامع الشيخ البهائى، و المحقق القاضى نور الله، و أحزابهم» (٢).

ب- و تأسيسا على ما تقدم، فقد نفى السيد المرتضى علم الهدى (ت: ٤٣٦ هـ) القول بالتحريف جملة و تفصيلا فقال: «إن العلم بصحة نقلا.

ص: ١٦٠

١- الطبرسي، مجمع البيان: ١/١٥.

٢- الخوئي، البيان: ٢٠٠ و ما بعدها.

القرآن كالعلم بالبلدان، و الحوادث الكبار، و الوقائع العظام، و الكتب المشهوره، و أشعار العرب المسطوره، فإن العنايه اشتدت، و الدواعى توفرت على نقله و حراسته، و بلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزه النبوه و مأخذ العلوم الشرعيه، و الأحكام الدينيه، و علماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه و حمايته الغايه، حتى عرفوا كل شىء اختلف فيه من إعرابه و قراءته و حروفه و آياته، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العنايه الصادقه و الضبط الشديد... إن العلم بتفسير القرآن و أبعاضه فى صحه نقله كالعلم بجملته، و جرى ذلك مجرى ما عم ضروره من الكتب المصنفه ككتاب سيويه و المزنى، فإن أهل العنايه بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما، حتى لو أن مدخلا أدخل فى كتاب سيويه بابا فى النحو ليس من الكتاب لعرف و ميّز و علم أنه ملحق، و ليس من أصل الكتاب، و كذلك القول فى كتاب المزنى، و معلوم أن العنايه بنقل القرآن و ضبطه، أصدق من العنايه بضبط كتاب سيويه و دواوين الشعر» (١).

ج- قال: الشيخ الطوسى (ت: ٤٦٠ هـ) فى مقدمه تفسيره:

«المقصود من هذا الكتاب علم معانيه، و فنون أغراضه، و أما الكلام فى زيادته و نقصانه فما لا يليق به أيضا، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها. و النقصان منه؛ فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، و هو الأليق الصحيح من مذهبنا، و هو الذى نصره المرتضى رحمه الله، و هو الظاهر فى الروايات، غير أنه رويت روايات كثيره، من جهه الخاصه و العامه، بنقصان كثير من آى القرآن، و نقل شىء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التى لا- توجب علما و لا- عملا، و الأولى الإعراض عنها، و ترك التشاغل بها، لأنه يمكن تأويلها» (٢).

د- و قال الفضل بن الحسن الطبرسى (ت: ٥٤٨ هـ):

«و من ذلك الكلام فى زياده القرآن و نقصانه، فإنه لا يليق بالتفسير، ١.

ص: ١٦١

١- الطبرسى، مجمع البيان: ١٥/١.

٢- الطوسى، التبيان: ٣/١.

فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه، فقد روى جماعه من أصحابنا، وقوم من حشويه العامه: أن فى القرآن تغييرا أو نقصانا، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذى نصره المرتضى قدس الله روحه، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء فى جواب المسائل الطرابلسيات» (١).

هـ- وتعرض أعلام المعاصرين للمسألة ويهمنا رأى كل من:

١- السيد محسن الحكيم، وهو يصرح: «إن سلف المسلمين كافة، و علماء الإسلام عامه، منذ بدأ الإسلام إلى يومنا هذا، يرون أن القرآن فى ترتيب سوره و آياته، هو كما بين أيدينا، ولم يعتقد أحد من السلف فى التحريف» (٢).

٢- السيد أبو القاسم الموسوى الخوئى، وهو يقول: «إن أى حديث، حول أى تحريف فى القرآن، لا يعدو أن يكون خرافه، فإن القرآن الكريم لم يعتره أى تغيير من أى نوع» (٢).

و فى ضوء ما تقدم من هذه الأقوال الصريحه من قبل أعظم علماء الاسلام، لا يبقى أدنى شك، فى أن لغه الاتهام و التهجم لا يكتب لها الاستمرار فى التصيل، لهذا فقد كان الدكتور محمد عبد الله دراز مخطئا إن لم يكن مفتريا بقوله: «و لقد ظن بعض الشيعة أن عثمان قد بدل فى نص القرآن، أو أنه على وجه التحديد أسقط شيئا يتعلق بعلى بن أبى طالب» (٣).

فإنه لم يثبت مرجعا واحدا لاتهامه هذا بل على العكس من ذلك، فقد أورد ما يناقض زعمه، و أورد رأى الشيخ الطوسى بقوله:

«و مهما يكن من أمر، فإن هذا المصحف هو الوحيد المتداول فى العالم الإسلامى - بما فيه فرق الشيعة - منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان. ٩.

ص: ١٦٢

١- الطبرسى، مجمع البيان: ١/١٥١.

٢- ليب السعيد، الجمع الصوتى الأول للقرآن: ٤٥١ و ما بعدها و انظره مصدره.

٣- محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم: ٣٩.

و نذكر هنا رأى الشيعة الإماميه (أهم فرق الشيعة)، كما ورد بكتاب أبي جعفر الأم:

«إن اعتقادنا فى جملة القرآن الذى أوحى به الله تعالى إلى نبيه محمد هو كل ما تحويه دفئا المصحف المتداول بين الناس لا أكثر، و عدد السور المتعارف عليه بين المسلمين هو (١١٤) سورة، أما عندنا فسورتا الضحى و الشرح تكونان سوره واحده، و كذلك سورتا الفيل و قريش، و أيضا سورتا الأنفال و التوبه. أما من ينسب إلينا الاعتقاد فى أن القرآن أكثر من هذا فهو كاذب» (١).

و هنا يتجلى أن الاتهامات التى لا تستند إلى أصل و ثيق، تذهب أدراج الرياح.

خامسا: الشبهات، قد يتذرع القائلون بالتحريف بتوافر بعض الشبهات الداله على ذلك، و ليس فى هذه الشبهات - كما سترى - أدنى دليل على ما يدعون، و سنشير إلى أهمها، و نتعقب ذلك بالرد و الدفع و المناقشه (٢).

أ- إن التحريف سنه قد جرت فى حياه الأمم السابقه، و القرون الغابره، فاشتمل حتى على التوراه و الإنجيل و سائر الكتب الدينيه، فلم لا يشمل القرآن ما شمل غيره.

و للرد على هذه الشبهه نرصد ما يلى:

١- ليس من سنه الكون التحريف، و لا من طبيعه خرق النواميس الحقه، فموجده أتقن كل شىء صنعا، و أنزله بمقدار، و لا يمثل سنه الكون من يتلاعب بمقدراته من شعوب و أمم و قبائل و أجيال.

٢- إن التوراه و الإنجيل لم يتعهد الله سبحانه و تعالى - كشأن الكتب السماويه الأخرى - بحفظهما، و لا بصيانتهما، إنما أو كل ذلك البشر، محنه منه و ابتلاء على طاعته أو معصيته، فاستحفظ على ذلك الأخبار و الربانيين بدلاله قوله تعالى: ه.

ص: ١٦٣

١- المرجع نفسه: ٣٩ و ما بعدها، و انظر مصادرہ.

٢- ظ: الخوئى، البيان: ٢٢٠ و ما بعدها فى ذكر مجمل و مفصل هذه الشبه.

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَ الرِّبَاثِيُّونَ وَ الْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوُا اللَّهَ وَ لَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ-٤٤ (١).

٣- إن القرآن نزل على سبيل الإعجاز الدائمی فوجب حفظه تأبيدا، و تلك الكتب جاءت للبيان التوقیتی فلا- يستلزم حفظها كحفظه، و لم يرد أنها نازله على سبيل الإعجاز و التحدى.

ب- هناك روايات تشير صراحة إلى أن كل ما وقع فى الأمم السابقة، لا بد أن يقع فى هذه الأمة، و منه التحريف، بدلاله ما

روى عن الإمام الصادق عليه السلام:

«قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كل ما كان فى الأمم السالفه، سيكون فى هذه الأمة مثله، حذو النعل، بالنعل، و القذه بالقذه» (٢).

و غير هذه من الروايات الداله على هذا المعنى و يرد عليها ما يلى:

١- إن هذه الروايات أخبار آحاد، و لم يدع فيها التواتر، و إذا كان الأمر كذلك فإنها لا تفيد علما و لا عملا.

٢- على فرض صحه هذه الروايات فإنها تدل على مشابهه الأحداث من بعض الوجوه بين الأمم لا فى كل جزئياتها و تفصيلاتها فإن وقع التحريف عندها فى كتبها، فيكفى فى وقوع التحريف فى هذه الأمة عدم اتباعهم لحدود القرآن و إن أقاموا حروفه (٣).

٣- هناك كثير من الوقائع التى حدثت فى الأمم السابقه و لم تقع فى أمه محمد، و لم تصدر من المسلمين أمثالها و نظائرها، كعباده العجل، و تيه بنى إسرائيل، و غرق فرعون، و ملك سليمان عليه السلام، و رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، و موت هارون عليه السلام و هو وصى موسى عليه السلام قبل موت موسى عليه السلام نفسه، و ولاده عيسى عليه السلام من غير أب، و عذاب الاستئصال و غيرها (٣).١.

ص: ١٦٤

١- المائده: ٤٤.

٢- المجلسى، بحار الأنوار: ٤/٨.

٣- ظ: الخوئى، البيان: ٢٢١.

ج-تشير روايات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام إلى أن عليا كان له مصحف غير المصحف المتداول، وهذا يعنى التغير بين المصحفين، أو فرضيه الزيادة و النقصان بين النصين، و روايات هذا الباب كثيره، أبرزها،

قول الإمام على عليه السلام:

«يا طلحه إن كل آيه أنزلها الله تعالى على محمد عندى بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و خط يدي، و تأويل كل آيه أنزلها الله تعالى على محمد و كل حلال أو حرام، أو حد، أو حكم، أو شىء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، فهو عندى مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و خط يدي، حتى أُرش الخدش... (١).

و منها ما فى احتجاجه عليه السلام على الزنديق من أنه: «أتى بالكتاب كملا مشتملا على التأويل و التنزيل، و المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، لم يسقط منه ألف و لا لام، فلم يقبلوا ذلك» (٢).

و منها ما رواه جابر بن عبد الله الأنصارى قال: «سمعت أبا جعفر يقول ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، و ما جمعه و حفظه كما نزله الله تعالى إلا على بن أبى طالب و الأئمة من بعده عليهم السلام» (٢).

و فى التوفيق بين هذه الروايات و بين نفى التحريف عن القرآن الكريم، نرى أن الإمام على عليه السلام - كما أسلفنا القول - (٣) قد جمع القرآن وفق ترتيب خاص، جمع فيه إلى جنب التنزيل التأويل، و فصل فيه بين الناسخ و المنسوخ، و رتب فيه السور أو الآيات ترتيبا تاريخيا بعنايه زمن النزول، و لكن لا يعنى ذلك أى اختلاف أو تناقض بين ما جمعه و بين القرآن، و قد استفاد من جملة روايات أخرى أنه أول من جمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - مع كونه مجموعا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وفق هذا الترتيب الذى لو صح، لقلنا إن ترتيب القرآن اجتهادى، أو أن الإمام على عليه السلام قد علم منل.

ص: ١٦٥

١- ظ: الخوئى البيان: ٢٢٢ و ما بعدها و انظر مصادره.

٢- المصدر نفسه: ٢٢٢ و ما بعدها.

٣- ظ: فيما سبق، الفصل الثانى نزول القرآن: +الفقره: ٦ من هذا الفصل.

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ما لم يعلمه غيره، فكان أن جمع القرآن كما أنزل،

فقد روى السدى عن عبد خير عن الإمام علي:

«إنه رأى من الناس طيره عند وفاه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فأقسم أن لا يضع عن ظهره رداء حتى يجمع القرآن، قال: فجلس في بيته حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن، جمعه من قبله، وكان عند آل جعفر» (١).

وليس في جميع الروايات دلالة على أن المجموع من قبل علي يختلف عن نص القرآن المتداول اليوم، إذ لو كان مخالفا له في شيء لظهر أيام خلافته أو عند ورثته من الأئمة عليهم السلام، فلما لم يكن من هذا شيء يذكر، علمنا سلامه القرآن.

د- وهناك بعض الروايات عن الأئمة تدل بظاهرها على التحريف، منها

ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم:

«يجيء يوم القيامة ثلاثه يشكون، المصحف والمسجد والعترة. يقول المصحف: يا رب حرفوني و مزقوني، ويقول المسجد: يا رب عطلوني و ضيعوني، و تقول العترة: يا رب قتلونا و طردونا، و شردونا» (٢).

و منها قول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «أوتمنوا على كتاب الله فحرفوه و بدلوه» (٢).

ولا دليل في هذه الروايات على التحريف بالمعنى المشار إليه، فهي تحمل أن القرآن قد حُرّف بحدوده و ضوابطه، فهو لا يعمل به، و لم يحرف بنصه و أصوله، فهي ثابتة لم تتغير، و سالمه لم تتحرف، أما أن القرآن لا يعمل به، و يشتكى خدا عند الله، فهو ما تحمل عليه هذه الروايات دون سواه من المفاهيم.

ه- وهناك شبهة تلخص في أن كيفية جمع القرآن- بحسب روايات الجمع الموهوم- بشهادة الشهود، و إقامة البينة، تستلزم نسيان بعضه.

ص: ١٦٦

١- الخوئي، البيان: ٥٠٣.

٢- المصدر نفسه: ٢٨٨ و انظر مصادره.

القرآن، إما بموت من معه شيء من القرآن فضاع، وإما على سبيل السهو والخطأ، وعدم الضبط، شأنه في ذلك شأن المعجم الأخرى التي تتعرض للطوارئ.

و الإجابة عن هذه الشبهة و دفعها، نرى أن القرآن - كما سبق بيانه - (١) قد جمع متكاملًا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فانتفت الشبهة جملة و تفصيلاً.

قال السيد المرتضى علم الهدى (ت: ٤٣٦ هـ):

«إن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم مجموعاً، مؤلفاً على ما هو عليه الآن، و استدلال على ذلك بأن القرآن كان يدرس و يحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عيّن على جماعه من الصحابه في حفظهم له، و أنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله و سلم و يتلى عليه، و أن جماعه من الصحابه مثل عبد الله بن مسعود و أبي بن كعب و غيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله و سلم عدّه ختمات، و كل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور و لا - مبعوث، و أن من خالف في ذلك من الإماميه و الحشويه لا - يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفه، ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته» (٢).

سادساً: المحاولات، ما زلت أتذكر، قبل عشرين عاماً خلت، و نحن طلبه في الجامعه، أن أستاذنا الجليل الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى عضو المجمع العلمى العراقى، قد لفت أنظارنا - من على كرسى التدريس - إلى حادث خطير، يجب على العرب و المسلمين أن يحتدوا طاقاتهم لمحاربتة، و الوقوف بحزم يدا واحده لصدّه، و هو قيام إسرائيل بمحاولة جاده لتحريف القرآن. و أتذكر أيضاً أننا أصبنا بما يشبه وقع الصاعقه، و قلبنا وجوه الاحتمالات فى الموضوع، و بعد حين ظهر صدق الحديث، فقد جاء فى الإعلام المصرى ما يؤيد هذا النبأ الجلل، و قرأنا آنذاك عن الخطوات التى اتخذت تجاهه. ١.

ص: ١٦٧

١- ظ: فيما سبق، الفصل الثالث - جمع القرآن:.

٢- الطبرسى، مجمع البيان: ١/١٥.

١- فى أيلول عام ١٩٦٠ م أفادت أنباء القاهره: أن إسرائيل قد قامت بطبع مائه ألف نسخه من القرآن الكريم، و قد أدخلت عليها التحريف، و ذلك بإحداث أكثر من ألف خطأ مطبعى و لفظى متعمد، فى طبعه محرفه للقرآن، و قد تم توزيع هذه النسخ المحرفه فى جمله من البلدان الآسيويه و الإفريقيه، كالمغرب، و غانا، و غينيا، و مالى، و دول أخرى. و قد اكتشفت سفاره الجمهوريه العربيه المتحده فى المغرب هذه المحاوله الأثيمه، فأشعرت بذلك السلطات فى القاهره، و بعثت إليها ببعض النسخ المحرفه (١).

٢- و كان نتيجة هذا العمل اطلاقنا على أبرز مظاهر التحريف المهمه، و هى كالاتى:

أ- حذف الآيتين التاليتين من القرآن الكريم، و منع تدريسهما فى مدارس العرب و المسلمين فى الأرض المحتله:

لا- يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِدُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) (٢).

ب- حذف كلمه «غير» لينقلب المعنى عكسيا من قوله تعالى:

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ -٨٥ (٣).

ج- حذف كلمتى «ليست» من الآية الكريمه:

وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ...-١١٣ (٤) (٣).

ص: ١٦٨

١- ظ: جريده الأهرام القاهره عدد: ٢٨ ديسمبر ١٩٦٠+مجله آخر ساعه، عدد: ١١ يناير ١٩٦١ م، للمقارنه.

٢- سوره الممتحنه: ٨-٩.

٣- سوره آل عمران: ٨٥.

٤- سوره البقره: ١١٣.

د-إبدال عبارته «و الله عزيز حكيم» بعبارته «و الله غفور رحيم» من قوله تعالى:

و السَّارِقِ و السَّارِقَةَ فَاقْتَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ-٣٨ (١) (٢) .

٣-لقد أحدث هذا العمل ضجه في الجمهوريه العربيه المتحده دون سواها من البلدان العربيه و الإسلاميه آنذاك، و كان دور الأستاذ الأكبر محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر رحمه الله، دورا كبيرا مشرفا فبالإضافه إلى تشاوره مع وزير الأوقاف المصري في الإجراءات الاحترازيه لصد هذه الظاهره، و ذلك بتشكيل لجنه مشتركه لمراجعته المصحف المحرّف، و تعريه الأخطاء المطبعيه المعتمده، و تحذير المسلمين من تداوله، فقد أرسل ببرقيه إلى الرئيس جمال عبد الناصر يستشير حميته و غيرته، و مما جاء فيها:

«إن إسرائيل التي قامت على البغى و الطغيان و الاعتداء على المقدرات و المقدسات ما زالت تعيش في هذا البعث، و تحيا في إطار هذا الطغيان، و إنها-بتحريفها القرآن الكريم- تريد القضاء على معتقداتنا و ديننا، و هى بذلك تمارس ما كان عليه آباؤهم من تحريف الكلم عن مواضعه ابتغاء كبت الدعوه الإسلاميه و إعاقتهها.

إن المسلمين فى أنحاء الأرض يهرعون إليكم-و كلهم أمل فى قوه إيمانكم، و غيرتكم على دينكم- أن تعملوا على حفظ كتاب الله، فتقفوا فى وجه هذا العدوان الأثيم...» (٣).

٤-و فيما عدا مصر لم نجد صوتا حيويا للبلاد العربيه و الإسلاميه لشجب هذا الاعتداء الساخر، باستثناء الإفتاء السودانى، و الحكومه الأردنيه.ه.

ص: ١٦٩

١- المائده: ٣٨.

٢- ظ: فى المقارنه بين ما أوردناه فى كل من: سليمان حسف عبد الوهاب، تحريف اليهود للقرآن قديما و حديثا، مقال فى جمله منبر الإسلام المصريه، عدد جمادى الآخره، ١٣٨٥ +ليب السعيد، الجمع الصوتى للقرآن: ٤٧٣ و ما بعدها.

٣- جريده الأهرام عدد: ٢٩ ديسمبر ١٩٦٠+جريده الجمهوريه القاهره بالتاريخ نفسه.

فقد أمر مفتى الديار السودانيه موظفى المحاكم الشرعيه و أصحاب المكتبات العامه بضروره مراجعه المصاحف قبل تداولها للتأكد من سلامتها من التحريف، و ذلك عن طريق تسرب هذا المصحف الذى نشرته إسرائيل (١).

و أصدرت الحكومه الأردنيه بيانا استنكرت فيه جريمه التحريف، و بينت عرض إسرائيل على الدول الإفريقيه التى وزعت فيها المصحف المحرف، أن ترسل لها من يقوم بتدريس اللغه العربيه فى إطار النسخه المشوهه من المصحف (٢).

و لم تنجح المؤامره الإسرائيليه فى تحريف القرآن، إذ تم اكتشاف الجريمه مبكرا، و أمكن القضاء عليها فى مهدها، و تنبه المسلمون فى شرق الأرض و غربها إلى هذه الحركه، فعزلت هذه النسخ المزوره و قضى عليها قضاء نهائيا.

٥- و لقد كان حدثا عالميا كبيرا ما توصل إلى ابتكاره الأصيل، الأستاذ لبيب السعيد من تفكيره فى تسجيل المصحف المرتل، و بعد محاولات و مشاريع و أوليات و عقبات، تم تسجيل القرآن الكريم كاملا، و حفظ صوتا مسموعا مرتلا بروايه حفص لقراءه عاصم بن أبى النجود الكوفى، بصوت المرحوم الشيخ محمود خليل الحصرى، عدا تسجيلات سواه من القراء، و خصصت مصر و إلى اليوم إذاعه خاصه يتلى بها ليل نهار أسمتها: إذاعه القرآن الكريم.

لقد تم هذا الحدث فى صورته النهائيه التنفيذيه فى: ٢٣ يوليو ١٩٦١ (٣).

و تقرر توزيع اسطوانات المصحف المرتل فى الدول التى وزعت فيها إسرائيل المصاحف المحرفه (٤).م.

ص: ١٧٠

١- ظ: جريده المساء القاهريه، عدد: ١٠ فبراير، ١٩٦١ م.

٢- ظ: جريده الأخبار القاهريه، عدد: ٨ أبريل ١٩٦١ م.

٣- ظ: لبيب السعيد، الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم: ١١٤.

٤- ظ: جريده الجمهوريه القاهريه، عدد: ٢ يناير ١٩٦١ م.

و كأنما جاء هذا الحدث ردا حاسما لدرء محاولة التحريف.

و بذلك تحقق لسلامه القرآن الكريم عاملان:الكتابة فى المصحف كما نزل،و التلاوه على الأسماع من خلال المصحف المرتل تسجيلا كاملا،محافظة فيه على أصول القراءه،و شرائط العرييه،و ترتيب الصوت، ذلك مضافا إلى الحفظ المتجاوب معه فى الصدور.

لقد تحقق فى هذا الزمان بالذات،و هو زمان ابتعد عن القرآن،ما لم يتحقق له فى الأزمان السالفه،من ضبط و شكل،و رسم،و قراءه،و تلاوه، و طباعه،و عناية من كل الوجوه،بما يتناسب مع التأكيد الإلهى بقوله تعالى:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ-٩ (١).

و ذلك من معاجز القرآن و أسرارہ..-

ص: ١٧١

١- سورة الحجر:٩.-

كنت فيما سبق، قد توخيت الدقه فى البحث، و الموضوعيه فى الاستنتاج، و الحيطه فى المقارنه، فعرضت أمهات المسائل، و أثرت عشرات الجزئيات، و انتهيت إلى العديد من النتائج، و كان الرائد الأول فى جميع ذلك هو استقراء الحقيقه وحدها، و ما يدريك فلعلى قد أصبت الهدف، و لعلى قد أخطأت التقدير، و الله أعلم و هو المسدد إلى الصواب.

مهما يكن من أمر، فقد توصلت إلى بعض المؤشرات فى النتائج يمكن إجمالها- بكل تواضع- على الشكل الآتى:

١- انتهينا فى الفصل الأول من معالجه ظاهره الوحي معالجه علميه، فرقنا فيها بين الوحي و الكشف و الإلهام، و وجدنا الوحي عمليه مرتبطه بحوار ثنائى: بين ذات أمره، و ذات متلقيه، و رأينا ظاهره الوحي مرثيه و مسموعه، و لكنها خاصه بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم وحده.

و لم يكن الوحي ظاهره ذاتيه عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم إطلاقاً، بل كانت منفصله عنه انفصالاً تاماً، ربما صاحبه من خلالها أمارات خارجيه فى شحوب الوجه أو تصبب الجبين عرقاً، و لكنها أمارات لم تكن لتمتلك عليه و عيه نهائياً، و كان الداعى لبحث ذلك هو الرد على هجمات طائفه من المستشرقين الذين يرون الوحي نوعاً من الإغماء، أو مثلاً من التشنج، و الأمر ليس كذلك، بل هو استقبال لظاهرة، أعقبه هذا الوقع، استعداد للنشر و التبليغ. بعد هذا أرسينا مصطلح الوحي على قاعده من الفهم القرآنى.

٢- انتهينا فى الفصل الثانى من تحديد بدايه نزول القرآن زمنياً، و تعيين ما نزل منه أول مره، ثم أشرنا للنزول التدريجى، و ضروره تنجيم القرآن، و عالجت هذه الظاهره بما نمتلك من تقليل لأسرارها، و تقييم

لأبعادها، وأوضحنا إيمان القرآن بمرحليه النزول، وتعقبنا ذلك بتاريخه ما انقسم منه إلى مكى و مدنى، وسلطنا الضوء على ضوابط السور المكيه و المدنيه، وحمنا حول أسباب النزول و قيمتها الفنيه، و ما يستأنس منه بجذورها في تعيين النزول زمانيا و مكانيا، و تتبعنا ما نزل من القرآن بمكه أولا بأول، و ما نزل بالمدينه أولا بأول، معتمدين على أصح الروايات و أشهرها، أو بما يساعد عليه نظم القرآن و سياقه، و ختمنا الفصل بجدول إحصائي استقرائي لسور القرآن كافة بترتيبها العددي و المصحفي و الزماني و المكاني.

٣- و انتهينا في الفصل الثالث إلى القول: بأن القرآن الكريم قد كان مجموعا في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بل و مدونا في المصحف، و ذلك بمناقشه روايات الجمع و غربلتها، و كانت أدلتنا في هذا الحكم هو سيل الروايات المعتمده، و وجود مصاحف في عهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ظاهره الختم و الإقراء في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و دليل الكتابه و تواتر الكتاب، و أدله قطعيه أخرى مما يؤكد لنا جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم و كان القصد وراء ذلك إبراز القرآن سليما من الوجوه كافة، يحضى بعنايه النبي صلى الله عليه و آله و سلم بإشاره من الوحي و دليل من الكتاب، و كان مصحف أبي بكر يتسم بالفرديه لا بالصفه الرسميه، و انتهينا في ذلك إلى رأى قاطع بالموضوع، و بحثنا جمع عثمان للمصحف، فكان توحيدا للقراءه، و إلغاء للاختلاف، و كان هذا التوحيد هو النص القرآني الوحيد الذي لا يختلف في صحته اثنان.

٤- و انتهينا في الفصل الرابع إلى: اعتبار الشكل المصحفي، و طريق الروايه إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و تعدد لهجات القبائل، مضافا إلى المناخ الإقليمي القائم بين مدرستي الكوفه و البصره، أسسا قابله للاجتهد و الأثر في تعدد القراءات القرآنيه، و انتهينا إلى أن الاختلاف كان في الأقل، و الاتفاق في الأكثر، و حددنا وجهه النظر العلميه تجاه القراء السبعه و القراءات السبع، و أعطينا الفروق المميزه بين القراءه و الاختيار، و أوردنا مقاييس القراءه المعتمده، و أشرنا إلى تواتر هذه القراءات عند قوم، و إلى اجتهديتها عند قوم آخرين، و فرقنا بين حجيّه هذه القراءات، و بين جواز الصلاه فيها، بما كان فيه بحق بحثا طريفا جامعا لشئون القراءات كافة.

٥- و انتهينا في الفصل الخامس إلى: تحقيق القول في شكل القرآن

و رسمه، و بحث جملة الزيادات التوضيحية، و لاحظنا ما أسداه أبو الأسود الدؤلي، و ما ابتكره في إعجام القرآن و نقطه حتى تيسر للخليل بن أحمد الفراهيدي أن يشاركه هذه المكرمه.

و قد وجدنا توسع المسلمين و تجوزهم بوضع التحسينات على الخطوط بقصد معرفه النص و إيضاحه، و نعيمهم على من منع ذلك دون مسوغ، ثم وجدنا الرسم المصحفي و هو يحتل مكانته بشيء من المغالاه حيناً، و التقديس غير المعقول حيناً آخر، و ظهر لنا أن الرسم ليس توقيفياً، و إنما الخط المصحفي كان باجتهاد ممن كتب، و لم تكن صناعتهم في هذا الفن متكامله، فكان ما قدموه من سنخ ما يحسنون لا أكثر و لا أقل، و تعقبنا ظاهره استنساخ القرآن الكريم حتى وقفنا بها عند حدود انتشار القرآن في الطباعه الأنيقه النموذجيه.

٦- و انتهينا في الفصل السادس إلى: القول بسلامه القرآن و صيانتة من التحريف، و توثيق النص القرآني جملة و تفصيلاً، و ناقشنا شبه القائلين بالتحريف، فزيفنا الادعاءات، و دحضنا الافتراضات، و عالجت الروايات فكانت أخبار آحاد لا تفيد علماً و لا عملاً، و ناقشنا الاتهامات، و فندنا الشبهات، و تعقبنا المحاولات، و خلصنا من وراء ذلك إلى إنجاز الوعد الإلهي بحفظ القرآن.

ما قدمناه خلاصه مركزه في «تأريخ القرآن» آثرنا فيها المعاناه على الدعه، و المواجهه على الاستكانه، فعدت صفحات مشرقه فيما نعتقد، أخلصنا فيها القصد لخدمه كتاب الله، فإن أصبنا الحقيقه فذلك ما نتمناه، و إن كانت الأخرى، فلي من حسن النيه ما يسدد الزلل.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين النجف الأشرف / كلية الفقه د. محمد حسين علي الصغير الجامعه المستنصريه.

المصادر والمراجع

اشاره

ص: ١٧٩

- ١-القرآن الكريم.
- ٢-ابن الأثير، أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزرى(ت:٦٠٦هـ)جامع الأصول فى أحاديث الرسول.
- تصحيح:عبد المجيد سليم،محمد حامد الفقى،مطبعه السنه المحمديه،القاهره ١٩٤٩ م.
- ٣-الأصبهاني، حمزه بن الحسن(ت:٣٥١هـ تقريباً).التنبيه على حدوث التصحيف،دمشق،١٩٦٨ م.
- ٤-الأبارى،محمد بن القاسم(ت:٣٢٨هـ).إيضاح الوقف و الابتداء فى كتاب الله عزّ و جلّ،دمشق،١٩٧١ م.
- ٥-الأبارى،أبو البركات،عبد الرحمن بن محمد(ت:٥٧٧هـ)نزهه الألباب فى طبقات الأدباء،القاهره،١٢٩٤ هـ.
- ٦-الباقلانى،أبو بكر،محمد بن الطيب(ت:٤٠٣هـ)نكت الانتصار،تحقيق:محمد زغلول سلام،منشأه المعارف، الاسكندريه،١٩٧١ م.
- ٧-البخارى،أبو عبد الله،محمد بن إسماعيل(ت:٢٥٦هـ).الجامع الصحيح،مطبعه محمد صبيح،القاهره،(د.ت).
- ٨-البلاذرى،أحمد بن يحيى بن جابر(ت:٢٧٩هـ).فتوح البلدان، القاهره،١٩٠١ م.

٩-البُلوي، أبو الحجاج، يوسف بن محمد المالكي. ألف با، المطبعة الوهبيه، القاهرة، ١٢٨٧ هـ.

١٠-البیهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٤٥٨ هـ).

كتاب الأسماء و الصفات، القاهرة، ١٣٥٨ هـ.

١١-الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: ٤٧١ هـ).

الرساله الشافيه، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: د.

محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦ م.

١٢-ابن الجزري، أبو الخير، محمد بن محمد (ت: ٨٣٣ هـ) غايه النهايه في طبقات القراء، القاهرة، ١٩٣٢ م.

١٣-ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، القاهرة، (د.ت).

١٤-الجهشياري، أبو عبد الله، محمد بن عبدوس (ت: ٣٣١ هـ) كتاب الوزراء و الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا و آخرين، الطبعه الأولى، مطبعه مصطفى البابي الحلبي، (د.ت).

١٥-ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعه السلفيه، القاهرة، ١٣٨٠ هـ.

١٦-ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني المروزي (ت: ٢٤١ هـ).

المسند، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٤٩ م.

١٧-الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي (ت: ٤٦٣ هـ). تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش، دمشق، ١٩٤٩ م.

١٨-ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ). المقدمة، طبعه بولاق، القاهرة، (د.ت).

١٩-الخوانساري، محمد باقر الخوانساري (ت: ٣١٣ هـ). روضات الجنات في أحوال العلماء و السادات. الطبعه الحجرية، ايران، ١٣٠٧ هـ.

٢٠-الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد (ت: ٤٤٤ هـ). المحكم في

نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٠.

٢١-الداني، المقنع في معرفه مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق:

محمد أحمد دهمان، مطبعة الترقى، دمشق، ١٩٤٠ م.

٢٢-ابن أبي داود، أبو بكر، عبد الله بن سليمان السجستاني (ت: ٣١٦هـ). كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٦ م.

٢٣-الدمياطى البناء، أحمد بن محمد (ت: ١١٧هـ). إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر، طبع عبد الحميد أحمد حنفى، القاهرة ١٣٨٠ هـ.

٢٤-الذهبي، الحافظ شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ). معرفه القراء، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مطبعة دار النشر و التأليف، القاهرة (د.ت).

٢٥-الراغب الأصبهاني، الحسين بن محمد بن الفضل (ت: ٥٠٢هـ).

المفردات فى غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، القاهرة، ١٩٦١ م.

٢٦-الزركشى، بدر الدين، محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤هـ). البرهان فى علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧ م.

٢٧-الزمخشري، جار الله، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ) الفائق فى غريب الحديث، تحقيق: على البجارى و محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٤٥ م.

٢٨-ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، بيروت، ١٩٥٧ م.

٢٩-السيرافى، أبو سعيد، الحسن بن عبد الله (ت: ٣٦٨هـ) أخبار النحويين البصريين، تحقيق: فرنسيس كرنكو+بيروت، ١٩٣٦ م.

٣٠- السيوطى، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبى بكر (ت: ٩١١ هـ) الاثقان فى علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعه المشهد الحسينى، القاهره، ١٩٦٧ م.

٣١- أبو شامه، شهاب الدين، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت: ٦٦٥ هـ) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق: طيار ألتى قولاج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥ م.

٣٢- الصولى، أبو بكر، محمد بن يحيى (ت: ٣٣٦ هـ) أدب الكتاب، المطبعه السلفيه، القاهره، ٣٤١ هـ.

٣٣- الطبرى، أبو على، الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ) مجمع البيان فى تفسير القرآن، مطبعه العرفان، صيدا، ١٣٣٣ هـ.

٣٤- الطبرى، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ). جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر و أحمد محمد شاكر، القاهره، (د.ت).

٣٥- الطوسى، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ) التبيان فى تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب القصير، المطبعه العلميه، النجف الأشرف، ١٩٥٧ م.

٣٦- العاملى، محمد الجواد العاملى النجفى (ت: ١٢٢٦ هـ) مفتاح الكرامه، مطبعه الشورى، القاهره، ١٣٢٦ هـ.

٣٧- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسى (ت: ٣٢٧ هـ). العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين و آخرين، مطبعه لجنه التأليف و ترجمه و النشر، القاهره، ١٩٦٧ م.

٣٨- أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروى (ت: ٢٢٤ هـ). غريب الحديث، الطبعه الأولى، حيدرآباد، ١٩٦٧/١٩٦٤ م.

٣٩- العسكرى، أبو أحمد، الحسن بن عبد الله، شرح ما يقع فيه التصحيف و التحريف، القاهره، ١٩٦٣ م.

٤٠- ابن عطيه مجهول، عبد الحق بن أبى بكر الغرناطى (ت: ٩٧٢ هـ).

مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق: آرثر جفري، تصويب عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة، (د.ت).

٤١- ابن قتيبه، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ) تأويل مشكل القرآن، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٣ م.

٤٢- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥ م.

٤٣- القسطلاني، شهاب الدين، أحمد بن محمد (ت: ٩٢٣هـ) لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان و عبد الصبور شاهين، القاهرة، ١٩٧٢ م.

٤٤- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت: ٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخه مصوره عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشر و الترجمة، القاهرة، ١٩٦٣ م + طبعه دار الكتب المصرية (١٩١٠ م - ١٩٢٠ م).

٤٥- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) فضائل القرآن، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.

٤٦- الكليني، أبو جعفر، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت: ٣٢٨هـ)، أصول الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨ هـ.

٤٧- ابن مجاهد، أبو بكر، أحمد بن موسى التميمي البغدادي (ت):

٣٢٤هـ)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٢ م.

٤٨- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقى (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٦ م.

٤٩- مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) الإبانة في معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مطبعة الرساله، القاهرة، (د.ت).

ص: ١٨٥

٥٠- المناوى، شمس الدين، محمد المدعو عبد الرؤوف (ت: ٩١١ هـ) فيض القدير. شرح الجامع الصغير، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، ١٣٨٠.

٥١- ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم الأنصارى (ت: ٧١١ هـ) لسان العرب، نسخه مصوره عن طبعه بولاق، القاهرة، (د. ت).

٥٢- ابن نديم، محمد بن إسحاق بن يعقوب البغدادي (ت: ٣٨٠/ ٣٨٥ هـ). الفهرست، نشر الأستاذ فلوجل، لايبزك، ٨٧١-١٨٧٢ م+تحقيق: رضا تجدد، مطبعة دانشگاه ١٣٩١ هـ.

٥٣- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام (ت: ٢١٨ هـ) السير النبويه، تحقيق: الأستاذ مصطفى السفا و آخرين، مطبعة مصطفى البابى الحلبي القاهرة، ١٩٣٦ م.

٥٤- الواحدى، أبو الحسن، على بن أحمد النيسابورى (ت: ٤٦٨ هـ) أسباب النزول، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، القاهرة، ١٩٥٩ م.

٥٥- أبو حيان التوحيدى (ت: ٤١٤ هـ). البصائر و الذخائر، تحقيق:

أحمد أمين و أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف و النشر و الترجمة، القاهرة، ١٩٥٣ م.

ب- المراجع الحديثه:

٥٥- ألبرت ديتريش (مستشرق ألماني معاصر) الدراسات العربيه فى ألمانيا، تطورها التاريخي و وضعها الحالي، جوتنجن، ١٩٦٢ م.

٥٦- بروكلمان، المستشرق الألماني كارل بروكلمان (١٨٦٨ م- ١٩٥٦ م) تاريخ الأدب العربي، ترجمه: عبد الحليم النجار و آخرين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨ م.

٥٧- بكرى الشيخ أمين (الدكتور)، التعبير الفنى فى القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٢ م.

ص: ١٨٦

٥٨- بلاشير، المستشرق الفرنسي الدكتور ريجيس بلاشير (ولد: ١٩٠٠ م) القرآن- نزوله- تدوينه- ترجمته- تأثيره- ترجمه: رضا سعاده، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤ م.

٥٩- بول (FR.BUII). دائره المعارف الإسلاميه الألمانيه، ج ٦، ماده:

التحريف، تعريب: د. عبد الحميد يونس و جماعته، القاهره، ١٩٣٣ م.

٦٠- جميل صليبا (الدكتور) المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٩ م.

٦١- جورج بوست (الدكتور) قاموس الكتاب المقدس، المطبعه الأميركيه، بيروت، ١٨٩٤ م.

٦٢- جولد سهير، مستشرق مجري (١٨٥٠ م- ١٩٢١ م) مذاهب التفسير الإسلامى، ترجمه: عبد الحليم النجار، مطبعه السنه المحمديه، القاهره، ١٩٥٥ م.

٦٣- ابن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف. الفرقان، الطبعة الأولى، مطبعه دار الكتب المصريه، القاهره، ١٩٤٨ م.

٦٤- الخوئي، أبو القاسم الموسوى الخوئي. البيان فى تفسير القرآن، مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤ م.

٦٥- الخوئي، الشيخ أمين الخولى. دائره المعارف الإسلاميه الألمانيه، ج ٦، ماده: التحريف، تعريب: د. عبد الحميد يونس و جماعته، القاهره، ١٩٣٣ م.

٦٦- الزنجاني، أبو عبد الله الزنجاني (١٣٠٩- ١٣٦٠ هـ) تاريخ القرآن، الطبعة الثالثة، مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، بيروت، ١٩٦٩ م.

٦٧- صبحى الصالح (الدكتور) محاضرات فى علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥ م.

٦٨- طه حسين، عميد الأدب العربى الراحل (١٨٨٩ م- ١٩٧٣ م)

الفتنه الكبرى، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٨ م.

٦٩- طه حسين، (الدكتور). في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٨ م.

٧٠- عبد الصبور شاهين (الدكتور). تأريخ القرآن، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٦ م.

٧١- عبد الهادي الفضلي (الدكتور). القراءات القرآنية، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠ م.

٧٢- عبد الوهاب حموده (الدكتور). القراءات و اللهجات، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٤٨ م.

٧٣- غانم قدوري حمد. محاضرات في علوم القرآن، دار الكتاب للطباعة، بغداد، ١٩٨١ م.

٧٤- لبيب السعيد. الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل بواعثه و مخططاته، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، ١٩٦٧ م.

٧٥- مالك بن نبي. الظاهره القرآنية، ترجمه: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨ م.

٧٦- محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م). الميزان في تفسير القرآن، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٣ م.

٧٧- محمد حسين علي الصغير (المؤلف). المستشرقون و الدراسات القرآنية، الطبعة الأولى، المؤسسه الجامعيه للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٧٨- محمد رشيد رضا. الوحي المحمدي، مطبعة المنار، القاهرة، ١٩٣٥ م.

٧٩- محمد عبد الله دراز (الدكتور). مدخل إلى القرآن الكريم، ترجمه: محمد عبد العظيم علي، دار القرآن الكريم، كويت، ١٩٧١ م.

٠٤

ص: ١٨٨

٨٠- محمد عبده. رساله التوحيد، الطبعة التاسعة، القاها، ١٣٥٧ هـ.

٨١- محمد عبد العظيم الزرقانى. مناهل العرفان فى علوم القرآن، مطبعه دار إحياء الكتب العربيه، القاها، ١٣٧٢ هـ.

٨٢- محمود الشراوى. القرآن المجيد، مؤسسه الشعب، القاها، ١٩٧٠ م.

٨٣- المنجد، صلاح الدين المنجد (الدكتور). دراسات فى تأريخ الخط العربى منذ بدايته إلى نهايه العصر الأموى، بيروت، ١٩٧٢ م.

٨٤- الندوى، أبو الحسن، على الحسينى الندوى. النبى الخاتم، القاها، ١٩٧٥ م.

٨٥- نولدكه، المستشرق الألمانى الدكتور تيودور نولدكه (١٨٣٦ م - ١٩٣٠ م). دائره المعارف الإسلاميه الألمانيه، ج ٩، ماده:

الدين، تعريب: د. عبد الحميد يونس و جماعته، القاها، ١٩٣٣ م.

ج- الصحف و المجلات:

٨٦- أحمد حسن الزيات. مجله الرساله المصريه، عدد- ٨ يناير، ١٩٥٠ م.

٨٧- جواد على (الدكتور). لهجه القرآن الكريم، مجله المجمع العلمى العراقى ١٩٥٥، ٢٩٠ م.

٨٨- سليمان حسن عبد الوهاب. تحريف اليهود للقرآن قديما و حديثا، مقال: مجله منبر الإسلام المصريه، عدد جمادى الآخرة، ١٣٨٥ هـ.

٨٩- جريده الأخبار القاها، عدد- ٨ أبريل، ١٩٦١.

٩٠- جريده الأهرام القاها، عدد- ٢٨ ديسمبر+ عدد ٢٩ ديسمبر، ١٩٦٠ م.

ص: ١٨٩

٩١- جريده الجمهوريه القاهريه، عدد ٢٩ ديسمبر+عدد ٢ يناير، ١٩٦١ م.

٩٢- جريده المساء القاهريه، عدد-١٠ فبراير، ١٩٦١ م.

٩٣- مجله آخر ساعه المصريه، عدد-١١ يناير، ١٩٦١ م.

المراجع الأجنبيه:

noELDEKE ٩٤- .١٩١٩-١٩٠٩، GESHICHTE DES QURaNS،LEIPZIG .(١٩٠٥-١٨١٥) SIR (١٩٣٠-١٨٣٦)

WILLAM MUIR ٩٥- ١٩١٢، THE LIFE OF MaHOMET،GRANT

ص: ١٩٠

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

